

بوالأعلى المودودي

الحجاب

دار الفكرية

تعريب
محمّد طاهر السّباو

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الثانية
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا السلام على نبيه وآله وسلم على كل هذا إلى يومه .
وبعد ، فهذا كتاب ألفته قبل عشرين سنة تقريباً شرحاً لمبادئ
الاسلام ونظامه لما بين الرجل والمرأة من العلاقة في الحياة الاجتماعية
وتقديداً لما قد راج بين المسلمين في هذا العصر من الآراء الباطلة والمبادئ
السيئة والمناهج الموبقة في هذا الباب مما كاد منهم لحضارة الغرب
ومدنيته الزائفة .

قد مضى على تأليفي لهذا الكتاب عشرون سنة ، كما قلت آنفاً ، وأنا
جد متأسف أن ما انهار عليّ في هذه المدة من الاعمال المهمة المتنوعة لم
يترك لي المجال ، على رغم ودي ، لأراجع النظر في هذا الكتاب وأكمله
بمضي أن أضرب اليه ما جد خلال السنوات الأخيرة من المعلومات عن أحوال
الغرب وما جرياته وخاصة ما يتعلق منها بشؤون المرأة ، حتى يأتي اليوم

في طبعته العربية وافيًا باللفصود التام وساردًا الوقائع والامثلة متسلسلة من
الاول إلى هذه الساعة . بيد أنه إذ لا فرق - من حيث المبدأ على الأقل -
بين ماينت في هذا الكتاب من الاسس والمناهج للحياة العربية وبين
الاسس والمناهج التي تجري فيها اليوم ، وهي هي بذاتها سوى أن قد تجلى
للدنيا اليوم من نتائجها الوخيمة وثمراتها المسمومة ما كان خافياً على بعض
الناس إلى الامس ، وأرجو أن يستطيع كل من له إلتم باحوال العرب
واطلاع على شؤون المراء فيه ، إذا تابع البحث على نحو ماسسته في هذا
الكتاب ، ان يستكمل الكتاب ويجعله متاولاً للوضوح إلى هذه الساعة
بمعلوماته نفسه .

على أني قد تناولت هذا الموضوع نفسه - موضوع الحياة الاجتماعية -
في تفسيري لسورة النور ، فعلى من أراد التفصيل المزيد لأحكام الشريعة
الاسلامية وتعاليمها في باب الحياة الاجتماعية ، أن يراجع ذلك التفسير ،
فانه عسى أن يجد فيه من تفصيلها ما قد لا يجده في هذا الكتاب ، وإني
على ثقة من أنه إذا قرأ هذين الكتابين معاً ، فانه قلما يحتاج إلى كتاب
آخر لمعرفة أحكام الشريعة وتعاليمها في الحياة الاجتماعية .



الحقيقة أنني كنت منذ عدة سنوات ماضية أتمنى لو نقل إلى اللغة
العربية كتابي « الحجاب » ، و « تفسير سورة النور » ، حتى أتسكن بهما

من لإبلاغ رسائلي لإخواني أبناء البلاد العربية ، وذلك أني كنت أشعر
 بواسطة الجرائد والمجلات التي كانت ترد علينا من مصر وغيرها من البلاد
 العربية بأن المرأة في البلاد العربية قد بلغت من اعتدائها لحدود الحرية
 والسياسة وراء تيار الحضارة الجديدة درجة ربما لم تبلغها المرأة حتى في
 بلادنا نحن ، فكنت لكل ذلك أجد في نفسي من القلق والاضطراب ما
 قد طألا أقص علي مضجعي وأجرى الدموع من عيني . ثم إنه لما قدرت
 لي قبل عامين ونصف زيارة بعض البلاد العربية وهناك شاهدت بعيني
 ما بلغه حقاً قبذل المرأة العربية المسلمة وتجهتها بالمرء والفتنة وشدة
 ولوعها باقتفاء آثار أختها الغربية ، ازدادت قلقاً واضطراباً أكثر من
 ذي قبل .



اتناء مسلي باكستان ، الهند ، مازلنا نوزح تحت غير الاستعمار
 البريطاني طيلة مدة ١٩٠ سنة متوالية (١) . ففي جانب اشتدت علينا وعاءة
 الاستعمار وضغطه واضطهاده إلى هذا الحد ، وفي الجانب الآخر كان ،
 ولا يزال ، ٩٩٪ - ان لم نقل أكثر - من أفرادنا على جهل تام باللغة التي
 بها نزل القرآن والسنة ، وما لديهم من وسيلة للارتواء من منهلها المصافي بصفة
 مباشرة ، حتى ان الذين يمكن القول عنهم أن لهم نظارة في علوم القرآن

(١) بدأ استيلاء الانكليز علينا سنة ١٧٥٧ م ولم تحرر من سيطرتهم
 السياسية إلا سنة ١٩٤٧ م .

والسنة ، لا يتمكنون من قراءة القرآن بلفظه وفهم أحكام الرسول ﷺ بالفاظه إلا بعد أن يفقهوا جزءاً غير يسير من سفي حياتهم في تعلم اللغة العربية . ولكن بالرغم من هاتين الظاهرتين فإن حضارة أهل العرب ومدينتهم لم تنل في بلادها ولم تؤثر في حياتنا مثل ما قد تطلعت في بلاد العرب وأثرت في حياتهم في مدة لا تكاد تذكر بالنسبة لامتداد وطأة الاستعمار علينا ، وخاصة أن النساء في بلادنا ، وإن كنا دائماً نكسب المدح على انحرافهن في تبذل الحضارة الغربية ، فانهن على جملة علانين ومساوئهن يران بأنفسهن أن يرتدين الملابس الافرنجية حتى أن اللاتي يرتدينها منهن من الممكن أن نمدهن على الانامل ، وكلما فوجد واحدة من ألف امرأة تتبرج في المرق والاسواق وتعرض الرجال وجسدها مكشوف فوق كعبها أو يدها مكشوفة إلى متكبيها ، وإني والله كثير ما أسائل نفسي أن اخوانا العرب الذين قد شرفهم الله تعالى ببعثة رسوله فيهم ومنهم ، والذين لفهم لغة القرآن والسنة ، والذين لا يوقهم شيء عن معرفة أحكام الله ورسوله في كل شأن من شؤون حياتهم إذا شاءوا ، ماذا عساهم يؤولون به رواج الملابس الافرنجية البحتة في نسايتهم وتدرجن في الاسواق والاندية والجامع ، بل وسواحل البحار ومسابح الملاهي كاسيات كعاريات ؟ نعم ، إني لا أنكر ما بين العلماء من الخلاف حول جواز كشف المرأة وجهها لغير محارمها ولا أؤم غيري أن لا يرى في هذه المسألة غير رأيي ولكن . . . ياليت شعري ما هو الدليل على جواز كشف المرأة ساقها إلى الركبتين ويدها إلى المنيكبين وجزءاً عظيماً من

صدرها وظلها وخاسرتها ثم تبحر لها - هكذا - في الطرق والاسواق
تعرض للرجال وتفتش الاندية والجامع المختلطة وتبرز مفاتها في كل واد
بكامل زينتها ؟ وأما ان كانت الحقيقة أن لادليل على جواز كل ذلك ولا
تأويل له ؟ ففصل بي بالله أليس هو بخروج سافر على الفريسة الإلهية
واستزاء علي بأحكامها ثم تكتب اليوم في بلاد العرب - أسيرة النبي
وقبيلته - على مرأى ومسمع من علمائهم وكتابههم وقادة الرأي والفكر
منهم ! ولا أدري - والله - ماذا يتوقع القوم أن يدرثوا به ذمتهم في حكمة
الله العالم الخبير يوم القيامة ؟

والله نسأل أن يتقبل منا هذه الجهود المتواضعة بقبول حسن ويجعل
فياقنا وأعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم - وآخر دعوانا أن الحمد لله
رب العالمين ،

أبو الأعلى المودودي



ماهي المسألة

من مسائل التمدن البشري المعقدة وأكملها خطورة وإعضالاً ، مسائلان يتوقف على حلتهما المستقيم المتزن رقي الانسانية وسعادتهما . وقد جار العلماء في إيجاد حلٍ لهما منذ قديم الزمان ، ولا يزالون حائرين في شأنهما إلى اليوم . أما المسألتان ، فأولاهما صلة ما بين الرجل والمرأة وكيفية توطيدها في الحياة الاجتماعية ، فإن هذه العلاقة أساس التمدن وملاك أمره ، وإن اعوج هذا الأساس أو مال عن الاستقامة قليلاً ، فلا خير في بناء التمدن الذي ينهض على هذا الأساس المعوج . والمسألة الثانية تتعلق بما بين الفرد والجماعة من العلاقة . فانه إذا حدث شيء يخل بالانترائ والتناسق المنشود فيما بينها من الأواصر والصلات ، بقيت الانسانية تتجرع مرارته وتذوق وبالهِ قروناً متعاقبة .

ففي جانب هاتان المسألتان وخطورتها ، وفي جانب آخر إنهما قد بلغتتا من التعقد والإعضال أن لا يقدر على حلتهما إلا من أوتي نظرة فائقة في حقائق الفطرة البشرية بأسرها ، ومحيطة بجوانبها . ولقد صدق من قال :
إن الانسان عالم أسير في حلذاته فهذه بنيته وهيئة نفسه وقواه ومواهبه

ورغباته وحاجاته، وكذلك عواطفه ومشاعره وعلاقته بما وراء شخصه من
الوف الأدوات والأشياء وتأثيره فيها وتأثره بها . . . هذه كلها تختص
طالما بنفسه لا تنتهي عجائبه ولا يدرك كنهه بسهولة . فلا يمكن أحداً
أن يدرك حقيقة الإنسان ويعرف سره إلا إذا نبين ونوضح أمام عينيه
كل جانب من هذا العالم الأسغر . ومن الظاهر اليقيني أنه لا يمكن إيجاد
حل أو حلول لمسائل الحياة البشرية الأساسية إلا بعد أن يدرك كنه
الإنسان ويعرف حقيقته سرقة تامة .

وعنده هي المعضلة التي ما زالت ولا تزال تشكل عنها جهود العقول
والحكمة كلها وتظهر عجزها عن استجلاء وجه الحقيقة منها . وذلك
أن الإنسان لم يدرك بعد حقائق العالم كلها ، ولم يبلغ علم من العلوم
البشرية غايته من التضييق والكمال حتى يصح القول بأنه قد أحاط بجميع
الحقائق التي تتعلق بموضوعه وتنتمي إليه . زد على ذلك أن الحقائق التي
قد ظهرت وبرزت للعين . تبلغ من الدقة والسعة والعمق أن لا يمكن
أن يحيط بها بصر ، بل طائفة من البشر في آن واحد . فإن لاج منها
جانب ، في الجانب الآخر مخفياً عن الأنظار ، فتارة لا تكاد العين
المبصرة تنفذ إلى أعماقها وطوراً تصبح الميول الشخصية حجاً دون
إدراك الحقيقة . ولهذا العجز المضاعف تحقق جميع الحيل والتدابير التي
يختارها الإنسان نفسه لحل "هاتيك المسائل في حياته ، وتظهر التجارب
تقسماً في آخر الأمر . والحيل المصممة لا يمكن إيجادها إلا بعد ما يدرك

المرء نقطة الاعتدال التي تستقيم بها الأمور . ونقطة الاعتدال هذه لا يمكن إدراكها إلا بعد أن تكون جميع نواحي الحقائق المعلومة على الأقل . إن لم تقل الحقائق كلها - مبروزة على الأنظار - مرتبة على نسق واحد . ولكن قل لي باقة ، من أين لك هذه النقطة الوسط إذا كانت سمة الآفاق والمناظر في موجة لا تقدر أن تحيط بها الابصار البشرية ، ثم إذا كان لرغبات النفس ونوازعها وعواطفها وميوها من التأثير البالغ في تفكير الإنسان ما يصرف بصره عن الحقائق الماثلة للعيان ؟ إن كل حل يوجد في مثل هذه الحال لا بد أن يعم بإفراط أو تغريط .

بين يدينا الآن المسألة الأولى من المسألتين اللتين تقدم ذكرهما ، وهي وحدها مناط بحثنا في هذا الكتاب فإذا راجعنا بطول التاريخ القابر واستنقطنا صفحاته بهذا الشأن ، وجدنا الأمر في غلبة من العجب . وأينا سلسلة من الإفراط والتغريط جارية في جميع أدوار التاريخ وبين الأمم كلها . ففي جانب نرى أن المرأة التي تلد الرجل وترعسه وتربيته وهي أم ، وتكون شريكته في الحياة تشاطره البؤس والرخاء وهي زوجة ، قد اتخذوها خلفاً بل أمة ، تباع وتشتري محرومة من جميع حقوق الإرث والملك ، وزعموا أنها مجموعة من الدل والإثم . فلا يدعون لشخصيتها ومواهبها فرصة للنمو والارتقاء . وفي جانب آخر نرى أن تلك المرأة نفسها قد عظموها تعظيماً وأكبروا من شأنها إكباراً يتبعه موجة عنيفة من فوضى الاخلاق والمخاطات الآداب ، فيستخذها الرجال مطية لأهوائهم ويمجلون منها حباله الشيطان في واقع الأمر . وهناك

تأخذ الانسانية في التردّي والهبوط كلّما تدرجت المرأة في الترقّي والطبور في هذه الجهة .

وهذان الطرفان المتناقضان لا نسمييهما طرفي الإفراط والتفريط في لغة النظريات فلسفة ، بل إننا التجربية إذ جمعت لنا نتائجها الوخيمة وعرضتها محتمة على أقطارنا ، فإنا نسمي أحدهما طرفين بالإفراط والآخر بالتفريط في لغة الأخلاق أيضاً . واسياق التاريخي الذي قد أشرنا إليه آنفاً يدلّنا كذلك على أن أمة من الأمم حيناً تخرج من ظلمات الجهل والعمية وتنتقل إلى ميدان المدنية والحضارة ، ثم من رجالها نسؤم كأنك قدّم والاعاء ، ولا يهونها ذلك عن الرقي والتقدم في حبة التمدن في أول الأمر ، بل فيها من قوى البداوة الفعالة الفعالة . ولكنها تشر بعد أن تقطع مرحلة من مراحل الرقي المدني أنها لا يمكنها التقدم إلى الأمام وشطر كامن من كيانها في مثل هذا الانحطاط والتفريط . فتشر بعقبة في سبيل رقيها المدني وتضحي بمسبب الحاجة إلى إعداد هذا الشطر الثاني من بنيتها لمسايرة شطرها المتقدم في ركب الحضارة ، والنهوض بأعباء التمدن . ولكنها إذا أرادت أن تتدارك ما فاتها من امتانة بهذيب المرأة ومقبقها ، لا تقف عند حد ، بل تمضي في هذه الجهة تتقدم وتمخطئ كل الحدود حتى تفجر حرية المرأة إلى أنهار نظام الأسرة - الذي هو أساس التمدن - ويعجز بركان من الفجشاء والفجور ، واختلاط الرجال بالنساء وتكاد الخلاعة والاستهتار بأنيان بيان الأمة الخلق من القواعد ، ولا جرم أن يقع هذا التدهور الخلق الانحطاط .

والتمهق في القوى الجسدية والمواهب المعنوية والمادية ، والأمة إذا وصلت إلى مثل هذا الانحطاط في نواحي الحياة كلها ، تصبح عرضة إلى الهلاك والافتراض لا محالة .

ومن دواعي الأسف أن المقام لا يتسع لضرب الأمثلة الكافية من ما جريات التاريخ ، إلا أنه لا بد من عرض بضعة أمثلة لإيضاح المسألة وشرحها .

اليونان

أدركني الأمم القديمة حبيسة وأزهرها تقدمنا في التاريخ هم أهل اليونان . وفي عصرهم ابتدأت كانت المرأة في غاية من الانحطاط وسوء الحال من حيث نظرية الاخلاق والحقوق القانونية والسلوك الاجتماعي جميعاً ، فلم تكن لها في مجتمعهم منزلة أو مقام كريم . وكانت الأساطير (mythology) اليونانية قد اتخذت امرأة خيالية تسمى « پاندورا » (Pandora) يبعث جميع آلام الانسان ومصائبه ، كما جعلت الأساطير اليهودية حواء : العین التي تنشق منها جداول الآلام والشدائد . وغير خفى على أحد ما كان لهذه الاسطورة اليهودية الشنيعة من حواء من تأثير عظيم في سلوك الأمم اليهودية والمسيحية قبل المرأة ، وما كان لها من مفعول قوي في حقول القانون والاخلاق والاجتماع عند هؤلاء الشعوب وكذلك أو دونه بقيل كان تأثير لاسطورة اليونانية عن

(باندورا) في عقولهم وأذهانهم . فلم تكن المرأة عندهم إلا خيفاً من
المرك الأسفل ، في غيبة من المهابة والقدالة في كل جأف من حوائج
الحياة الاجتماعية . وأما منازل العز والكرامة في المجتمع ، فكانت كلها
مختصة بالرجل .

وفي هذا السلوك قبل المرأة في أول عهد النهضة المدنية ثابتاً على
حالها ، وهي تخشعته تبدلات قليلة . فانه كان من تأثير ذبوع لهم وانتشار
أنوار الحضارة أن ارتفعت مكانة المرأة في المجتمع وأصبحت أحسن حالاً
وأرفع منزلة من ذي قبل ، وإن بقيت منزلتها القانونية على حالها لم تتبدل .
هي أصبحت ربة البيت ، متحصرة واجباتها في حدوده ، وأصبح لها
في داخله سلطة ونفوذ تام . وكانت عفافها ونصوتها من أعلى وأقدس
ما يملك ، وما ينظر إليه بين التقدير والتمظيم . وأيضاً كان الحجاب
شاملاً في البيوتات المالية . فكانوا ينفون بيوتهم على قسمين : قسم للنساء
 وآخر للرجال . وما كان نسوتهم يشاركن في المجالس والأندية المختلطة
ولا يبرزن في الأماكن العامة . وكان يحدّ زواج المرأة وملازمتها
زوجها دون غيره من أمارات النجابة والرف . ولأمانتها كانت الحرمه
والمنزلة في المجتمع . وبالعكس من ذلك كانوا ينظرون إلى حياة المرء
والدعارة نظرة كره وازدراء . هذا في عصر كانت الأمة اليونانية فيه
في إبان مجدها وعنفوان شبابها وقوتها ، وكانت تنمو صمداً إلى الرقيّة
والكمال . ولا ريب أنه كانت توجد عندهم مفاصل خلقية في ذلك العصر

إلا أنها كانت منحصرة في نطاق محدود ، وذلك أن الرجال لم يكونوا
يُعَالَبُونَ بِمِثْلِ من العفاف وطهارة الاخلاق وزكاء السجية كانت
تطالب بها المرأة ، وتؤخذ عليها ، بل كانوا يُسْتَكْبَنُونَ من الخلُق بِذلك
الاخلاق الحسنة ، ولم تكن من المتوقع منهم أن يعيشوا حياة دوي
الغرف والحشمة ، ومن أجل ذلك كانت المومسات جزءاً من جميع المجتمع
اليوناني لا ينفك عنه أبداً ، ولا يُعاب المرء إذا عاشرهن وخالهن .

ثم حملت اشبهوات النفسية تتطلب على أهل اليونان ويجرف بهم تيار
اندثار البرية والأهواء الجائعة ، فتبوءت العاهرات والمومسات مكانة
عالية في المجتمع لا نظير لها في تاريخ البشرية كله ، وأصبحت ميوت
العاهرات مركزاً يؤمه سائر طبقات المجتمع ، ومرجعاً يلجأ إليه الأدباء
والشعراء والفلاسفة - فكانت شعوساً في سماء العلم ولأدب يدور حولها
كواكب لفلسفة ولأدب ولشعر ولتاريخ وما عداها من الفنون . . .
بل أصبح القطب الذي تدور حوله رحي الأمة اليونانية فما كان يرأس
أندية العلم ومحاسن الأدب غصب بل كانت تشكل السياسة أيضاً فحمل
عقدها ونفك مضلاتها بحضرتين ونعت إسرائيل . وقد بلغ بهم
النسيب في هذا الشأن أن كانوا يرجعون في المسائل الرئيسية التي تعلق
بها أمة وتسفل وتحيى لها وتقتول إلى المرأة التي لا ترمى أن تعاشر
رجلاً بيته أكثر من ابنة أوليتين . ثم زاد أهل اليونان حبهم للجهل
وتدوخلهم المفرط له تدخلاً في النبي وارتطاماً في حذاء المذائل ، وأصرم
في قلوبهم نارا للشهوات لا تُخمد فالتأثيل - عديد المن العارية - التي كانوا

يطهرون بها وبالأشجار في مسكنها ويتقاسمها خوفهم هذا، كانت هي التي تحرك
 جميع الشهوات دوماً وتعدّ في غرائزهم الطبيعية. ولا يخطر لهم ببال أن
 الاستسلام للشهوات هي ذميمة في قانون الأخلاق والاندفاع وراء تيار
 الأهواء عار وهجينة. وهذه مقاييس الأخلاق عديم إلى حدٍّ جعل
 كبار فلاسفتهم وعلماء الأخلاق عديم لا يرون في الزنى وارثكأب
 الفحشاء غشامة بلأم عيباً لئلا وبموجب ما أصبح علمهم ينظرون إلى
 عقد الزواج نظرة من لا يهتم به ولا يرى إليه من حاجة. فلما يرون بأساً
 بأن يباشر الرجل المرأة ويتخذها عبداً من غير عقد ولا نكاح فكانت النتيجة
 أن خصصت لأخلاقهم وغرائزهم الشهوانية هذه ديانتهم أيضاً، وانتشرت
 جميع عبادة امروديت (Aphrodite) التي كان من قصتها عديم في
 الأساطير (Mythology) أنها خادمت ثلاثة آلهة مع كونه روجه إله
 خاص. وأيضاً كان من أخداسها رجل من عامة البشر علاوة على تلك
 الآلهة. ومن بطنها تولد كيوبيد (Kupid) إله الحب، نتيجة اتصافها
 بذلك التلذذ البشري. وما رأيت في أخلاق أمة وانحطاطها المتنوي والخلقي
 اتخذت من هذه الطباع (Character) رمزاً للكآل بل إلهاً يُعبَد
 ويقدم له جميع آداب الميوعة والذل والخنوع، غنيمته ولا ريب، درجة
 من الانحطاط الخلقي إذا تدمت فيها أمة، لم تتمكن من النهوض مرة
 أخرى. وفي مثل هذا العصر الباطل من الانحطاط أمة كآله ظهرت في الهند
 (بام مارك) وفي إيران (الزردكية). وأيضاً في مثل هذا العصر اسمه
 أصبحت الفحشاء والسفورة يُنظر إليها بعين التقديس والإحلال في (بابل)

فلم تقض على ذلك العشية أو ضلعتها حتى آل أمرها إلى الاقتراض، وأصبح أمرها من خبر كان وأمس الدابر، والانتشرت عبادة افروديم في اليونان، أصبحت مواخير المغارة وأماكن الفجور مركزاً للعبادة وأصبحت المومسات متمسكات وخوادم للمعبود. وعظمت شأن الزنى إلى أن ألبسوه كساءاً من الصل الديني المجرور.

ثم ظهرت الفرقة البهيمية في أهل اليونان بمظهر آخر، هو أن انتشرت معهم عبادة قوم لوط انتشاراً كاد يأتي على الأخضر والبس، ودرجت بها الفداقة والأحلاق أيضاً. ومما هو جري بالذكر أننا لا نرى لهذا عبادة المنكرة أثر في عصره مبروس وهسيود، ولكنه لا ترقى المدنية وأخذت في تزيين المري وانباع الشهوات بالاحماء الجذبة كالفن وتدوث الجمال (Aesthetic Taste) التمت الفرائض الشهوانية في القوم التيابا جسمهم يتكبرون الطريق الفكري، ويتخذون لإرواء غيلد شهواتهم طريقاً تأباه الفطرة وتبجها الطباع السليمة. وساء عدم على ذلك حدائق الفن بإبراز هذه الماطفة في التمايل. وشهد علماء الاخلاق عندهم بأن هذه (العلاقة) آصرة لصداقة وثيقة بين الرحلين. واليونانيان اللذان هما تول من عظمتهم الاممة وأكرمهم بيتاء تمثيهم بها: هرموديس وأرسوجين اللذان جمع بينهما ذلك احب المنكر الذي تأباه الفطرة البشرية. وبعد، فالتاريخ شاهد بأن اليونان لم يكن من نصيبهم الحب والرقى بعد ذلك مرة أخرى.

الرومان

والذين تشبهو ذروة الحديد والبرقي في السلم بعد ايوغانيين ، هم ابرومان . وفي هذه الامة أيضاً نرى تلك الفلسفة من الصمود والموط التي قد شاهدناها في اليونان حينما خرج الرومان من عصر الوحشية وظلمة الجحيم . وظهروا على مسرح التاريخ لأول مرة ، كان الرجل رب الاسرة في مجتمهم ، له حقوق الملك كاملة على أهله وأولاده ، بدل طبع من سلطته في هذا الشأن ان كان يجوز له حتى قتل زوجه في بعض الاحيان .

ولما تحميت فيهم صورة الإحشية وتهدموا خطوات في سبيل المدنية والحضارة تخففت القسوة في تلك السلطة وجعلت الكفة تميل الى الاستواء والاعتدال شيئاً شيئاً ، وإن بقي نظام الاسرة القديم ثابتاً على حاله . وهؤلاء لم يكن الحجاب متقدم معمولاً به . كالإيونان . في إبان مجده لجمهورية الرومانية ورفيها . لكنهم كانوا قبدوا النساء والشباب عامة بقيود متينة من نظام الاسرة . فالمعاف كان شيئاً ينصّر اليه بين لإجلال ولا سيما في شأن النساء ، وكان يمدّه مقياساً للكرامات وكرم المتمد . وكذلك كان مستوى الاخلاق متقدم عالياً . ومن أمثلة ذلك أن اتفق ذات مرة أن عضواً في مجلس الشيوخ قتل زوجه أمام ابنته . فغضب عليه القوم . وحكموا على منيته بأنه غش من كرامة الخلق القومي وإهانة له وأعضوا قرار التكبر (Vote of Censure) عليه في مجلس الشيوخ . هذا وما كان مباحاً متقدم ولا مرضياً في أخلاقهم أن يتعاضد الرجل والمرأة بدون .

عقد مشروع . وما كانت المرأة تدبو مكانة العز والكرامة في المجتمع إلا بأن تكون أما لأسرة (Matron) . والموسسات . وإن كانت طبعتهن موحودة وكان الرجال نوع من الحرية في عقدتهن ، إلا أن عامة الرومان وجهوهم كانوا يزدرونهم وينظرون اليهن نظرة احتقار وتعير . وكذلك ما كانوا ينظرون بين الاستحسان إلى الرجال المخاضين لهم .

ثم أخذت نظرية الرومان في النساء تتبدل برقيهم وعلوهم في منازل المدنية والحضارة . وما زال هذا التبدل يطرأ على نظمهم وقوانينهم المتصلة بالأسرة وعقد الزواج والطلاق ، على أن انقلاب الأمر ظهر أولاً على أن انعكست الحال وأما على عقب هم يبق لعقد الزواج عندهم معنى سوى أنه عقد مدني Civil Contract محاسب ، يتوقف بقاؤه ومضيه على رضا المتعاقدين ، وأصبحوا لا يشمون بصفات العلاقة الزوجية إلا قليلاً . ومنحت المرأة جميع حقوق الإرث والممتلك وجسبها القانون حرية طليقة لا سلطة عليها الأب ولا الزوج . ولم تصبح الرومانيات مستقلات بشؤون معاشهن بحسب ، بل دخل في حوزة ملكهن وسلطانهن جزء عظيم من أفراد القومي على مسير الأيام . فكان يقر من أزواجهن بأسعار الرذيلة الفاحشة ، مما يعود به أزواج الثريات من النساء عبيداً لمن في ميادين العمل والوهم . ثم سار من أمر الطلاق تسليلاً جعله شيئاً عادياً يلجأ إليه لأنه الأسباب . هذا (سينكا) الفيلسوف الروماني الشهير (ع ق م - ٥٦ م) يندب كثرة الطلاق ويشكو تفاقم خطبه بين بني جلدته ، فيقول : وأنه لم يمد بطلاق اليوم شيئاً يتدم عليه أو يستحي منه في بلاد الرومان . وقد بلغ من كثرتهم

ودبوع أمره أن جعلت النساء يمتدّن أعمارهن بأعداد أزواجهن . »
 وكانت المرأة الواحدة تتزوج رجلاً بعد آخر وتمضي في ذلك من غير
 حياء . وقد ذكر مارشل (٤٣-١٠٤ م) امرأة تزوجت عشرة رجال
 وكذلك كتب جويئيل (٩٠-١٤٠ م) عن امرأة قابلت في أحضان
 ثمانية أزواج في خمس سنوات . وأعجب من كل ذلك وأغرب
 ما ذكره القديس جيسروم (٣٤٠ - ٤٣٠ م) عن
 امرأة تزوجت في المرة الأخيرة الثالث والعشرين من أزواجها وكانت
 هي أيضاً الزوجة الحادية والعشرين لعلها .

ثم بدأت تتغير نظرتهم إلى العلاقات والروابط القوية بين الرجل
 والمرأة من غير عقد مشروع . وقد بلغ بهم التطرف في آخر الأمر أن
 جعل كبار علماء الأخلاق منهم يمدون الزنى شيئاً عادياً . فهذا كاتو
 Cato الذي أسندت إليه الحسبة الحظية سنة ١٨٤ قبل الميلاد ، يجبر
 بمجوار إقتراف الفجشاء في عصر الشباب . ودالسيشرون Dalsichron يصلح
 الشير يرى عدم تقييد الشان بأعمال الأخلاق المثقلة وبشير باطلاقات الشان
 لهم في هذا الشأن . ولا يقتصر الأمر عليها بل يأتي ابكتيتس Epictetus
 الذي يعد من المنصليين في باب الأخلاق من فلاسفة الرواقين Stoics
 فيقول لتلاميذه مرشداً ومبشراً : « نجبوا معاشرة النساء قبل الزواج
 استطعتم ، ولكنه لا ينبغي أن تلوموا أحداً أو تؤذوه إذا ما لم يتمكن
 من كبح جماح شهواته . »

ولما تراخت عرى الأخلاق وصيانة الآداب في المجتمع الروماني إلى هذا

الحد ، اندفع تيار من المري والمواحيش وجموح الشهوات . فأصبحت
 المسارح مظاهر للخلاعة والتبرج المقةوت والمري لمشين . وزينت
 البيوت بصور ورسوم كلها دعوة ماهرة إلى المجور والذصرة والفسشاء .
 ومن جراء هذا كله راجت مهنة المومسات والماعرات وانجذبت إليها
 نساء البيوتات . وقد أدى الأمر في ذلك إلى أن اضطر القوم إلى وضع قانون
 خاص في عصر قيصر ثاقي يريس (٦٤ - ٣٧ م) لمنع نساء البيوتات من
 احترام مهنة المومسات وصناعتهن النافقة . وقالت مسرحية فلورا Flore
 حظوة عظيمة لدى الروم لكونها تحتوي على سبائك النساء الماريات .
 وكذلك انتشر استحريم الرجال والنساء في مكان واحد بحر أي من الناس
 ومشهد . أما سرده المقالات الخبيثة والقصص الماحضة المارية فكان شذلا
 مرضيا مقبولا لا يخرج منه أحده بل الأدب الفني كان يتلقاه الناس
 بالقبول والرضى هو الفني يمر عنه اليوم بالأدب المكشوف ، وهو الذي
 تبين فيه أحوال الحب والنفاق والتقبل مساهرة غير مقيمة بحسب من
 الجاز والكنايات .

وكان من انتماسهم في اشبهات البهيمية ومجازاتهم الحد في إيجاد
 طرق لإطفاء أوارها أن دلت دولة الرومان وقرن جمعها كل ممزق .

أوربة السبينة

ثم جاء عصر النصرانية في أوربة ، وأرادت أن تتشارك القومى
 انطليقية في علم الغرب بالتلاج التاجع والبلم الشافي . وما لا ريب فيه أنها

أدت خدمات جليلة في أول أمرها ، فقد سدت السد في وجه الفحشاء وقضت على الشر في كل ناحية من نواحي الحياة ، ودرت الخيل ولغريق المؤثرة لا يستعمل شأفة الدمار ، وجعلت لومسات الرافعات والمخينات بثبث ويرتدعن عن عبيهن ومكاسهن الفاسدة ، وحدث بعدها لتدنية القوم على الأخلاق الزكية والآداب السامية إلا أن الفكر التي كانت يحملها الآباء المسيحيون من علاقة باين الرجل والمرأة ، كانت قد تجاوزت حدود التقرب في جاف ، وكانت حراً على انقطة البشرية في جاف آخر .

فمن نظريتهم الأولية الأساسية في هذا الشأن أن المرأة بنوع المعاصي وأصل السيئة والفجور . وهي الرجل باب من أبواب جهنم من حيث هي مصدر تحريكه وحمله على الآثام . ومنها انجست عيوب المصائب الانسانية جماء ، فحسبها ندانة وخطيئة أنها امرأة ، وينبغي أن تستحي من حسناتها وحملها ، لأنه سلاح إبليس الذي لا يوليه سلاح من أسلحته المتنوعة وعليها أن تكفر ولا تقطع عن أداء الكفارة أبداً ، لأنها هي التي قد أثبت بما أثبت به من زور والشقاء للأرض وأهلها . ودونك ماقاله تروتيان (Tertullian) أحد أقطاب المسيحية الأول وأتمم مبيئاً نظرية المسيحية في المرأة :

« إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان . وبها دافعة بالمرء إلى الشجرة المنوعة ، ناقضة لقانون الله ، وشوكة بصورة الله أي الرجل . »

وكذلك يقول كرتي موسنام (Chry Sostem) لذي يدّسن
كبار أولياء الدانة المسيحية في شأن المرأة :

« هي شر لا بد منه ، ووسوسة جياية ، وآفة مرغوب فيه ، وخطر
على الأسرة والبيت ، ومحوبة فتاة ورزء مطلي موءة » .

أما نظريتهم الدنية في باب النساء ، فخلاصتها أن العلاقة الجنسية بين
الرجل والمرأة هي نفس في نفسها ، يجب أن تمتنع ، ولو كانت عن
طريق نكاح وعقد رسمي مشروع ، هذا التصور « الرهبني » للأخلاق
الذي كانت جدوره تكاد تتأصل في أوربة من قبل بتأثير الفلسفة
الإشراقية (Neo - platonism) جاءت المسيحية فزادته شدة وبلغت
به منتهى . وذلك أن أصبحت فيه العزوبة مقياساً لسمو الأخلاق وعلو
شأنها كما صدرت الحياة العائلية علماً على انحطاط الأخلاق ومهانة الطماع .
وجعلوا بمدون العزوبة وتجنب الزواج من أمدادات التقوى والورع
وزكاء الأخلاق ، وأصبح من المحكوم لمن يريد أن يعيش عيشة نزيهة أن
لا يتزوج أصلاً ، أو لا يعاشر امرأته مباشرة الزوج لزوجته ، على الأقل .
وكذلك قرروا ووضعوا القوانين في مؤتمراتهم الدينية المتعددة بأن
لا يختلي رجل الكنيسة بأرواحهم ، وأن لا يتلاقى الرجل منهم والمرأة
إلا بمرأى من الناس ، أو أمام رجلين من رجالهم على الأقل . وما آتوا
جهداً في أن يفتتوا في قلوب الناس اشعور بشدة العلاقة الزوجية
وتجنبها . وخذ لذلك مثلاً أن كان شاعراً بينهم ، أت الزوجين الذين

اتفق لها أن يبيت معاً ليلة عيد من الأعياد ، لا يجوز لهم أن يبيتا ويشترا كما
مع القوم في رسومهم ومباهجهم . كأنني بهم يرون أنها قد اقترفاً بشراً سليماً
حق المشاركة في جعل ديني مقدس عندهم . وقد بلغ من تأثير هذا التصور
الزهدى ، أن تكدر صفوة ما بين أفراد الأسرة والعائلة من الأواصر
وحتى ما بين الأم والولد منها . إذ أمسى كل قرابة وكل سبب ناتج عنه
عقد الزواج بدمناً وشيئاً نجساً .

وعالان النظريتان ما وضعتا من مكانة المرأة وحطتاً من شأنها في
حقول الأخلاق والاحتياج فحسب ، بل كان من مفعولها القوي ونفوذها
البالغ في القوانين المدنية أن أصبحت الحياة لزوجة ممت حرج وضيق
لرجال وانساء بجهاب ، وبجانب آخر انحطت منزلة المرأة في المجتمع في
كل ناحية من نواحي الحياة . فكل ما وضع في عالم الغربي من القوانين
بتأثير الشريعة المسيحية ، لانبوه من الخصائص الآتية :

١ - جهات المرأة تحت سلطة الرجل الكاملة ، من الوصية الاقتصادية
وعادت حقوقها في الإرث محدودة وأما حقوقها في الملكية فكانت
أزراً وأقل . وما كان لها حق متى في كسب بدنها ، بل كان كل
ما عندها ولها ملكاً لزوجها .

٢ - الطلاق وتطلع لم يكونا مباحين في حال من الأحوال فيها بلغ
العرك (البغض) والتنافر بين الزوجين ، ومن بلغ اشفاق بينهما في إفساد
المشيرة عليها وجعلت بيتها قصبة من العذاب ، كان الدين والقانون يحتمان

عبيها دوام العشرة وبقاء جبل الزوجية بينها متصلاً : وأقصى ما كان يمكن عمله في بعض الأحوال الشاذة البائدة من التبت غايتها ، أن يقطع ما بين الرجل والمرأة من الأسباب ويفرق بينهما تقريباً ، على أنه ما كان لذلك الرجل أو تلك المرأة بعد ذلك أن يجدد الحياة الزوجية ويختار لنفسه زوجاً موفعةً أو بملاً موافياً . والحق أن كان هذا الملاج أكثر ضرراً وأشد خطراً من ذلك المرس ، إدها كانا بعد ذلك بين شمس : إما أن يختار عيشة لرحبان والزاهدات ، أو يتعاطيا الفجور وينساق كؤوس الفجشاء طول أعمارهما الباقية .

٣ - وكذلك كان من أقبح العار أن يتزوج الرجل أو المرأة ثانية إذا تولى عن أحدهما زوجه ، بل هو عندنا من كبرائر الإثم . وكان من رأي علماء المسيحية فيه أنه إدعان للشبهات المسيحية ، وإطلاق لسان غريزة الفجشاء ، وكانوا يسترون عن القرآن الثاني بكلمة (لزمن المذهب) . أما رجال الكنيسة فلم يكن الكاح مباحاً لهم في قانون الكنيسة . وكذلك القانون المدني الملم ما كان يُجيز ذلك في بعض الأقطار ، وأما الأقطار التي كان يسمح به فيها القانون ، فما كان يترخص فيه هناك الرأي العام الذي كان متأثراً بالنظريات والتصورات الحديثة .

أوربة الجديدة

ولمّا نهض فلاسفة أوربة وتولوا للرأي والعلم منهم في القرن الثامن عشر ورفضوا عقيدتهم لحماية حقوق الفرد في المجتمع ، ونفذوا في أبواق

الحرية الفردية ، كان بين يديهم ذلك النظام السدني القاسم الذي كان
توانس بتفاعله لاتحاد الثلاثي من طم الاخلاق و فلسفة الحياة المسيحية
ونظام الاقطاعية (Feudal System) وقيد الروح البشرية بقيود
مستقرة غير طبيعية وسدني وجهها جميع سبل رقي والازدهار. النظريات
التي قدمها أساطين أوربة الجديدة وأعطت التفكير الجديد فيها ، للقضاء
على ذلك النظام القاسم واستبدل نظام جديد به ، أسفرت عن ثورة
عرفنا الشهيرة ، ثم تحركت عجلة الحضارة والثقافة الغربية و بقيت
تسير على هدها ، حتى آلت ، بعد تقلبات الزمان ، إلى مرحلتها الحاضرة .

وكل ما فمعه في بدء هذا العهد الجديد لإنهاس المرأة من كبوتها ،
كان له أثر محمود في الحياة الاجتماعية . فقد حققوا شيئاً مما كان في قوانين
الطلاق من شدة وتضييق ، ورددوا إلى النساء حجة سالحة من حقوقهن
الاقتصادية المساوية ، وتداولوا بالإصلاح والتهدب النظريات القائلة بذات
المرأة ومبادئها . وعدلوا أيضاً قوانين العشرة والاحتجاج التي كانت قد
وضعت للنساء في مستوى الحوار ولإملاء في جميع الأمور . كما فتحوا
لهن أبواب التعليم واتزمت المايلين كالرجال . فهذه الطرق والتدابير
القائلة المختلفة انبعثت مواهب النساء وبرزت كفاءتهن التي كانت
مطمورة تحت أثقال فادحة من قوانين المجتمع الخاطئة وتصورات الاخلاق
الجاهلية . فممن شهد اليوت وتحسين آداب العشرة وأبلى بلاء حسناً
في سبل الخير وأعمال البر . فترقية الصحة العامة وتربية الجيل الناشئ .

ومواصلة الرضى وتنمية النظام المائلي وآدائه كل أولئك كان من جوانب كبير
ثمار اليقظة التي حصلت بين النساء بفضل الحضارة الحديثة . ولكن
النظريات التي تولدت من طئها هذه الحركة ، كانت تنقسم من أول يومها
بالزوع إلى الإفراط والميلان عن القصد . ثم غا هذا النزوع واشتد
في القرن التاسع عشر . وما كاد يتبدى القرن العشرون حتى بلغ نظام
الاحتياج الغربي نهاية الإفراط والتباعد عن القصد . وهذه النظريات
التي أشس عليها بنيان لاجتياح الغربي الحديث ، يمكن حصرها في
ثلاثة عناوين :

١ - لمساواة بين الرجال والنساء .

٢ - استقلال النساء بشؤون معاشهن

(Economic Independence)

٣ - الاختلاط لطلق بين الرجال والنساء .

وقد ظهر من نتائج تأسيس اجتماعهم على هذه النظريات الثلاث ما
كان يجب أن يظهر ، وذلك :

١ - أنهم فهموا من معنى المساواة ألا يكون الرجل والمرأة
متساويين في الحقوق البشرية والميزة الحقيقية بحسب ، بل أن تؤدي المرأة
في الحياة المدنية ما يؤديه الرجل من الاعمال وأن يرضى لها من عناء
القيود التعيقية مثل ما أرضى الرجل من ذي قبل . فهذه الفكرة الخطاطفة
لمساواة جعلت المرأة عاقلة بل متعرفسة عن أداء واجباتها الفصرية

وظائفها الطبيعية التي يتوقّف على أدائها بقية المدينة ، بل بقاء الجنس البشري بأسره . واستهوتها الاعمال والحركات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحذتها إلى نفسها بكل ما في طبيعتها وشخصيتها من خصائص فمارك لا تفتأ بالثبات القوية ووظائف اسكاتب والمعدل ومنافسة الرجال في المن التنافسية والصناعية الحرة ، والمشاركة في الألعاب والمسابقات الرياضية وحضور محاليس اللهو والتصف والتطهر على المسارح ولا تترك في حفلات الرقص ولسرات العامة هذه وأمثالها من مشاغل الحياة ومتمتعها وأسباب اللهو واللحون التي يمنع عن ذكرها الحياء من خفيها هذه المدنية البراقة ، هذه كلها قد استولت على مشاعرها وشملت أفكارها وعوطفها شغلا أدعها عن وظائفها الطبيعية وطرد من رالبع حياتها القيام بتمتات الحياة الزوجية وتربية لاطفال وخدمة العائلة وتنظيم الأسرة ، بل كرهه إلى نفسها كل هذه الاعمال التي هي وظائفها الطبيعية الحقيقية . ومن عاقبة ذلك أن انتقام العنثي - الذي هو أنس المدنية ودعيتها لاولية قيد تبتدئ عمله في الغرب . والحياة البيئية - التي يتوقّف على هدوئها وطمأنينتها قوة الانسان اسعملية ونشاطه - تكاد تنعدم وتدخل في خبر كان . وكذلك ربطة القدر والزواج - التي هي الصورة الصحيحة الوحيدة لتعاون الرجل والمرأة على خدمة المدينة - أصبحت عديم أوهن من بيت الشكوت . وبجانب آخر ، قد بدأ العمل على منع تكاثر النسل وازدياد المعمرات - يقتل الاولاد وضبط التوليد وإسقاط الحمل . وجاء التسوّر الخاطيء للمساواة الخلقية يساوي بين الرجال والنساء في التبادل

وفساد الأخلاق، حتى عادت تلك الحزبات التي كان يصحج من مقارنتها
الرجال فيما قبل، لا تستحي من رصكوها ذات جوار في المجتمع
الغربي الحديث.

٢ - ان استقلال النساء عما يشبهن واسطلاحهن بشؤونهن الاقتصادية
قد جهن في عني عن الرجال. والبدأ القديم - أن يكسب الرجل
وتدير المرأة شؤون البيت - قد تبدل وأخذ مكانه رأي جديد، هو أن
يكسب الرجل والمرأة كلاهما، والبيت تقوم من شؤونته إلى المتداول
والشركات. فلم يبق بعد هذا الانقلاب بينها من صلة تربطها في العشرة
البيتية وتجعلها على الحياء الزوجية المشتركة غير صلة الشهوات وعرض
النفس الحيوانية. ومن الظاهر أن مجرد إطفاء أوار الشهوة البهيمية ليس
بأمر يضطر الرجل والمرأة إلى أن يتعاشرا في بيت واحد، مقرونان
في نير الرطة الزوجية الأبدية. والمرأة التي تكسب عيشها يمينها،
وتقوم بجميع وظائفها بنفسها، ولا تحتاج في حياتها اليومية إلى راعٍ يرعاها
أو نصير يمينها، ما لها تلامز رجلا يهينه لإخضاعها شهوتها فقط؟ وما لها
ترهق نفسها بأعباء خلقية وأثقل قانونية في غير طائل؟ ولماذا تتحمل
تبعات الأسرة والمزل؟ وإذا كانت فكرة المساواة الخلقية قد أزال
جميع التبعات والمراقب التي كانت عصى أنف تعترضها في سلوك طريق
الدعارة والفجور، فلماذا تتكسب الطريق الأيسر واليسيل المعتمدة
للشجونة بأفانين السجدة والردة؟ وتسللك الجادة المثقة البالية المحفوفة

بالإكراه والتبعية والتضحيات ؟ أما ما كان على أن يحبك في
صدرها من شعور بالإثم والمصيبة ، فقد ذهب بذهب الدين وقطع
ظله ، وأما خشية المجتمع ، فلا توجه لها ولا داعي إليها ، لأنه بدل
أن يلومها ويؤنبها على قوتها وعبرها ، قد هدد بثلثها باليسر
والترحاب . وآخر ما كانت تخافه هذه وأخواتها هي المولود القتل الذي
ألده من فاجر منمورء ولكن قد أذهب عن نفسها هذا الخوف مما يذكر
أخيراً من أساليب التخلف منته . وأولها تدابير منزع الجمل . فإن
أخفقت ، فلا بأس بإسقاط الجنين . وإن لم يتحقق ، فلا حرج في قتل
المولود من وراء الجدران ، في جنح الظلام ، وإن أنت عاطلة
الأمومة . ويلها من عاطفة خبيثة لا تكاد تموت على كل هذا الرقي
وتمدن . قتل المولود ، فلا تؤم على الفتاة في كونها أمّاً لأن رثية
لأبهم قد قضوا الوطر من الدعية لتكريم (الأم اسفراء) و (ولد الحرام) ،
وقد بلغ من تأثرها في النفوس أن المجتمع الذي يتحرراً على أزدريائها
والخط من شأنها ، لا جرم أن يبوء هو نفسه بتهمة الرجعية وحكم
التخلف والجهود .

هذا هو الذي قد نرى ببيان المجتمع القوي من القواعد وزلزل
كيانه زلزل لا . ففي كل قطر من أقطارهم ترى مئات الآلاف من الفتيات
والنساء عوانس ، يرتدن عوارد الفحشاء والشهوات من غير تحفظ
ولا خجل . وهن في كثرة العدد ثلاثي يتزوجن في مسورة من

عاطفة الحب العارضة ، ولكنه لا يبق بين الرجل والمرأة من صلة - غير
صلة شحنة الجنسية - تموج أحدهما إلى الآخر، وتجيهرهما على العشرة الزوجية
استمررة ، قد عادت أمثال هذه الاواصر الزوجية كأوهن ما يكون من
الامور . فالزوج والزوجة المذان قد استنفى كل واحد منها عن صاحبه ،
لا يرضيان بأن يراعي أحدهما مصلحة الآخر ، أو يجلس له ويداريه في
شأن من شؤونهما . أما عواطف الحب والغرام المنبثقة من الشهوة البهيمية ،
فلا تلت أن تخف سورتها وتخمد لرها . ثم لا يكون بينهما إلا نزاع
طفيف أو اختلاف قاف ، حتى تنصرم بينهما الاسباب . وقد يكون انطفاء
جدوة الحب بينهما وحدة سبباً كافياً لافتراقها . ومن ذلك ترى أن الاواصر
الزوجية عندهم يؤون أمرها إلى طلاق أو فرقة . وهذه الحك الرائعة
هي السبب في شيوع المفاسد من منع الحمل وإسقاط الاجنة وقتل
الاولاد والمحاض تسب الموايد وكثرة الولاد النول ، وكذلك لها
يد وأي يد في انتشار الفحشة والخلاعة وازدياد الامراض
السرية اعتسكة .

٣ - وقد استحدث الاحتلاط المطلق بين الرجال والنساء عريضة
التبرج والعري في النساء ، وزواجهن تلوثاً بالفواحش الفجائية الجنسية
(Sexual Attraction) التي قد أودعتها فطرة الرجل والمرأة ولها
عليها سلطان لا ينكر ، تزداد قوة واشتداداً باختلاط الجنسين وتختفي
حدوده بكل سهولة . ثم من شأن هذا المجتمع المختلط ان تنشأ فيه عريضة
جديدة في الجنسين ، وهي الظهور بأبهى مظاهر الزينة واجذبيها

Attractive الجنس الآخر . وإنما لم يمد التزيم من أسباب الزينة
 وإن جعل شيئاً يتكرر ويُناب ، أفضل من تلك النظرات الخلقية ، بل
 يستحسن التبرج السافر والاختذ بكل أسباب الفتنة والاستهواء ، فلا
 يقف هذا الاقتتان بإبداء الزينة والجل عند حد ، بل يتجاوز الحدود
 كلها واحداً بعد آخر ، حتى ينتهي أمره إلى آخر غابات العري المشين .
 وهذا ما قد وصفت إليه الحال في المدلية القريبة . فقد ازدادت - ولا تزال
 تزداد - في المرائعة التجميل وحب الظهور بالمظاهر الجذابة للرجال
 إلى حد أن لا تكاد تفتح نفسها الوثابة المتطشاة بالباس البرودة
 لفاتنة وأسباب الزينة المتجددة من الوشني والتطريف والاصباح
 والخلى ، بل تطمح إلى ما وراء ذلك ، تكاد تتجرد من ملابسها وتريد
 ألا تستر حبيبها هدية قوبل بها . هذه حال المرأة عندهم . وأما
 الرجال في ترغدهم كل هذه المظاهر الحلافة من الخجل النسوي
 إلا شوقاً وطموحاً ونهمة . لأن قار الشهوة والمعلقة البيعية المتأججة
 في الصدور لا تخمد بكل منظر جديد من خلعة والسفور ، بل تزداد
 طمياً وتتطلب متعلماً آخر أكثر منه سُوراً وحُوراً وتكشفاً ،
 منهم في ذلك كثر من نصيبه لفحة من لسموم ، فيكاد لا يسكن
 ظمؤه . كلما ازداد شرباً زداد عطشاً وطعاً ، فهم دائماً في إعداد أدوات
 وتهية أسباب وظروف لإطفاء آوار شهوتهم ليربح بهم . ولا يبدأ لهم
 دون ذاك بل ولاهم يستقر لهم قرار ، وما هذه الصور العارية وهذه
 الآداب المكشوف وهذه القصص الفراسية وهذه الرقص والمبازل

والبر حيات المشحونة بالمواطن والتزعت الفارمة « ماهذه كلها إلا »
غادج من جلودهم وحيثهم - التي يتعاملونها لإخماد ناراشبهوات الجماعة
ولكن في الحقيقة لاستارتها والتميز فيها - التي أجبجتها هذا المجتمع
الماجن وتلك الحياة الاجتماعية الضالة في صدر كل فرد من أفرادهم .
ولكنهم قد سموه الفن (Art) لانقاء هذا الضمير الكامن في نفوسهم
وفي حياتهم !

ولا يزال هذا الداء الويل - من غلبة الشهوات البهيمية . ينخر في
كيان الاسم لفريقية وينتقص من قوة حياتها بسرعة هائلة . والتاريخ
يشهد أنه ما سرى هذا الداء في معاصر أمة إلا أوردها موارد انتفد
والفناء . ذلك بأنه يقتل في الإنسان كل ما آله الله من القوى العقلية
والجسدية لبقائه وتقدمه في الحياة . وأنسى للناس - لعمر الله - ذلك
المدوء وتلك الدعة واسكنة التي لا بد لهم منها لمعالجة أعمال الإنشاء
والتعمير « وما دامت تعصط بهم محركات شهونية من كل جانب »
ونكون عواطفهم عرضة أبدا لكل فن جديد من الإغراء والتوسيع ،
ويحيق بهم وخط شديد للاستشارة هوي التحريض ، ويكون الدم في
عروقهم في غليان مستمر يتأثر ما حولهم من الأدب الخليع والصور
العارية والأغاني المذممة والأفلام الترامية والرقص الشر والمناظر الجذابة
من لجل الانشوي المريان ، وفرس ، لاحتلاط بالصنم الخالف ؛
استغفرا : بل أنسى لهم ولأجيالهم الناشئة أن يجدوا في غمرة هذه
المرجات الجو الهادي المعتدل الذي لا مندوحة لهم عنه لتبشئة قواهم

الفكرية والعقلية ، وهم لا يكادون يفهمون الحلم ، حتى يشاكلهم غول
الشهوات البهيمية ويستحوذ عليهم ؟ وإذا هم وقفوا بين فراخي هذا القول
فأنشئ لهم النجاة منه ومن غوائله وعواده ١٢

تفسير الفكر اليوناني

هذا البيان الموجز لتطورات التاريخية لمتدء على ثلاثة آلاف سنة
راجع إلى بقعة صغيرة من هذه الأرض ، قد كانت فيما حلا مشوي
لحضارتين عظيمتين في تربع البشر ، وهما قد تألق نجم حضارتهما في
سماء الدنيا مرة أخرى . ومثل هذه التطورات التاريخية قد حصلت في
كل من مصر وابل وفارس وغيرها من الممالك . وكذلك في وطننا
شبه القارة الهندية - أيضاً عامداً في أمر المراتين طرفي الإمبراطور لثمر يبط
فترى فيه بجانب أن المرأة تتخذ مملوكة ويذل الرجل منها منزلة المالك
والمملوك . وهي محتوم عليها أن تظل "مملوكة" لأنها بكر أو ولد لها شيئاً
ولأولاده . أتماً ، ثم تقدم ضحية على نيران زوجها إذا مات عنها (١) .
وتحرم حقوق الملكية والإرث . وتكتم بأشد ما يكون من قوانين
الزواج مما يسمح تسليم المملوكة إلى رجل من الرجال بغير رضاها

(١) ان الملاك يحرقون موتاهم . وكانوا فيه يحرقون زوج الميت معه
حيّاً ، حتى منتهى الحكومات السليمة ، والحكومة الانكليزية بعدها من هذا
الرسم القبيح .

حواسها ، ثم لا يميز لها أن تتخلص من حيازته إلى آخر انفس
 حياتها ، وهي تعتقد بهذا ذلك مادة الإنم وعنوان الانحطاط الخلفي
 والروحي . ولا يسلم لها حتى وجود الشخصية المستقلة ، وبجانب آخر
 اذا أقبل على القوم بالعبادة والاعطاف ، فإنها تتخلف أبهة للشهوات
 الحيوانية . وهناك تركب المرأة هوى الرجل ركوباً يكتسبها من قيده
 فتستغف به الطريق ، حتى تصل به في يداه الحياة وتفضل الأمة كلها
 معها . هذه التقاليد الدينية الهندكية من تقديم فرج الذكر والانشى
 (لك وبوني) وعبادة التهايل العارية للزوجة ، وتكريم خدمات
 الماييد امواهن Religious Prostitutes واختلاط الجنسيتين في ألعاب
 عيد (هول) وفي النسل المطهر في المياه المقدسة في حان نؤشك أن
 تكون عرباً .. ما هذه كلها ؟ وأي شيء تدكره به وتبدل عليه ؟ إن
 هي في الحقيقة إلا باقيات السوء لتلك الحركة (ليدم ماركية) التي
 انتشرت في الهند أيضاً . انتشار الوباء عقب ازدهار الحضارة فيها . كما
 انتشرت فيما قبل في بابل وفارس واليونان والروم . وتركت الأمة
 الهندكية في حال التخلف والانحطاط لمدة قرون .

إنك إن تأملت هذا البيان التاريخي الموجز ، تبين لك مبلغ عجز
 الانسان عن الاهتداء إلى نقطة الاعتدال في أمر المرأة وكيفية تقصيره
 في فهمها والاستمسك بها . وهل نقطة الاعتدال في أمر المرأة إلا أن
 تفتح لها القوس الكاملة لتنشئة مداركها وإثراء كفاءاتها ، وأن
 تؤهل للقيام بتصحيحها من العمل على ترقية المدنية والحضارة الانسانية

بكل ما غلّكه من الكفاءات الراقية برقيّ التمدن . ولا تنكح
 - بجانب آخر - أداة التقسّخ والاضطاط الخلفي وسبباً طواب
 الإنسانية . بل يجب أن توضع النشون الجنسين في مضمار الحياة خطية
 مستقيمة تضمن مشاركتها في العمل كل ملذع والبركات للتمدن البشري
 ونقطة الاعتدال هذه ما زالت ضائعة الدنيا منذ قرون من السنين ،
 ولكن لم تظفر بها بعد . وإنما بقيت تحبط الطلاء دونها ، غارة قتل إلى
 التفریط فتجسد النصف لكامل من النوع البشري عضواً مسطلاً عن
 العمل ، وأخرى إلى الإفراط فتتجسد بين طرفي الانتمائية بأسباب
 الخلاعة والإباحية والعجور ، فتفرقها ممّا في النجّة الضلال .

ليست نقطة التصد والاعتدال عبودة اليوم ، بل هي لمن يطلبها
 مهتاة موجودة . ولكن اناس : دارت بهم الرضى بين الاقراط والتفريط
 منذ آلاف من السنين ، قد أصبحوا ، لدهشتهم ودهوشهم لا يكادون يرفعونها
 إذا هي مثلت امام أعينهم ، ولا يسمون ، إذا تابوها ، أنها هي التي لم تزل
 فطرتهم تطلبها وتلتصقها . وأعجب من ذلك أنهم وما يتكثرون لبغية
 هموسهم هذه ، ويصنعونها ويشتغلونها هزواً . ثم يسكنون الأمر ،
 فيبدل أن يلوموا أنفسهم ، يلومون ونصبجون من مجدونه مستسكاً بها
 وداعياً اليها ، مثلهم في ذلك كمثل طفل انصافي يولد في مبدن رخام ، ولا
 يرحه حتى يشب . فيكون جوّه الضيق انظم في عينه جواً صافياً
 مشرقاً ، وهو أنّه المخبوس الكدر في شعوره هواء خالصاً طلقاً . فإن

أنت أخرجته فجاء من مضيق الممدن إلى براح الأرض ، لا جرم أنت
بُنكر لأول رحلة كل ما ير في هذا الجو السافر المشرق ، ويستوحش
منه . ولكن الانسان بها كان من فساد بيئته وتربيته ، إنسان على كل
حال . فإلام يأتري يخفى على عينيه الفرق بين سقم من الرغام الاسود
والسما المتلألئة بالنجوم الزواهر . وإلى متى يغوت رتيته التمييز بين الهواء
انكاس في عيابة الممدن والهواء الطيب في فضاء الارض ؟

موقف المسلم في العصر الجديد

إذا كان هناك من هو جدير بأن يأخذ بيد الإنسانية الخائرة بين طرفي الأزمات والتفريط ويهديها سواء السبيل ، فهو المسلم وحده الذي عنده مفاتيح جميع معضلات حياة الاجتماعية . ولكن من سوء نصيب الإنسانية - وأسفاه - أن الذي كان يده المصباح المنير في هذا الظلام الحالك ، أصيب هو نفسه بالمشاوة لجليل يخبط في سيره يخبط عشواء ، وبذلك أن يهدي غيره من خلق الله ما زال - ولا يزال - يضيء وراء كل معتسف ويتبع كل تائع .

إن حمة الأحكام التي يُطابق عليها عنوان (الحجاب) هي في الحقيقة مشتملة على أهم أجزاء قانون الاجتماع الإسلامي ، فردا وضمت هذه الأحكام موضعها الصحيح في نظام ذلك القانون ، كماله ، وتم تأملها أحد فيه آثاره من البصيرة الفعارية السليمة ، لم يلبث أن يدرك بأنها الصورة الوحيدة الممكنة التي تضمن القصد والاعتدال في الحياة الاجتماعية ، وأن هذه المجموعة من الأحكام إن عُرِضَتْ على العالم متفردة في الحياة العملية بروح الحقيقة الصحيحة ، أهرؤلت لدنيا المشكوبة إلى هذا المنبع

السلام ، نلتصق فيه الدواء لأدوائنا الاجتماعية ، بدل أن نتغرمته أو
نظمن عليه . ولكن تمن لك هذا الامر ، فإن الذي كان جريماً به القيام
به لا يزال هو نفسه صريح المرض . منذ زمان ، ولله يهدى بنا ، قبل
أن نتقدم في البحث ، أن ننظر في كيفية مرضه بظاهرة :

السياق التاريخي

في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر فوجئت
أهلنا الإسلامية بطوفان من الاستعمار الغربي ، وبيت المسلمون في وجود
الكبرى ، لم يستيقظوا بعد كل القطة ، جعل هذا السيل يتدفق من قطر
إلى قطر ، حتى شرقى العالم الإسلامي وغرب ، وما إن تشفى القرن
التاسع عشر حتى فكت معظم الامم المسلمة عبيداً للغرب الاوربي وخولاً
له . والتي لم تدخل منها في عبوديته ، لم تسلم من الخضوع لسلطانه ورحمة
بأسه ونجدة . ولا طلع هذا الاقلاب تمامه ، بدأت في المسلمين آثار
القطة والحركة ، فقد فتحوا أعينهم على الحال التي قد رويها ، فثلت
ريهم ورأى عنهم فئة ذلك لفخار القومي الذي طالما تأسل فيهم بقائهم
في عز ائنة ومحد اسيادة من قرون متوالية . فمادوا بفكرات في
أنفسهم ، كالسكران يشعجه نوالى العربات من عدو شديد ، ويبحثون
عن الابواب التي هبطت بهم وعلقت الا فرنج عليهم ، غير أن عقولهم لم
تكن ذات بعد إلى رشدها ، إذ كان السكر لا ريب قد ذهب عنهم
ولكن ميزن الفكر كان بعد غنلاً بهم . فبجانب ، كان يلح بهم شعور

بالقلة والخوان ، ويؤثر ثم أُرْأ على تبديل مام فيه من الحالة ، وبجانب
 آخر ينضم من حب الراحة وإيفار الدعة والارحماء ما يحملهم على توخي
 أقرب الطرق وأسبيلها لتبديل تلك الحالة . وقد خارت فيهم من حبة نائلة
 قوى الفكر واقل وصدرت ملكات لفهم والذكاء ، بطول تعطيل عن
 العمل . زد على ذلك كله ما أخذ عيهم نفوسهم من الدهشة والروعة
 التي تمرى بالطبع كل أمة منزهة مستعدة . وتفاعلت هذه الأسباب في
 حيي الإصلاح من المسلمين وأوقستهم في حكاير من الصلوات العقلية
 والعملية . فأكثرهم ما كانوا يفتنون للاسماء الحقيقية في ارتقاء أرونة
 والمحاطين . وأما الذين فهموها منهم وأدركوها ، فأعوزهم من بُعد
 الحمة والمزينة والروح المجاهدة ما يشجعون به على اختيار الطرق الجيدة
 للرقى والتقدم ، وكان من وراء ذلك كله الروعة والدهشة التي تشترك
 فيها كلتا الطائفتين على السواء . فلما مضوا بهذه العقلية المربضة الزائفة
 يريدون الإصلاح لم يروا أضيق الرقى ولا أدنى الوسول اليه من أن
 يحاكيوا في حياتهم اليومية كل مظاهر التمدن والحضرة الغربية ،
 فيمودوا كالمرآة الصافية يرى فيها خيال الروضة والازهار والرياحين ،
 وليس فيها من حقيقة هذه المناظر شيء .

العبودية العسكرية

وهذه هي العترة البحرانية التي غدت الامم المسلمة فيها تحاكي أمم
 الغرب في الزي واللباس ، وتتشبه بها في مظاهر الاجتماع . وفي آداب

المجالس وأطوار الحياة ، حتى في الحركة والفكر والتفكير ، وحاولوا تشكيل المجتمع المسلم على الصيغة الغربية . وقبلوا الإلحاد والهرطقة والبدعة في نشوة التجديد ، بدون حيلة أو شعور بالمواقف . وعدوا من لوازم التنوير الفكري إيمان المرء بكل ما يلقاه من قبل الغرب من فكرة خاطئة أو وجهة وإلحاحية مبدئية محال . ورحلوا بالخر والفار واليانصيب . وميلوا الخيل . وما إلى ذلك من ثمرات الحضارة الغربية . ثم سلطوا بجميع معتقدات الغرب وأعماله في الاخلاق والآداب والاجتماع والعلوم والسياسة والقانون ، حتى في العقائد الايمانية وعباداتهم ، بكل ذلك من غير فهم وشعور أو تقدير وتوجيه ، كأنه قول من حكيم حديد ، ليس لهم قبلة إلا أن يقولوا : آمنا . وأصبح المسلمون بأنفسهم يستحيون من كل ما نظر إليه أعداء الاسلام القدماء بعين التحقير أو التمييز ، من وقائع التاريخ الاسلامي ، وأحكام الشريعة الالهية وآثار الكتاب والسنة ، وطفقوا يحاولون أن يحووا تلك السنة عن أنفسهم . . . اعترض أهل الغرب على ما عندهم من الجهاد . فقال هؤلاء : ما لنا وللجهاد يا سادة ؟ إننا نعود بالله من هذه . طمعية . واعترضوا على لربنا . فقال هؤلاء : ما لنا هو حرام عندنا أملا . وأطالوا السان القند في تسديد الزوجات . هؤلاء ينسخون آيات القرآن ويحرفون الكلم عن مواضعه . ثم قال أولئك : لابد من مساواة الرجل والمرأة في جميع نواحي الحياة . فواقفهم هؤلاء قلوبهم . هذا هو الذي يطمحون به أيضا . وطمع القوم في قوانين الزواج والعلاقات في الاسلام . قدمت طائفة من المسلمين تماثلها

جلا صلاح والتهديد . ولما علموا الاسلام بأنه عدو للفنون الجميلة ، استدرك هؤلاء قائلين : لا ، بل مارا الاسلام ، مذ كان ، يشرف على الرقص والموسيقى والتصوير ونحو التماثيل .

نشوء مسألة الحجاب

كان هذا الدور أُنْخِثَ الادلول وأُخْزِلَ في تاريخ المسلمين . ففي هذا العصر نشأت مسألة الحجاب . ولو كان البحث في هذه المسألة مقصوراً على تعيين الحد الذي وضعه الاسلام لحرية المرأة ، لكان الامر ، ولم يستمر حله . لأن أكثر ما هناك من الاختلاف بين المسلمين في هذا الباب هو منحصر في وجه المرأة وبديها : هل يجوز إيرادها أم لا ؟ وليس هذا الاختلاف بحظير جداً ، ولكن الواقع هنا غير ما ذكرناه . الواقع في الحقيقة أنه نشأت هذه المسألة في المسلمين لكون الغرب قد خطر إلى الحجاب واللقاب والحريم بين المقت والازدراء وصورة أُنْبِغ تصوير وأشته فيها كتب ونشر ، وعدة (حَبَس) المرأة من أبر عيوب الاسلام . وأتى كان المسلمين أن يضعوا على هذه التقيصة التي أخذها الغرب عليهم فيما أخذوا ففعلوا في هذه المسألة . الحجاب . مثل ما فعلوا أيضاً في مسائل الجهاد والرق وتعدد الزوجات وما شاكلها من المسائل ، فمهدوا إلى الكتب والسنة بتصفحون أوراقها ، وإلى كتب الفقه والاحكام ينقبون عن اجتهادات الأئمة فيها ، سلهم يجدون في ثنائها ومطابها حايثهم على غسل هذا اسار قدس عن أنفسهم . فدايم يقومون على أقوال

لبعض الأئمة تمييز المرأة أن تبدي وجهها ويديها وتخرج كذلك من بيتها
لحوائجها ، ويحلم منها أيضاً أن المرأة يجوز أن تشهد الحروب لتسقي
المجاهدين ومداداة المرضى . ثم وجدوا في تلك الأقوال إنداءاً بخروج
المرأة إلى المسجد للصلاة وحلوسها للتمتع والتعليم . فكفدهم هذا ، لقدرة من
المعلومات لأن يدعوا أن الإسلام قد أعطى المرأة حرية منطقة ، وأنه
لحجاب من تقاليد الجاهلية ، اتخذه المتأخرون من المسلمين الحامدين
المضطرين ، ويحلون من أحكامه ، القرآن والحديث . ويحذرون القرآن والسنة
بمقابل الحياء والخشوع على سبيل التعليم الخلفي ، وليس فيه قانون أو ضابط
يقيد حركة المرأة وتنقلها بغير ما .

المرحلة الحقيقية

ومن الضعف الطبيعي في الإنسان أنه إذا اختار مذهباً من المذاهب
في شؤون حياته يكون يده اختياره لذلك المذهب نوعاً عاطفية غير
عقلية . ثم يأتي سد ذلك ، فيستعين بالانطق والعقل على إثبات كون زعمته
تلك صحيحة معقولة . كذلك وقع في أمر الحجاب أيضاً ، فلما عجزت
المسلمين مسألة الحجاب لشورهم بضرورة عقلية أو شرعية ، وإذا كان
مآثها فيهم ذلك النزوع والميلان الذي نشأ من تأثرهم بهريق حضارة أمة
غالبة ، ومن أوتدعهم لدعاية تلك الأمة في عداة التمدن الإسلامي .

وذلك أن رجال الإصلاح من المسلمين لما رأوا المرأة الأوروبية وما
هي عليه من زينة ونجاسة ، وحرية في الحركة والجولة ونشاط زائد في

في الاجتماع الثري . . . رأوا كل هذا بيون مسجورة وعقول مندهشة ، فغثوا بدفع لطيفة أن يجدوا مثل ذلك في نسايتهم أيضاً ، حتى يحاري غداًهم قدان لقرب . ثم أثرت فيهم نظريات الجديدة من حرية المرأة وتعليم الإناث ومساواة العنصرين . . . التي كانت تنصب عليهم كالوابل المذراة بلطفة قوية منطقية وفي طبع أنيق جذاب . حتى أمانت هذه الكتب والمشورات الثرية بقوة دعائها مكملة انتقد و لخرح فيهم . فاستقر في سويداء قلوبهم أنه لا بد لكل من يرغب أن يمد من (المستنيرين الجدد) ويدفع عن نفسه تهمة الرجعية و (الديتافوسية) أن يؤمن بذلك النظريات إيماناً بالغيب ويؤيدها وبمحامي عنها فيما يكتب ويخطب ، ثم يروجها في الحياة المدنية حسب ما أوتي من همة وجراءة . كان هؤلاء تكاد تسوح بهم الأرض من فرط الجبل حينما يرون الثريين يتكئون بفساتهم ، ينتقبات المستورات في اللباس العادي ، ويبرزونهم بـ (الحناظر المكمنة المتحركة) ، وإلى متى ، يا ترى ، يطيق القوم الصبر على هذه الوحزات ؟ . لذلك استعدوا آخر الأمر بالخوض أو بالكسر . . . لأن يقوموا فيدهموا عن أنفسهم هذا لمار المشعري .

وهذه هي التمرعات والمواطف التي صنت المسلمين على القيام بحركة (تحرير) المرأة ، التي قاموا بها في أوخر القرن التاسع عشر . فمنهم من كانت هذه النزعات كالمئة في شعورهم الخفي ، فلا يدرون بأنفسهم ماذا يحرقهم ويدفعهم إلى تلك الحركة ، فكانوا غددوعين عن أنفسهم . ومنهم آخرون كانوا يشعرون بزعزعتهم تلك شعوراً تاماً ولكنهم يستحيون

ويُحجمون عن إبداء نزعاتهم الحقيقية ، هؤلاء لم يكونوا يخدعون بل
 دُعاة "خادعين" وعلى كل "قام هذان القريبان كلاهما بجمل واحد هو أنه
 سحب ذيل الخفا" على الحركات الحقيقية لحركته تلك وحاول أن
 يظهرها عتبر حركة عقلية بدلاً من إظهارها حركة عاطفية ، وساق في
 تأييدها جميع الأدلة التي تلقاها من الغرب مباشرة كصححة النساء
 وارتدتهن في مجالي الفكر والعدل ، وحقوقهن العنصرية واستقلالهن
 الاقتصادي ، وتخلصهن من ظلم الرجال وأثرهم ، وانحصار رقي المدينة
 في رقيهن ، لكونهن شرطاً كاملاً من الأمة . . إلى آخر هذه الحجج ،
 حتى يتخذ عامة المسلمين ولا يقتنع عليهم صميم المقصد من تلك الحركة ،
 وهو حمد امرأة المسفة على اقتداء آثار المرأة الأوروبية وانتشاع الطرق
 الاجتماعية الرثجة بين أمم الغرب .

المزاج المدكبر

ولكن أمدى وأحدث ما عاينوا يخدعون به الناس في هذا الصدد هو
 احتياهم لإنبات حركتهم الضالة موافقة للإسلام باستنبط من القرآن
 والسنة ، مع أن هناك بوناً بعيداً بين الإسلام والخضوة القرية في المقاصد
 العامة وعبادىء تنظيم الاجتماع . ذلك أن المقصد الرئيسي الذي يريد أن
 يحققه الإسلام هو - كما سيبيته فيما يأتي - كبح جماح عبثية الانسنة
 الجنسية (Sex Energy) وضبطها وتقييدها بضابط حقيقي يضمن
 استثمارها في بناء تمدن صالح مطهر ، بدلاً إصطها وتضييدها في القوضى

المصلحة والهياج الجنسي، ومقصد التمدن الغربي - بخلاف ذلك - هو حث سير التمدن بإشراك المرأة والرجل في تدبير شؤون الحياة وتحمل تبعاتها على حد سواء ، واستعمال الفرائض الشهوانية في مشاغل وفنون تحول متاعب الحياة وآلامها إلى لذت ومسررات ، ومن نتيجة هذا الاختلاف في المقاصد بين الاسلام والتمدن الغربي ان يكون بينهما اختلاف مبدئي في طرق تنظيم الاجتماع . فالاسلام يصح نظاماً للاجتماع حسب مقاصده فـ "فصل فيه بين دائرتي عمل الرجل والمرأة إلى حد كبير ، وحظر اختلاط الذكور والإناث بدون قيد خلقي ، ثم حسنت فيه جميع الاسباب التي تقلل هذا الضبط والتقييد . وبخلاف ذلك فإن ما تقتضيه طبيعته المقصد الذي يرمي اليه التمدن الغربي ، هو أن يدفع الجنسان - الرجل والمرأة - إلى ميدان مشترك في الحياة وترفع من بينها جميع الحجب التي قد تحول دون اختلاطها الحر ومعاملتها المطلقة ، وإن تاح لها الفرص الكاملة غير المحدودة لاستمتاع أحدهما بحال الآخر ومحاسنه الجنسية .

ولك ان تقدر منه أنه ما أكرم القوم الذين يريدون بحجاب أن يتحوا التمدن الغربي ، ثم يحتاجون تعليم ذلك بقوانين النظام الاجتماعي الاسلامي ، وما أكبر خداعهم هذا الذي يخدعون به أنفسهم أو غيرهم . إن أقصى ما أوتيت المرأة من الحرية في الاجتماع الاسلامي هو أن تبدي وجهها وبديها إذا دعت الضرورة ، وأن تخرج من بيتها لأوان الحاجة ، ولكن هؤلاء يجادلون هذا الحد الأقصى من حريتها نقطة البدء وبداءة

المسير ، فيقومون من آخر حدود الاسلام ويتقدمون في سبيل الحرية ويمتنون ، إلى أن يخلصوا عن أنفسهم كل الحياء والاحتشام . فلا يقف الامر بإناتهم عند ابتداء الوجه واليدين ، بل يجاوزه إلى عرض الشعر المشرح والذراع المكشوفة والنحو العراقي أو شبه العراقي ، وللبساء ذلك من محاسن الجسد ومفاته في لباس شفاف ينم عن كل ما يرضي شهوة الرجال . وهذه الهيئة لا تبدو فيها الارواح والبيئات والاحوات أمام عمار من فقط ، بل يخرج من بكل تخرج من يوشن وعشرين في الاسواق ويمتن في الكليات مع الرجال وباتين العنادق وبالسرح ، ويسح لمن من التكلم والمداخلة مع الاجانب ما لا يباح لمن في الاسلام حتى مع احوالهم ! وتدخل رخصة الاسلام للمرأة في الخروج من البيت عند الضرورة وبشرط مراعاة حدود السر والتراتم الحياء . على أن تقدر وزوج في الطرقات وتقتضي المتزهدات وتتردد إلى الملاعب ولبنها مرتدية أحمل الملابس الجذبة وأقنعتا لتناظرين بالحركات المفربة والنظرات الجريئة . ويتخذ إذن الاسلام للمرأة في ممارسة أمور غير الشؤون المنزلية ذلك الإذن لمقيد الشروط بأحول ومبررات خاصة . يتخذ حجة ودليلا على أن تودع المرأة المسمة كالفرنجية جميع تيمات الحياة المنزلية وتدخل في النشاط السياسي والاقتصادي والعمراني ، فتسير الرجل وتسمى معه بل تشاركه في كل ميدان من ميادين العمل !

وهذا كان لامر واقعاً عند هذا الحد في البلاد الهندية . فإنه قد طغى كل الحدود في بعض بلاد المسلة حيث قد وثق به أولئك الاحرار

على سياستهم ، العبيد في عقليتهم أشواطاً طويلاً ، فقد أصبحت النساء
 المملكات عتدهن بلبس عبي القبايس الذي تلبسه المرأة الأوروبية ، حذو
 «القدّة بالقنّ» . وأدعى من ذلك وأمس أن تنشر الحلات من صورهن
 ما ترى فيه إحداهن في لبس السباحة على شاطئ البحر ، ذلك القبايس
 الذي لا يستر من جسدها إلا الرع ويكشف الثلاثة الأرباع الباقية كل
 الكشف . وحتى ذلك الرع لا يستره إلا بحيث تبدو من خلاله جميع
 مفاتيح الجسم من أحناء وثنيات .

ولا ندري أي القرآن أو الحديث يُستخرج منه جواز هذا النمط
 «المبتذل من الحياة» . وإنكم فالخوف الشديد إن شاء أحدكم أن يفتح عبر
 سبيل الاسلام فهلاً يحترق ويصرّح بأنه يريد أن يفتي على الاسلام
 ويطعن من قانونه ؟ وهلاً يقرأ بنفسه عن هذا العقد النعيم والحيانة
 الوقعة التي تُربّئن له أن يتبع علناً ذلك النظام الاجتماعي وذلك النمط
 من الحياة - الذي يحرم الاسلام كل شيء من مبادئه ومقاصده وأجزائه
 العملية - ثم يخطو الخطوة الاولى في هذا السبيل باسم انتاع اقرآن
 كي يتقدم به الناس فيحبوا أن خطواته التالية أيضاً موافقة للقرآن .

غايتنا في هذا الكتاب

هذا هو حال المسلم في هذا العصر الحديث . فبين يدينا الآن
 وجهان اثنان للبحث ، متصعبا نكتب عيشنا ، إن شاء الله في
 هذا الكتاب .

أولها أننا نريد أن نشرح نظام الاسلام الاجتماعي ونبيئته لجميع بني
آدم - مسلمين كانوا أو غير مسلمين - ونوضح لهم المصالح التي من أجلها
شرح الحجاب في هذا النظام .

والثاني أننا نريد أن نضع بين أيدي مسلمي هذا العصر أحكام القرآن
والحديث ، ونضع أمامهم بآرائها نظريات تعتمد والاجتماع الغربيين
وشرائها وتآلفها ، حتى يختاروا لأنفسهم أمراً يمينه من الأمرين ، شأن
أهل الرزافة والحدّة ، ويتركوا موقفهم الحاضر الذي هو أبعد بدوي
النفق ، إما أن يتبعوا أحكام الاسلام ، إن كانوا يريدون أن يكونوا
مسلمين ، أو أن يقطعوا صلّتهم عن الاسلام ، إن كانوا مستعدين لقبول
تلك العواقب الوخيمة التي سييسر انظام الاجتماعي الغربي بهم
إلّا لا محالة .

النظريات

إن الأسباب التي من أجلها يظن الطاعنون في الحجاب ليست من
أنوع السلي وكفى ، بل هي قائمة في الحقيقة على أساس إلحائي توراتي
الحجة والبرهان . وليس مبعثها أن القوم يرون قرار النساء في البيوت
وحروجهن منها متواريات بالحجاب نوعاً من التقيد والتضييق لا يجوز ،
فيريدون التاء . بل الأمر أن نمسب أعينهم عينة أخرى لحياة المرأة ،
وهم يستقلون بنظرية في علاقة مدين الرجل والمرأة ، يودون ألا تفعل
المرأة ما هي فاعلة الآن ، بل تخرج من طورها الحالي وتفعل (شيئاً آخر)
ولا كان الحجاب وملزمة البيت حائلاً بينها وبين تلك الصيغة المنقوشة من
الحياة ، وعائفاً لها من أن تفعل هذا الشيء الآخر ، فانهم يتجهون على
الحجاب يرضونه ويترضون عليه .

فلنطرح ما هو ذلك (الشيء الآخر) ، وماذا وراءه من نظريات
ومبادئ ، وما هو ميله من الصحة ؟ وإلى أي حد يستسيغه العقل ؟ وما
هي النتائج التي قد ظهرت له بالفعل ؟ وينتهي أذا إن سلطنا بنظريات
هؤلاء القوم ومبادئهم كما هي بدون نقد أو تجريح ، فلا جرم أن يود

الحجاب شيئاً باطلاً ويقوم البرهان على خلال النظام الاجتماعي الذي من
أجزائه الحجاب، ولكن ما المبرر لأن نسمي بعلمائهم تلك بدون أن
ننتقدنا ونخبرها على محك لقل والتجربة ؟ وهل يكفي كون أمر من
الأمور جديداً مستحدثاً ، وكونه في الدنيا رائجاً مقبولاً لأن يقبله
المرء ويؤمن به بدون تحقيق أو تمحيص ؟

تصور الحرية في القرن الثامن عشر

إن أساطين الفلسفة والأدب وأقطاب العلوم الطبيعية ، الذين رموا
لواء الإصلاح في القرن الثامن عشر ، كانوا - كما سبق لنا الإشارة -
يحاربون نظاماً تتمدن فيه أنواع من القيود والسدود ، وفيه صلاية من غير
حرونة ، وعسر من غير يسر ، طاغياً بالتقاليد النائية التي لا يقبلها الطبع ،
والضوابط الجامدة ، والنظر المناقضة للضرورة والمقل ، وزاد طينه بلة
انحطاط القوم المتواصل على طول لقرون ، جعله عقبة كاداه في كل
طريق للرفي . بجانب كانت النهضة العلمية ولعالية الجديدة تمت في
نفوس الطبقة المتوسطة أمداً الميل إلى التقدم والنبوغ بالعمل والاجتهاد
الذاتي . بجانب آخر كانت على رؤوسهم طبقة الامراء والزعماء الدينيين
تبالغ في شدتهم بالأغلال التقليدية . فمن الكنيسة إلى الجندية والقضاء ، ومن
تصور الامارة إلى المزارع ودور التجارة . . . كل شعبة من شعب الحياة
حوكل مؤسسة لتشكلات الاجتماعية كانت تجري على نظام بتتبع لبعض الطبقات
المخصوصة . بحجة امتيازاتها القديمة وحقوقها المتوارثة . ان تصفوا محور

على من لا ينتمي إليها من السالمين اننا هضين، فنذهب بنار أعمالهم ونسأثر
 بنتاج مواهبهم وكفاءاتهم ، فكل محاولة يقوم بها الفاعلون لاصلاح تلك
 الحال كانت تخيب وتفشل بوزء أثره الطبقات المسيطرة ومجراتها . لهذه
 الاسباب كلها عدت الطبقات الناشئة لالاصلاح تكرر في تقوسهم مع الالام
 قارة الانقلاب الجامعة ، حتى غلبت عليهم وهمتهم آخر الامر نزعات البغي
 والثورة على هذا للنظام الاجتماعي بجميع شعبه وأجزائه . وراى بين
 اناس نظرية متعارفة في الحرية الشخصية ترمى إلى اعطاء الفرد الحرية
 التامة والإباحية المطلقة بزاء المجتمع . فأصبحوا يتادون بأفئدة يجب أن
 يكون للهرد الحق المطلق في عمل ما يشاء والحرية الكاملة في ترك ما يشاء
 وليس للمجتمع أن يتزع منه الحرية الشخصية . وأما الحكومة فواجبها
 أن تحافظ على هذه الحرية التي يتشبع بها الفرد في تصرفاته، وأما المؤسسات
 الاجتماعية فينبغي ألا تكون عايتها سوى إعانة الفرد على تحقيق مقاصده .

هذا التصور الخالي للحرية ، الذي كان في الحقيقة نتيجة غضب
 وسخط على نظام اجتماعي قائم على الظلم والخيف ، كان يحمل في طياته
 أسباب الفساد الأكبر . والذين بقدر مواهب هذا التصور بأذى ذي يده ،
 ما كانوا . بأنفسهم عارفين بنتائج المنطقية . ولعل أرواحهم كانت تهتز من
 الذعر ، لو تمثلت أمام أعينهم تلك النتائج التي كانت ستؤول إليها من
 هذه الإباحية المطلقة والحرية لعامة اشعية ضربة لازب . إنما أراد أولئك
 أن يتخذوا هذا التصور المنطوق أداة لمنع تلك الشدائد المظلمة ولفك
 تلك القيود الثقيلة غير العادلة التي كانت توجد في مجتمعهم ، ولكن فأصل

هذا التصور آخر الأمر في الذهن الغربي وأصبح يشمو ويتركو
ويؤتي أكله .

تغيرات المردال في القرن التاسع عشر

فهذا التصور المتطرف للحرية هو الذي حدثت بمقتضاه الثورة
الفرنسية الكبرى^(١) . فحارب تبطل كثيراً من النظريات الخلقية
القديمة وثبتت لقواعد المدنية والدينية المثبتة . ولما تحققت عند صحاب
الثورة أن سقوطها وانتهائهم كان سيبد الرقي وبميت الحرية ، استنجدوا
منه وقررو أن كل نظرية وكل طريق عملي ترك اليهم من السيف ، عفة
مسترجة في طريق الرقي والازدهار ، ولا يمكن التقدم إلى الامام بدون
إزاحتها عنه . لذلك ما إن فرغ رجال الثورة من أعمال الجهاد الخاطئة

(١) من هذا التصور الحرية الفردية توتدت النظام لأعمال إجمالي ، ونظام التمدد
الديماطي والاذاجية الخلقية (Lacerationness) . وجرى هذه النظم على
أوروبية وأمريكا من النظم والبدوا في مدة قرن ونصف تقريبا ما حل الإنسانية على
البني والسرور جميعا . ذلك بأن هذه النظم أبحث للفن لإظهار مصلحة على مصالح الجماعة
ومتناصها وقررت شبل الحياة الجماعية . فكانت الاشتراكية (Socialism)
والعاشية تتيهون لذلك الغني والظلم . إلا أن هذا الإصلاح والتغيير لم يمد جاء منذ
بدائه منطوقا على نوم آخر من الفساد ، هو أنه قد أريد به إصلاح شيء متطرف
بآخر منه في التطرف . فبما كان خطأ تصور الحرية الشخصية في القرن الثامن عشر
أنه كان يضيي بالجماعة لأجل مصلحة الفرد ، إن خطأ تصور (الجماعة) في القرن
العشرين هو من جهة أنه يريد أن يضيي بالفرد لأجل مصالح الجماعة . وأما النظرية
المعتدلة المتوسطة للفلاح الإنسانية ، فلا توجد في دينا العمل اليوم ، كالم يكن لها في
القرن الثامن عشر وجود ؟

للتسليم الخفية المسيحية ، حتى أضعوا يمولد انتمادهم على التصورات
الاماسية لتعلم الاحلاق الانسانية ، يجرّجونها وشككون فيها
ويتساءلون : ما هذا المصاف ؟ وما هذا الظلم والتضييق على الشباب الجامع
بقبود التهوى ؟ وئي قارلة تقول بالأرض إن أحب المرء حبيبة بدون
رواج ؟ ثم اذا تزوج المرء هل يفارقه قلبه ، حتى يحترّم عليه الحب
فيها بعد ؟ فمثل هذه الأسئلة أخذت تنشأ وتوجه من كل جانب في
المتجمع الاقلاي الجديد ، وأثار شعبي - بوجه خاص - الطلقة المنتمية
الى المذهب الرومانسيكي (Romantic School) . كانت جورج ساند
(Georg Sand) زعيمة هذه الطلقة في مطلع القرن التاسع عشر ، وبدأت
بنفسها بالخروج على جميع المبادئ الخفية التي ماراك عليها مدر الكرامة
الانسانية ، وعذبت المرأة على الأخص ، منذ الازل . اذ اتخذت الاخدان
على كونها متروكة من رجل ، حتى آل الامر بينها وبين زوجها الى
الفرقة . وعدت بعد ذلك تستبدل زوجاً بزواج ، ولم تاتر بعداً منهم
أكثر من عامين ويوجد القاري في راحة حياتها أسماء ستة اشخاص
على الأقل كانت تصادهم علناً ، وصفاً أحد هؤلاء الاصدقاء
السقة عما يأتي :

ومن عدة جورج ساند انها تصيد فراشة هائلة بحملها ، فتحبسها
في قفس من الرياحين ولازهار ، وتمتّع بمنظرها . . . وهو دور
حبيبتها وإقبالها . ثم تأخذ بعد ذلك توجع الطائر المسكين بوحز الإبرة
توتلتد بما ترى من قتلها واضطرابه . . . وهذا عهد نفورها وإدبارها ،

ولا بد من معاناة شدة هذا العبد لكن من شاء له القدر أن يقع فيه
إسارته، ثم تعود فتحرر أجنحة الفراشة المذبذبة وتندو تشرخها وتخلتها،
حتى تلتقي بها أخيراً إلى حملة الفراش التي تشخذ منها أبطالاً لرواياتها .

وكان من بين عشاقها أيضاً الشاعر الفرنسي العبد موسى
(Alfred musse) الذي بلغ من نفسه الأسى والألم من جفاء عشيقته
أن أوصى دين وقاته : " ألا تحضرن جنازته جورج صافد " . فبئس
لأخلاق والسموات المملي الذي كانت عليه تلك التزجيم المظلمة التي
بقيت تؤثّر في نفوس انشده الفرنسي أبلغ الأثر يكثباتها القصصة
الرائعة . واقرأ ما تكتب عن (ليليا) إلى (استينو) في روايتها المشهورة
ليليا (Lelia) :

"كلما أستريد من انظر في هذه الدنيا وأتقدم في تجاربها أستشعر عذبي
الخطأ المبدئي أفكار شتى، فأحبط الفكرة انقائاً يا صديقي . بأن الحب يجب
أن يكون مقصوراً على حبيب واحد، ثم يكون ذلك طبع المهدود مستولياً
على القلب فاذ آمنه إلى الصميم " ويجب أن يكون أهدأ سرمدية . لا ريب أنه
يتبني للمرء ان يفسح فرعه لجميع الافكار والظريات المختلفة . ومن ثمّ اما
أعترف بأنه يحق لبعض اسعوس أن تلتمز الوفاء في حياتها الزوجية .
ولكن الحق أن أكثر النفوس لها حاجات أخرى وفيها مواهب
وكفادات لا وراء ذلك . ويانم لذلك أن يتسمع الجانبان فيما بينهما ويرضى
أحدهما الآخر بالحوية في الفكر والعمل ، ويدحر من نفسه الأثرة التي

تبعث في النفوس الحسد والغيرة والنافسية... كل أصناف الحب صحيح ،
شديداً جاعاً كان أو هادئاً معتدلاً ، وشهوانياً كان أو روحياً ، وأبدياً
كان أو عارضاً متجولاً ، وسواء أكان يدفع الناس إلى الانتحار أو
يسهل عليهم المنع والذات ، وفي رواية لها أخرى جاك (Jacques)
تذكر جورج صانده صفة الزوج الذي كان أمضى غفوة عندها للزوجة .
وذلك أن امرأة بطل الرواية (جاك) تطلق أحياناً وترثي في حشنة ،
فلا ينعضها عليه الزوج السمنح الواسع الطرف ولا يفر منها . ويبين
السبب في عدم فقوره منها . بقوله : « ان الزهرة التي تتفوح لأحد
غيري وتلثمه رباتها ، مالي اذلكها بيدي » أو أطاها تحت قدمي .
ونعني بصحابة في روايتها ونقول في مقدم آخر منها على لسان
(جاك) :

« لم أبتك رأبي ، ولم أصالح المجتمع ، وإن اسكاح في رأبي لأطلع
الطرق الاجتماعية وأكثرها حمجية . وإن كُتِبَ للجيل الانساني أن
يقدم حفا في طريق العقل والعدل ، فليأتين عليه حين من الدهر
يلغي السكاح ويستبدل به طريقة أخرى لا تقل عنه قداسة وطهراً .
ثم تكون أدنى منه إلى التهذيب والانسانية . حينئذ سيتألف الجيل
الانساني من رجال ونساء يتساوون لن يتحجر أحدهم منهم على حرية
الآخر . أما الآن فقد بلغ من أثر الرجال وحسوة النساء ألا يطالب
أحد منهم بقانون أكرم وطريقة أمثل من هذا القانون ، وما دام القوم

على هذه الحال من فقد السلاح وشحن الضمير ، ليترددوا في هذه القيود الفاحشة ، ولا أبالي . »

هذه الأفكار ، تقدموا بها حوالي سنة ١٨٣٣ م . وهي أنصت ما استطاعت جورج صافد أن تضمن ، إليه . أما المضي بهذا التصور إلى نهايته النطقية ، فلم تجرئ عليه حتى هذه الزعيمة ، إذ كانت مع كل حربها الفكرية واستنارتها المقيمة ، لا يخلو ذهنها من ظلمة الاخلاق المتوارثة القديمة . ثم خلصتها في أرض فرنسا بعد ثلاثين سنة ونيف ، طائفة أخرى من رجال الادب وعلماء الاخلاق وكثائب المسرحيات ، كان على رأسهم الكسندر دوما (Alexander Dumas) وألفرد ناك (Alfred Naquet) متفرغوا جهودهم لإشعة الفكرة القائلة بأن الحرية والتضلع بلذات الحياة في ذاته حق فطري للإنسان ، ومن عدوان المجتمع على الفرد أن يقيد حقه هذا بسلاسل الاخلاق والتعديت وبينما كانت المداولة بحرية الفرد في أعماله تقدم فيها قبل باسم عاطمة الحب المقدسة ، استصنف المتأخرون هذا الأساس الماطني المحض ، فاجتهدوا بلدغم الحرية الشخصية والحقوق والنفوض الفردية ، على أحسن محكة من العقل والحكمة والفلسفة . حتى باتت العتية والفتيت كل ما يشاؤون بقلوب هادئة وضائر مطمئنة ، ولا يجدرى المجتمع على الشكي من علوان شبابهم ، بل يحسنها منهم ويصدّها جبراً في شرع الاخلاق .

وفي أواخر القرن التاسع عشر قام بول آدم (Paul Adam)

وهرى باتلي (Henry Bataille) وبيير لوي (Pierre Louis)
 وكثير من الادباء غيرهم هممة فتح الجراء المساجدة في الشباب ، حتى
 تتخلص النفوس من الإحجام والتكؤك البقي بها بتأثير التصويرات
 الخلفية القديمة . هذا بول أدام يسترسل في ملامه للشباب في كتابه
 (La moral - de - l'amour) لسخفهم وحماتهم إذ يحاول أحدهم أن
 يفتح حبيبته أو حبيبه صدقا وكذبا . أنه متالك عليها متعان في حبيبته
 ولن يتحول عنها أبدا الدهر ، ويصفي بعد ذلك يقول :

والسبب في كل ذلك أن شهوة الذات - هذه الشهوة لصحيحة التي
 قد رُكبت في طيرة كل إنسان ، وليست من ، لائم أو السيئة في شيء -
 تعذب وترددي لشبه الأفكار القديمة على النفوس ، بحيثال المرء بلا سبب
 لإخفاها وراء كلمات منققة مزوقة ، ومن أكبر ما يؤخذ على الأمم
 اللاتينية أن الاثنين المتحابين منها يتأنم أحدهما من مصارحة الآخر بأنه
 لا يلافيه ولا يجتمع به إلا " للذة" وعضاء شهوة جسدية ليس غير .
 فينصح الشباب بعد ذلك :

و عليكم بالتهذيب والتمثل والرشد : فلا تتخذوا أدوات متعكم
 وأسباب لذتكم (١) لآلتها لكم لا تنصرفون عنه إلى غيره . فزنته لأحسن
 من يختار نفسه كسما واحدا في صومعة الحب ، ويقم على عبادته

(١) المراد هؤلاء الرجال والنساء الذين يمتثلهم رجل أو امرأة فقط
 شهوته الحيوانية .

دون غيره . وإنما ينبغي للمرء أن يتخبط صاحباً جديداً لكل ساعة من
ساعات لذته ومحوته .

وتقدم بين يدي هؤلاء جميعاً ما أعلن عنه فيه أن القيود الأخلاقية
سائلة في الحقيقة دون قوة لذهن الانساني ونشوء مداركه . وما دام
الإنسان لا يحطم أنفاله ، ولا يمتنع بالذات نفسه وجيده من الحرية
ولا يمكنه ارتقاء عقلي أو علمي أو مادي أو روحي . فقول هذا الأديب
بكل ما يستلزمه من قوة وحزم أن يبرهن في كتابه أفروديت
(Aphrodite) أن أبيل والاسكتورية وأنت وروما واستدعية وكل
عدها من مراكر المدينة والحضارة كانت على أوج مجدها وأتم
ازدهارها حيناً كانت الميوعة والباحية وانواع الأهواء (Licentiousness)
فيها على أشدها . ولكنه لما منيت الشهوات الانسانية في بشيرة الاخلاق
واستقامات القانون ، تقيدت روح المرء وجمدت في تلك القيود ، كما
تقيدت فيها أهواؤه وشهواته .

بين يدي هذا كان في زمانه أدبياً ذائع الصيت وكاتباً بارع الأسلوب .
وزعيماً بالذهب أدبي مستقل في فرنسا . وكان من ورائه موج من
كتب الروايات والمرحيات والمتكلمين في مسائل الاخلاق ، يؤيدون
فكره وينشرون دعوته . فاستفد قوة بيانه وإنشائه في تمهين المرء
ومسح الحرية والانحلال في الذكور والاناث . وقد كتب في كتابه
(افروديت) يمدح وينزه بذلك العصر اليوناني :

« إذ كانت تستطيع لاسانية أسريانة - أي تلك الصورة التي هي
 الكل ما يمكن أن يتصور ، ولقي قد علمت بها من أهل الديانات أنها
 قد خلقها الله على صورته نفسه - أن ترض نفسها على عشرين ألف قاطرة
 في شخص عاهرة مقدّمة ، تنكسر في مشيتها وتتنسى في غنم ودلائها .
 وحينئذ لم يكن الحب الشمواني المتناهي للفرجة - أي ذلك الحب الهائوي
 المقدس الذي قد فوّدتنا منه جميعاً - لم يكن إنمّا ولا عاراً ولا لحساً . »

ولمخ به الفلوف في فكرته هذه أنه مريح بدون كذبة أو تعريض
 يائي بأنه : « يجب علينا أن نستأصل بالتعليم الاخلاقي القوي ، تلك
 الفكرة السمّحة القدّالة بأن سيرورة الفتاة أمّا قد تكون في حال من
 الاحوال غضاقة " أو مرآ محظوراً ساقطاً من مستوى الكرامة والشرف » .

مظاهر الورتقاء في القرن العشرين

هذا هو الحدة الذي منه الرقي الفكري في القرن التاسع عشر . ثم
 ظهر في سماء الفكر مع بداية القرن العشرين صعود جديد ، حاولوا أن
 يخلّقوا في سماء أعلى مما سما إليه من تقدمهم : فصدرت سنة ١٩٠٨ م
 مسرحية لبيروولف (Pierre Wolf) و Gaston Leroux) وتناولت
 توجد في إحدى مناظرها فتان تناقشان أياهما به حصر من أحبهما الشاب
 في حريتها لأن ثقيا قلبها حينئذ تشاء أن ، وتبينان له كيف تكون الحياة
 بدون الحب أمر من الملقم لعنة في مقبل لثياب . وهذا فتاة أخرى

يصلها أبوه الشيخ على مخدتها لفتى ، فضجبه الابنة (الأنسة) : دقة
كيف أقصيك يا أبت : فلفت فكاد لا يفهم أنه لاحق لأحد أيأ كان ،
هي أن يأمر فاته - أبنته كانت أو أخته - أن تضي زهرة عمرها بدون
أن تحب : !

وجاءت الحرب العالمية الأولى ، فزادت صورة حركة التحرر هذه
جل انتمت بها إلى غاية القصوى ، وذلك أن كان أكثر الأمم تأثراً بحركة
منع التناسل ، هي فرنسا ، فكانت نسبة المواليد فيها إلى الانخفاض عند
أربعين سنة على التوالي ، ولم تكن إلا عشرون مقاطعة من مقاطعات
فرنسا السبع والثمانين ، تربو فيها نسبة المواليد على نسبة الوفيات . وأما
المقاطعات السبع واستثنون الباقية ، فكانت نسبة الوفيات فيها أكثر من
نسبة المواليد . وكان معدل الوفيات في بعض مقاطعاته يتراوح بين ١٣٠
و ١٧٠ لواء كل مائة مولود . فلما انشبت الحرب لعالية الأولى ودخلت
الأمّة المرتبة إلى موقف حرج من الحرب والحياة ، أدرك أوريب فكرها
بينة أن هذه الأمّة بائسة تفقر إلى شباب مقاتلين ورجال بحارين ، وأنه إن
ضُحّي - على الفرض - بذلك العدد القليل من شباب الأمّة وفتيانها في
ميدان الدفاع عن الوطن في تلك الآونة ، فلمنه لن تمسكن النجاة من كبره
والعدو الثانية ، فكان من انبثات هذا الشعور في نفوس الفرنسيين أن
تخلّصت مشاعرهم فكرة الاستزدة من التسلل ، حتى خبلتهم ، وحمل
الكتاب والصحفيون والخطباء ، وحتى أهل الحد من رجال الدين ورعاة
السياسة ، كلهم يبيون بالإناس ، من كل جانب ، وبصوت واحد ، أن

بشكلوا من التوليد والتناسل ولا يبالوا القيود التقليدية من النكاح
والزواج. ونادوا أن المفراء التي تقبر برحمتها للتوليد خدمة للوطن
تستحق لعزاً ولكرامة، لا السب والملام. وكان هذا العصر المضطرب
بطبيعة حاله حافزاً قوياً لدعاة الحرية والاباحية، فانتزوا الفرصة السانحة،
وبشوا جميع ما كان قد بقي في جعبة فكرهم الشيطاني من النظريات.

فهذا رئيس تحرير مجلة لا ليون، رينيسكان (La Lyon Republi-
cain) الذي كان من رجال الصحافة البارزين في عصره، يبعث أنه
ما ليرتر لأن يمدد الزنا بالإكراه جريمة، فيبدي رأيه بما يلي:

« إذا أعوز الفقراء القوت وحملتهم المسغبة على ارتكاب السرقة
والقتل والسلب، قيل عيشوا هم الخبز، يكتفوا عن السلب والنهب
بأنفسهم. ولكن يا ليت شعري لماذا تأخذ النفوس هذه العاطفة من
النصح والتواخلة - لضرورته من ضرورات الجسم الطبيعة، ولا تتشجع
لضرورة طبيعية أخرى مثلاً - لا تقل عنها حلاوة - وهي الحب -
فكما أن السرقة يلجأ إليها المرء من شدة الجوع، كذلك يذبح فيه الأمر
الذي يؤول إلى الزنا بالإكراه ورعا ينتهي إلى القتل من شدة الجوع تلك
الضرورة التي ليست أقل ركوزاً في فطرة الإنسان من الظم والجوع...
إن من الحق أن الشاب الذي هو في عافية صحتة ووقرة قوته لا يستطيع
كبح جماح شهوته العارمة كما لا يستطيع الصبر على جوعه مدة أيام رجاء أن
يجد الطعام في الأسبوع القادم. وإن افتقار أحدنا إلى ما يسكن شهوته

الجنسية في بلادنا هذه التي تتوفر فيها كل حاجات الانسان ، لا يقل
خزياً وعاراً من قاعة أجدنا من الجوع . وإذا كنا نوزع الخير مجداً على
الجائع ، فيجب علينا أن نجد الأسباب لإشباع المالكين من جوع آخر .
بقي أن أذكر أن مقالته هذه لم تكن من باب المزل والمكاهة ، بل
كتبها الكاتب بكل جدٍ ، وقرأها الناس بحجة أيضاً .

وفي تلك الأيام صدرت كلية الطب (Faculty of medicine) في
جامعة باريس ، مقالاً لـ دكتور فصل ، ليعتبه شهادة الدكتوراه عليه ،
فتشرع في جريدها الرسمية ، وكان من مضامينه مثل هذه العبارات :

إننا نؤمل أن تأتي علينا زمان تدع فيه لألفة الكادبة ، فنصرح
من غير استحياء ولا خجل ، بأننا مرضت - مثلاً - بمرض لزهري في
سن العشرين ، كما أننا نقول الآن بدون تردد قد بشوفي إلى الجبل لكوفي
مريضاً بالسب . . . ذلك بأن هذه إن هي إلا ثمن يؤديه المرء لتمتعه
بلكات الحياة . فمن لم يذوق مرارتها وقضى شبابه سليماً منها ، فإنه
لا ويب وجود ناقص لم يبلغ كماله بعد ، وقد قصر في وظيفة كانت من
أبسط وظائفه الطبيعية ، لجنه أو لعمود غريزته أو سوء فهمه الأشياء
عن ديانته .

ادب الحركة الماطرسية الجديدة

ويجمل بنا ، قبل أن نطرد في البحث ، أن نلقي نظرة على

فالأفكار التي قدمها القافون بحركة منع التناسل . وأمله ما كان في
حسبان الاقتصادي الانكليزي الاحصائي مالطوس (malthus) حينما
عرض في أواخر القرن الثامن عشر اقتراحه بضبط التوليد منعا لزيادة
الممران ، أن اقتراحه هذا سيمود بعد قرن من السنين أكبر عامل
في اشاعة الفاحشة والفجور . فإتاه لم يقصد به حينئذ إلا أن يشير على
قومه بضبط النفس وعقد الزواج في السن المتقدمة تقاديا من زيادة الفسل
وتزاحم الممران . ولكنه لما نشأت في آخر القرن التاسع عشر الحركة
المالطوسية الجديدة (Neo malthusian movement) كان مبدؤها الرئيسي
أن تقصى شهوة النفس بحرية تامة ، ثم تمنع تلجتها الطبيعية - أي الحمل
والولادة - بوسائل العلوم التحريية . فجاء هذا المبدأ الجديد يزيح العقبة
الاخيرة التي كانت عسى أن تقوض طريق الناس إلى الحضرة والمشاركة
الجنسية المطلقة . إذ عادت المرأة الآن تستطيع أن تسلم نفسها لأجنبي بلا
خدر من أن تحصل منه ويقع - أيها ما يتجه من تبعات . وليس هنا موضع
ذكر النتائج التي آلت إليها حركة منع التناسل وإعاريده أن لسرد بعض
النماذج من الأفكار التي قد أكتروا من بشأنها ونشرها في الآداب التي
ساررت حركة ضبط التوليد .

إن الأسلوب الذي تشر عن به هذه الآداب مقدمة المالطوسية
الجديدة يتلخص في أن : كل انسان يواجه - من طبيعته - حاجات
ثلاث ، هي أشيد واعنف من سائر الخواص . أولاها حاجة الغذاء ، والثانية :

حاجة الجاهم والثالثة ؛ الشهوة الجنسية وقد ثبت انفسا جميع هذه الحاجات في نفس المرء كشيئا ، وجعل له في قضائهما لذة مخصوصة حتى يرغب فيها ويحرص عليها فمن مقتضى العقل والمنطق ان يشب المرء إلى تحقيق تلك الحاجات . وهو يفهم ذلك في الواقع بالنسبة للحاجتين الأولى أنه من العجب أن من صميمه شأن الثالثة يختلف من صميمه في الأوليين إذ ترميه الأخلاق الاجتماعية بأن لا يحقق شهوته الجنسية إلا في حدود النكاح . ثم توجب على الرجل والمرأة المرتبطين برابط النكاح ان يلتزما بوفاء والتفاني وتشرط عليها فوق ذلك كله ألا ينسأ التوليد . كل هذه الأمور عبث وباطل ، ومقضية للعقل والفطرة ومخطئة في صميمها ، وعائدة على الانقسامية بأمرها العواطف .

فانظر الآن هيكلا لانكار الذي يشاد على هذه المقدمات الاساسية . يكتب ميل زعيم الحزب الديمقراطي الألماني بلا تفرج :
 « وهل لرجل والمرأة الا نوع من الحيوان وهل يكون بين أزواج الحيوانات شيء من قبيل النكاح ... بله النكاح لا بدى »
 ويكتب كذلك لداكتور دريسدل (Dresdale) :

« ان الحب كسائر رغباتنا وشهواتنا شيء قابل للتشبع فحصره في طريقة مخصوصة ادخال في قوانين الفطرة وان شيئا مما يملون به باعهم الى هذا التشبع بوجه خاص وزعتهم هذه مطابقة لذلك النظام المنطقي

العطري الذي يتقاضى الاسان ان تكون تجاربه في الحياة متنوعة مثلونة...
 ان العلاقة المطلقة من قيد التكاح مظهرٌ للخلق السلي
 لأنها ادنى الى فوايمى الفطرة ، ولأنه تنشأ عن الفواطف والأحاسيس
 والحب المحض مباشرة ، وان التوق والنزوع الذي تولد منه هذه
 العلاقة شيء عظيم القدر غالي القيمة في الاخلاق ، وأنشئ تتيسر هذه
 ايزة تلك المعاملة التصرية استي تجسد من التكاح في الحقيقة مهنة
 (Prostitution) 'بحرف بها' .

فانظر كيف تبدل اسطورة - بل كيف تنقلب رأساً على عقب .
 بينما كان يحاول القوم فيما قبل ، ان يحجوا عن النفوس فكرة استمتاع
 الزنى ، حتى يستوي التكاح والسفاح في نظر الاخلاق ، انهم يجاوزون
 ذلك الى ان يحطوا من قدر التكاح فيجعلوه نكراً ويرفضوا السفاح الى
 درجة المفضلة الخلفية . ويكتب هذا الدكتور نفسه في موضع آخر :

والخاتمة ماسة في اتخاذ التدابير التي تجعل الحب ينير قيد الزواج
 شيئاً يُحسد ويكرّم ... ومع برّ أن سهولة اطلاق في هذا الزمان
 لا تزال تحقق طريقة التكاح رويداً رويداً ولم يعد التكاح الآن إلا
 مسداة بين شخصين على المباشرة ، لها انطيار في الغائهم شادا : وهذه
 هي الطريقة الصحيحة الوحيدة للارتباط الجنسي .

وبصرح بول روبين (Paul Robin) الزعيم المايطوسي المشهور
 في فرنسا :

« من يستمر أننا قد بلغنا من النجاح في مساعدتنا لمدة ربع القرن
الماضي أنه قد أصبح ولد الزنية في منزلة اولاد الحلال فلا يبقى بعد هذا
إلا أن يكون اولاداً جميعاً من هذا النوع الاول فقط ، حتى نستريح
من هذه الموازنة بين النوعين من الاولاد » .

وهذا افلسفي الانكليزي (مدي) يقر في كتابه « حول الحرية »
(On Liberty) على أن يخطر الزواج على كل من لا يستطيع أن يبرهن
أنه يملك من وسائل العيش ما يكفي لحوائج الحياة . ولكنه لا نشأت في
انكثارة مسألة عمارة البغاء (Prostitution) عند هذا الفيلسفي نفسه بمعارضها
بكل شدة وقوة ، بحجة مما تحصل على الحرية الشخصية وإهانة
المعامل ، لأنها بمثابة معاملة لهم كعامة الاحداث الصغار .

فأما كيف يكبرون ويحترمون الحرية الشخصية اذا استعملها
المرء في ارتكاب الفاحشة . ولكنه إن أراد هبة - في نظرم - أن
يستعملها لمقد الشكاح ، فلا يحد حقيقاً إن تراعى حرته أو تحترم ،
ولا يرضى القوم أن يتدخل فيها القنون فحسب ، بل يبدؤا أحراراً
افكر من فلاسفتهم هذا التدخل من القانون عين المتقاضي والمطوب .
وهذا يبلغ انقلاب النظرية المطلقة مداء الأبد وعاقبة القصوى التي لا مصلح
جدها طامع ، حيث يقلب كل قانن قضية ، وتصبح كل قضية
طاراً وردية .

النتائج

من شأن الآداب أنها تقدم في النهج الجديد، والرأي العام يتبعها
ويقفوا آثارها ، حتى تخضع لها آخر الأمر أخلاق الأمة وقواعد المجتمع
وقوانين الحكومة كلها . وإن مجتمعاً تعلل فيه جميع الأدوار لتربية
الافئنان ولترويض الأفكار ، كاللغة والتاريخ وتعاليم الاخلاق ومنون
الحكمة ، ولرواية الدراما والمسرحيات والفن الجميل ، وتستمر مدة
عز و نصف على التوالي تثبت في صميم القوم الانساني أسلوباً فكرياً
بيته ، فلا يمكن أبداً ألا يتأثر ولا يفعل بذلك الاسلوب الفكري .
ثم ان كان نظام الحكومة وسائر الادارات الاجتماعية في ذلك المجتمع
عائقة على المبادئ الديمقراطية ، فلا يمكن فيه كذلك ألا يتبدل
القوانين بتبدل الرأي العام .

الثورة الصناعية وآثارها :

من غرائب الاتفاق أنه قد وثقت هذا الانقلاب الفكري ، وهو
في صدر شبابه ، أسباباً تقليدية أخرى . ففي هذا العصر قامت الثورة

الصناعية الشهيرة . وأعقبتها تغيرات هامة في الحياة الاقتصادية ، كان من آثارها المتوالية على الحياة المدنية ما هو معون على تحويل وجهة سير الاجتماع الى حيث تريد الآداب الانقلاية ان نحوّلها . وذلك أن تصوّر الحرية الشخصية ، الذي نشأ عليه النظام الرأسمالي ، جاءت الاختراعات الميكانيكية وإمكانيات وعمرة الانتاج الصناعي Mass production تمكّنه وتقويه . فأقلت الطبقات الرأسمالية مؤسسات صناعية وتجارية كبرى . ونحوّت المراكز الحديثة للصناعة والتجارة الى مدن عامرة أصبح يتجرأ اليها من القرى والارياف أسلاف اللابسين من النفوس . وعكّنت تكاليف الحياة غلاء فاحشاً . وارتفعت أسعار الحاجات للحياة ، من الطعام والملبس والسكن ، الى ما عدا طاقة العامة . زد على ذلك أن أضيف الى حاجات الحياة مالا يحصى من وسائل الميمنة المتجددة ، لاسباب راجع بعضها الى ارتفاع التمدّن وبعضها الى مسعى أهل الثروة ولكن النظام الرأسمالي لم يورث مع الثروة بين الناس بها يكفل الجميع وسائل الحصول على تلك المستلزمات والادوات الزينة والترخفة التي أدخلها في لوازم الحياة بل هو لم يهبوا للعامة من وسائل المعاش ما يستدّون به عوزهم بسهولة من حاجات الحياة الحقيقية . وهي السكنى والطعام واللباس . في تلك المدن التي قد رجع بهم اليها . كان من نتائج ذلك أن أصبحت المرأة كلاً على زوجها ، وأصبح الولد عبئاً على أبيه . وتعدّر على كل فرد أن يقيم أوّد نفسه ، فضلاً عن أن يمول غيره من المتلففين به . وقضت الاحوال الاقتصادية أن يكون كل واحد من أفراد المجتمع

عمالا مكتسباً ، فاضطرت جميع طبقات البشاة - من الابطكار والامامي
والثبات - أن يخرجن من بيوتهن لكسب الرزق وريداً ، ولما كثر
بذلك اختلاط الصنفين وحنكك للذكور والاثاث ، واخذت تطير عواقبه
الطبيعية في المجتمع ، تقدم هذا التصور للحرية الشخصية وهذه الفلسفة
الجديدة الاخلاق ، هداً من قلب الآباء والبنات والإخوة والاخوات
والبنوة والروحان ، وجلا نفوسهم المضطربة تمامين إلى ان الذي هو
واقع أمام أعينهم ، لا بأس به ، ولا يوجد منه خيفة ، إذ ليس هناك
هبوطاً وتردياً ، بل هو نهضة وارتقاء (Emanicipation) وليس فساداً
خلفياً ، بل هو عين الآلة والنتيجة التي يجب أن يقتنيها المرء في حياته .
وان هذه المحاولة التي بدع بهم اليها الرأسمالي ، ليست بهادفة الشر ، بل
هي جنة تجري من تحتها الأنهار .

أثره الرأسماليين

وما وقف الأمر عند هذا الحد ، بل جاء النظام الرأسمالي الذي
رُفِعَ قواعد على هذا التصور للحرية الشخصية ، فمنح الفرد حقاً مطلقاً
من كل قيد أو شرط ، في اكتسابه الثروة بكل ما أمكنه من الطرق . وثبتت
فلسفة الاخلاق ، فأباح له كل وسيلة ممكن أن تتخذ لجمع الاموال ،
وان كان إثراء الفرد الواحد بطلب الوسائل والطرق الممككة أفراد
كثيرين . وبذلك تألف نظام التمدن من أوله إلى آخره على صورة
تؤثر الفرد على الجماعة من كل وجهة ، وليس فيها ضمان للمحافظة على

مصلح الجماعة بإزاء أثره الفرد . ففتنحت السبل على إخوان الطمع والأثرة ليغيروا ويمسكوا على المجتمع كيف يشاؤون . ففسد هؤلاء إلى الغرائز الانسانية يقجسون فيها مواطن الضعف والحلل ، وراحوا يتمشون في استغلالها لأغراضهم ، فقام واحد ، وروج في الناس سيطرة الجور ، جلباً للثروة إلى جيبه ، ولم ينص منهم من يُنقذ المجتمع من غوائل هذا الطاعون . وقام آخر ، واجتنب خلق الله بأمة الربا ونصب شبكته في القاسية والمنايا ، وما هنالك من يدفع عن سماء حياة الناس ضرراً هذا الملق ، بل حذفت القوانين على مصلحة هذه القويبة المتناكة كي لا يسلم منها أحد بقطرة من دمه . وجاء ثالث ، وأشاع في المجتمع طرفاً بمشكرة للفقراء ، حتى لم تسلم شعبة من شعب التجارة من "عشره" ، وما ثمة من يتقدم لحفظ الحياة الاقتصادية من هذه الحمى الحارقة . وما كان من الممكن في هذا العصر من الانانية والبني والمدون الفردي ، أت يزل عن إخوان الأثرة والطمع ذلك النصف الانساني الاكبر ، الشهوة الجامحة التي يمكنهم باستئثارها جلب كثير من المنافع . ثم يفتهم ذلك فضلا . بل استخدموا غريزة الشهوة العارمة في الانسان ما وسعهم وما أمكنهم إذ أصبح مدار العمل والمنايا كله في المراقص والمسارح ومرأى كثر خراج الاعلام على أن تستخدم بها الفيدالمان ، ويعرضن على المصصة في صورة أكسل من التبشيع ، وفي هيئة أقرب إلى المرئي ، ويحبب الذهب من جيوب الرجال بأكثر ما يمكن من إضرام نار الشهوة فيهم . وجاء قوم ، نهتدوا الاسباب لإكراه النساء ، وتقدموا بحرفة البناء إلى أن أصبحت

تجارة دولية منظمة . وجاء آخرون ، ففتشوا في صنع أدوات الزينة والزخرفة ، ثم حملوها في المجتمع ، ليؤبدوا من غريزة التبرج التي أُجبلت عليها المرأة ، إلى أن يجمعوها بين هوساً ، وجميعوا بذلك الذهب والفضة ملء أكفهم . وجاءت فئة أخرى ، فاخترعوا الملابس النساء أزياء كاشفة مفرية ، واستخدموا كل فائدة الجدل ، لتلبسها وتغني بها النوادي والحفلات حتى يُقبل عليها لشباب ويُفتنوا بها ، فتُفترم العشيائ بتلك الأزياء الجديدة من اللباس ، وتربح تجارة مخترعها . وانذر مع آخرون بإشاعة ، لصور السارية واقصص الفرامية والمقالات الخلية ، إلى استدراج الاموال ، وأخذوا كذلك يملؤون جيوبهم بإصابة العامة بالحزام الخلفي ، حتى تمت الحال ، على مضي الأيام ، إلا أن لم تبقى حاجة من فواحي استجارة خالصة من عنصر الإغراء . وهأنذا قد صرت لا ترى في زمانك هذا ، إعلاما من الاعلانات التجارية في الجرائد والحفلات ، إلا وسيفته اللازمة البارزة صورة امرأة غريبة أو في حكم العارية . كأنه لم يمد من الممكن أن يكون إعلاناً ما واعياً بالفرض بدون وجود المرأة . ولا تجد كذلك بدقة من الفنادق ولا مقهى ، ولا صالة عرض ، لا وقد استُخدمت فيها المرأة لتمثيل عملها الفنتازي في الرجال . وكان المجتمع المسكين المخذول لا يملك - حيالاً ذلك كله - إلا وسيلة واحدة للحفاظ على مصالحه ، وهي أن يستعين بتصوراته الخلقية على دفع تلك الشرارات عن نفسه ، ويحتفظ من استيلاء غريزة الشهوة عليه . ولكن النظام الرأسمالي لم يكن من النصف والهوان بحيث يمكن رد حملته بسهولة . وإنما كان من ورائه هسفة كاملة الآداة ، وعسكر شيطاني عرمرم ، من علوم والآداب ، كآلة لا يزالان

بمملان عملها في نسخ النظريات الخلقية ومحوها عن النفوس ، وعن براعة
القاتل - ولقد - أن يحمل قتيله على الاستسلام للقتل طيب خاطره ورشاه .

النظام السياسي الديمقراطي

وما انتهت النكية بهذا كله . بل جزء هسيذا التصور نفسه للحرية
فانتج في الغرب نظام الحكم الديمقراطي الذي أصبح ، على الأسماء ،
أقوى سبب لاستكمال هذا الانقلاب الخلقى .

إن المبدأ الرئيسى للديمقراطية الجديدة أن الناس يبد أنفسهم حكمهم
وتشريعتهم ، وإلى أنفسهم كل التصرف فى القوانين ، بضمونها كإشاورون
ويبدلون حسب ما يرضون إذا كرهوا فيها أشياء . فمن النتائج الطبيعية
لهذا مبدأ أنهم لا يسلطون سلطة قاهرة من فوقهم تنزل عن مفائض
الطبع البشرى وضعه ، ويتحكم الإنسان صلال الفكر واسمى باستسلامه
لمبادئها . وأنه ليس عندم قانون أساسى يثبت على غير الأزمان ويتعالى
عن أن يتدخل فى شأنه الإنسان ، ويؤمن بكون مبادئه أبدية لا تقبل
النسخ ولا التبدل . ثم إنهم لا يجدون مقياساً يمتحن به الصحيح من
الزائف ، لا يميل مع لاهواء والرغبات الانسانية بل تكون صفته الدوام
والاستحكام . وهكذا جاءت النظرية الجديدة للديمقراطية فأزلت الإنسان
متزلة المختار المطلق الخلقى من كل مسئولية ، وجعلته شارب نفسه بنفسه
وجعلت مدار كل نوع من التشريع على الرأى العام حسب .

ومن ابدى أنه إذا كانت قوانين الحياة الجماعية كلها تابعة لرأى
العام ، وكانت الحكومة كاسد لإله هذه الديمقراطية الجديدة ، فلا يمكن

ملطات القانون والديانة أن تصون المجتمع عن الانحلال الخلقى ... وماذا أقول ؟ بل هي تعود بنفسها عونا على إفساد المجتمع ودفعه إلى المهلك . ذلك بأن كل تغيير في الرأي العام يقبه لائحة تغيير في القانون ، وتعدل حياته وضوابطه مع تعديل نظريته العامة حتى تلائمها وتطيق عليها . ولا يكون للحق والخير والصالح مقياس غير كثرة الاصوات بحق . هذا الجانب أو ذلك . وإن اقتراحا مهما بلغ من خبثه وضرره ، أن كان قد نال من رضى العامة ما يكسبه ٥١ صوتا في المائة ، فلا شيء يمنعه من أن يسمو إلى مرتبة الترخيص . ومن أقبح الامثلة لذلك وأجدها بالاعتبار ما حصل في ألمانيا قبل المضي النازي ، وذلك أن فاضلا من أبحاثها يدعى الدكتور ماعنوس هرشفيلد (Magnus Hirschfeld) وكان في الماضي رئيسا لجمعية الإصلاح الجنسي العالمية (World League of Sexual Reform) ظم فيها بأشد ما يكون من طغيان بحق "سوءة قوم لوط عدة ست مئة" ، حتى رضى إليه هذه الديمقراطية أن يجل هذا الجرم "مقرر المجلس التشريعي الاتحادي بأكثرية الاصوات ، أن لم يبد الآن هذا الفعل جريمة" . بشرط أن يرتكب برضا الخاضعين . وإن كان المقول به دون سن البلوغ يمكن الرضا به وله في هذا الشأن .

على أن افنون بعلي "طبيعة حاله في المصنوع لهذا الإله الديمقراطي . ولا ريب أنه يقع أوامر وينزل على أوامره ولكن بشيء من التواني والتكامل . وهذا التقصير الذي يبقى في عوديته الكاملة للمسيود الديمقراطي ، تداركه الأيدي العاملة في جهاز الحكومة . فإن الذين يدبرون أمور الحكومات الديمقراطية يتقدمون في هذه الجهة ويتأثرون

بذلك الآداب والفلسفات والنبول العامة التي تنتشر فيها حولهم ، قبل أن يتأثر بها القانون ، فتشاح بعضل عنايتهم وعطفهم كل رذيلة هم "رواجها" لاجتماع وتقبل (رسمياً) . وتعود كثير من الأشياء المحرمة في القانون ، في درجة لخالل لكون الشرطة والحكمة تسامح فيها وتجنب تنفيذ القانون في أمرها . خذ ذلك مثلاً أمر الاحض الذي لا يزال محرماً في القوانين لثرية ، ولكنه ليس هناك فطر من الاقطار إلا " وتُعرف فيه هذه الجريمة الشنيعة علناً وعلى نطاق واسع . فهذا انكثرا بسقط فيه تسمون امسجل في كل سنة على أقل تقدير ، وتكون في كن مائة من المزوجات فيها خمس وعشرون - على الأقل - إما بمشرون الاسقاط بأبدين أو يستمن عليه بأشخصين . وترفع هذه النسبة فوق هذ في غير المزوجات ثم قد أنشئت في بعض بلدن هناك بواير منظمة للاسقاط ، تؤدي النساء ثمن اشترأ كنن فيها كل أسبوع ، لكي يفسن لمن استخدمن شخصين في الإسقاط يوم الحاجة . ويكثر في لندن هذه دور التمريض (Nursing Homes) التي تكون معظم التمريضات فيها من المبعطلات (١) ولكن مع هذ كله لا يزال الاسقاط في كتاب القانون الانكليزي في عداد الجرائم بعد .

المخاض والشواهد

والآن أريد ان أيتن بشي من الشرح والتفصيل فساد هذه العناصر الثلاثة أي النظريات الخلقية الجديدة ، ونظام التمدين الرأسمالي ، والنظام السياسي الديمقراطي - وكيفية تفاعلها وتأثيرها في لأخلاق الجماعة (١) منه التعامل قد ذكرها الاستاذ (جود) في كتابه (Guide to Modern Wickedness) الذي صدر منذ عهد قريب ،

والملاقات الجنسية بين الرجل والمرأة ، وفوعية النتائج التي قد أعقبتهما في واقع الامر . ولأنه كان أكثر كلامي في الصفحات الماضية في لوص فرنسا - التي نشأت منه هذه الحركة - فسأقدم فرنسا أيضاً في الاستشهاد بأحوالها فيما يأتي (١) .

فرد الشعور الخلقي

ان ما ذكر آنفاً من النظريات ، كان من اول آثار شيوعها في الناس وأبرزها ، ان أصبح يحذر منهم الاحساس الخلقي في اثبتون الجنسية . وعاش معهم الحياء والاحتشام ، والتيرة واليقظة ، وزال عن نفوسهم الفرق بين النكاح والسفاح ، حتى أصبح الزنا عديم عملاً بريئاً ، لا يعاب ولا يشكر ، وليس لإخفائه من ازوم .

والى منتصف القرن التاسع عشر بل الى خاتمه ، لم يعصب النظرية الخلقية عند عامة الفرنسيين من التغير إلا ان مسح زنى الرجال حيناً طبيعياً ، يفضي الآباء عن دعاة اسائهم بشرط ان لا يصيبهم بالامراض السرية ولا تدخلهم في الإجراءات القانونية ، بل ربما يستبشرون بها اذ آسوا لهم من ورائها ربحاً مادياً ، ولا يرون غضاضة في تملق رجل بامرأة بدون الزوج وفي روايتهم أمثلة من كون الآباء قد انحوا بأنفسهم على اولادهم في تحذنة امرأة ذات مكانة اجتماعية او ذات مال وثروة ، ضحائاً للمستقبل الزاهر . ولكن نظريتهم بشأن المرأة كانت

(١) قد استندت معظم هذه المعلومات من كتاب العالم الاجتماعي الفرنسي الشهير: بول يورو (Paul Bureau) المسمى: (Towards Moral Bankruptcy) الذي نشر في لندن سنة ١٩٢٥ م .

مختلفة عن ذلك جداً في تلك الآونة . فكان معاف المرأة شيئاً له قدره وقيمه في كل حال . وأولئك الآباء الذين كانوا لا يرون بأساً بتخلعة أبنائهم ويسمون كل ذلك منهم إلى سورة الشباب ، ما كانوا يرضون أن يروا بأعراض بناتهم ذئاباً أو وسمه . وكانت المعاجزات من النساء لا يتبرأن من البيت كالمسحوقين من الرجال . وإن قالة السوء التي تنصب على المومنة في المجتمع ، كانت لا تمال الرجل الذي يهشرها . وكذلك ما كانت لقبه الخلقية في الحياة الزوجية متساوية بين الرجل والمرأة فحينما كان لجور الزوج "هنة" يفض عنها الطرف ، كان لجور الزوجة شيئاً عظيماً يقوم له الناس ويقعدون .

ولكن تغيرت هذه الحال مع مطلع القرن العشرين . إذ كان من آثار المساواة بين المرأة والرجل ، التي تفجرت في صورها حركة تحرير المرأة ، أن جعل الناس يتهاونون بفجور المرأة كتهاونهم بفجور الرجل . ولم يعد تعلق المرأة أيضاً بالرجل بدون الزواج شيئاً يندفس عفتها وكرامتها . فيقول بول بيرو :

« لم يقف الأمر عند المدى الكبيرة لحسب » بل قد أصبح الشيطان في القرى والارياف أيضاً » . معترفون بأنه ليس لأحدهم حق في توحش المرأة والنيكارة في عطلوبته ، إذا كان هو نفسه لا يتصرف بالمعاف . وقد عاد من المين اعتماد في (برعندي) و (يون) وغيرهما من الأقاليم أن تكون الفتاة قد عاشرت عدة من الأخدان قبل زفافها ، ثم لا تهجد في نفسها عرجاً من حكاية قصة حياتها الماضية لخاطبها عند الزواج وكل هذا الفجور منها لا يثير سخطاً أو كراهية حتى في أقاربها الأديين ، بل هم

يتخوضون في أحاديث غرامهم، بانسباط، كأنهم يمتدحون عن لعبة رياضية أو شغل تجاري. وإذا كان موعد النكاح قد دخل الزوج الذي يكون صرماً، لا يجيء عروسه المماقة لحسب، بل بأخذانيه الذين قد هموا بتمشيمون بجسدها إلى تلك الآونة أيضاً، فإنه يحاول جهده ألا يبدو منه مللهم الناس أن بنفسه كدراً، في شيء مما يطم من مشاغل عروسه المماضية، ويهي كاتبا:

« كثير أمانهم في الطبقات المتوسطة من المتطهرين، حتى قد اعتدوا، أن فتاة متعلمة، من أسرة كريمة، تعمل في مكتب أو شركة تجارية على منصب لا بأس به ونظيف في مجتمع مهذب، إذا بها تتأنس بشاب، وتروح تسأله ونسأله، ولا يكون لزاماً عليها بعد ذلك كله أن يتزوجا بل هما يؤثران أن يتصعرا بدون قيد الزواج، فالحرج أن تكون لاحدهما الحرية، إذا شئ من الآخر وقضى لئانه نفسه منه، أن يفارقه ويشخذ له حبيلاً آخر. وكل من حولهم من الناس يعلمون هذا الوضع من علاقة ما بينهما، ثم هما يقشيان الأوساط العالية والمهذبة جنباً لجنب، لاهما يخفيان علاقتهما تلك، ولا يجد أحد من غيرهما سوءاً في حياتهما على ذلك النحو. وقد كان الذين نجروا على هذه الطريقة باديء ذي بدء هم الماملون في العمل والمصانع، فلقبت من الناس أشد ما يكون من السخط والانتكار لأول وهلة. ولكنهما قد شاعت الآن في الطبقات العالية، وتواترت في الحياة الاجتماعية تلك الميزة التي كانت للنكاح في الزمان الغابر» الصفحة ٩٤ - ٩٦

فأصبح هذا النوع الجديد من الميوسنة ألفها الناس وهملحوت

وجودها الشرعي. فهذا موسيو بر تيمبي أستاذ القانون في جامعة باريس يكتب : إن المؤسسة تكاد تقال في المجتمع نفس المنزلة التي كانت فيه للزوجة قبا قبل . فقد عادي مجري ذكرها في البرلمان ، وأسست الحكومة تحفظ على مصالحها . والمؤسسة الحندي الآن من النفقة مثل الملتزوجة . وإن مات ، فالت مؤسسته من راتب التقاعد ما مثاله الزوجة التي كان قد عقد عليها .

ولك أن تقدر تهاون الفرنسيين بالزنى وكيفية كونه غير منعبد في أخلاقهم ، أن عملة في بعض المدون جعلت مجمل في سنة ١٩٩٨ م على كونها عذراء . وكان بين رجاله المعارف أشياخ لفكر القديم . فرفضوا عقيرتهم بالسخط والانتكار . فوجد على وزارة المعارف مقر من أعيان الأمة ووجوهها ، واحتجوا عندها على ما فعلت الأمة . ولكن الوزارة ذهبت عنها بالجميع الآتية التي وجد فيها من القوة والرجاحة ما سوي أن يغفل مبدل الملة :

١ - ما لاندس وللتدخل في الحياة الشخصية لفيرم ؟

٢ - وما هي الجريمة التي قد ارتكبت الملة ؟

٣ - ليست سيورة المرأة أما بدون زواج أدنى إلى الطريق الديمقراطي ؟

ومن حملة ما يملكم الجنود الفرنسيون من الامور الهامة ، للحدايير التي ينبغي ان تتخذ لاتقاء الامراض لسرية ونزع الحل . كآته من المعلوم انسلم به ان كل جندي لابد ان يزني . وفي يوم ٣ مايو من سنة ١٩١٩ م ، خسر قائد لبعض الفرق العسكرية إعلاناً للجنود التابعة له ، فيه :

«قد بلغنا ان عامة المرسلة والحياة يشكون من تراحم رجال النفاق على دور البناء الجندي يقولون إنهم قد كادوا يستبدون بها ولا يدعون غيرهم يمتصون بها . وإن مكتب القيادة لا يزال يسمي لزيادة عدد النساء حتى يكفين لجميع الجنود . ولكن قيل أن يتم ذلك ، فوصي رجال النفاق ألا يطيخوا مكثهم داخل تلك الدور ، وبتمهلوا قضاء شهوراتهم بما استطاعوا . . .»

ليتأمل القارئ هذا الاعلان الذي بشره رسمياً اسم الدفاع لدولة من أرقى دول العالم ثقافة وتهدياً . أفلا يُستدح منه أن لم يبق في قلوبهم حبة خردل من الاعتقاد بشدعة الزنى وكونه عبأ حقيقياً . وأنه قد خلا من هذا التصور عندهم كل من المجتمع والقانون والحكومة (١) .

وانشئت في فرنسا قبل الحرب العالمية الاولى بقليل ، وكالة كان يبدو أنها كن امرأة مما كانت يشتهر وظروفها وحالتها الاقتصادية وسلوكها

(١) وقد هدر القارئ أن جداً هذه الحالة الخلقية ، إذا دخل عاقماً نظراً من أقطار العالم بأي فحمة حتى أن تصاب بها الامة المفلوة في عمتها وطهارتها وزاقتها على أيديها . هذا طرف المقياس الخلقى في الجنود ، بقائه طرف آخر من المقياس الذي يرسنه القرآن قوله (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف) . بجانب حدى يعمي في الأرض كالجلجالب المظلم ويجهل آخر حنى يخرج في أرض الله صدياً في سبيل المحافظة على الاخلاق الانسانية ودعوة أهل الأرض الى الطهارة والصلاح . أفند نطق من عمى الاسان أن لا يترك الفرق بين هذا وذلك ؟

المعملي والخالقي، قد تُفنع بضرورة (تجربة جديدة) وتُحصل على محاسنها.
فليس على من كان يود الاتصال بأنسة من الاوانس إلا أن يعلم الوكالة
بموان تلك الآسة ويؤدي هم منكا على سبيل الاحره البدائية ، وعلى
الوكالة بعد ذلك أن تراود الآسة على الأمر. ودلت سجلات هذه الوكالة
على أنه لم تكن طبقة من طبقات المجتمع الفرنسي ، إلا وعلم كثير من
أناسها هذه الوكالة وعثموا بمخدراتهم لم يكن هذا المشغل غاميا على الحكومة.
(بول بيورو : الصفحة ١٦)

وقد بلغ هذا الانحطاط تخلفي إلى الحدك الأسفل أن :
ولم يعد الآن من الغريب الشذ وجود العلاقات الجنسية بين الاقارب
في النسب ، كالأب والابنة ، والاخ والاخت ، في بعض الاقاليم افريقية
وفي النواحي للزوجه في المدن .

كثرة افواشى

واقد كان عدد النساء اللاتي كن يحترفن البناء قبلى الحرب العالمية
الاولى : نصف مليون ، حبا أعلن موسيو بولو (M. Bulo) محامي
فرنسا العام في تقريره . ولكن لا يقين " اقدرى " أمر تلك العواقر المقتفة
المهذبة على ما يجد من حالهن في بلاد الشرق . ذلك بأن فرنسا قطر مذهب
متمدن ، فلا بد أن تكون جميع أموره على درجة عالية من الأمانة
وتهديب والتنظيم . فبذلك يُستفاد من الحرفة من الجرائد والبطاقات

المصورة ، والتليفون ورفع الدعوة الشخصية ، لاستيالة قلوب الزراد .
ولا يلوم ضمير الرأي العام على شيء من ذلك ، بل ربما عدت اللائي يترزن
على غيرهن في هذه التجارة ، أدوات ساطعة وقود غير قليل في السياسة
الوطنية والمسائل الاقتصادية وطبقات الأعيان والأمرء ، وبكلمات أخرى
يتلن من الرقي مثل مافاته المومسات في المدن اليوناني عينا قبل .

وصرح موسيو فريدنان درفوس (M . Ferdinand Dreyfus)
أحد أعضاء المجلس الفرنسي منذ بضع سنوات ، « أن حرفة البناء لم تعد
الآن عملاً شخصياً ، بل قد أصبحت بحارة (Business) برأسها ، وحرقة
منظمة (Organized Industry) يفضل ماتجلب وكالاتها من الأرباح
الغزيرة . فلها في هذه الأيام وكلاء يهيشون (المود لحام) ، وآخرون
يتجولون في البلاد ، ولها الآن أسواق منظمة ، تُستورد فيها وتُصدر منها
الفتيات والصبايا كالأموال التجارية . وأكثر ما يُطلب في هذه الاسواق
من الاموال هو بنات دون العاشرة » . ويكتب بول ميورو : « ان هذا
العمل (أي احتراف البناء) قد أصبح في زماننا نظاماً يحكم التركيب ،
يجري بما شئت من التنظيم على أيدي الموظفين والعاملين المأجورين . ويجدهم
ويعمل فيه أرباب القم وناشرو الكتب والخطباء والمحاضرون والاطباء
والقابلات والسياح التجاريون ، ويستخدم له كل جديد من فنون النشر
والعرض والاعلان » .

ثم لم نقف أمر هذه الفاحشة على دور البناء ومكامن الدعاية المبرورة .

بل هو قد جاوزها إلى القناري والمقاهي والمراقص فيجري فيها البهاء علناً
وعلى مشهد من الملم ووربها تبغ البهجة في القائمين بها أنفوس حدود الظلم
والقساوة . يقال إن محافظ بلدية في شرقي فرنسا اضطر إلى التدخل في
الامر سنة ١٩١٢م . لإخماد فتاة كانت قد فرغت في يومها من سبعة
وأربعين وارداً . وكان عدد منهم جدد بائلب يترقبون .

وجاءت الحرب المالية الاولى ، قابضت يدها (النساء المخطويع)
علاوة على (البناء التجاري) المعروف . وبلغ هذا النوع المتكرر للفجاءة
من عظم الشأن أن أكرمت النساء المنجيات لوطن الماتي كنن " خدمن "
الابطال المدافعين عن أرض فرنسا وولدن جزاء تلك الخدمة أولاداً
لا يعرف آباءهم ، ولقبين بلقب " أموت زمان الحرب " War-God -
mothers) . . تصوير قد بلغ ولقة من الطرافة أن تكاد نساء
الشرق تصجر عن ترجمته . تجلت هؤلاء النساء يتعاطين ابغاء بصورة
منظمة . وأصبح (تشجيعين وإعانتين) عضيلة " خفية " عند أولي المدارة
والمعجور . وعُنت الجرائد اليومية الكبرى عناية بالغة بأسئلة (رجال
العمل) الذين وقامت بهمة الخدمة أكثر من غيرها الجريدتان المصورتان
السيارتان: منتاسيو (Fantasio) ولاني باريزيان (La vie Praisienne)
حتى جاء عدد واحد من هذه الجريدة الاخيرة يشتمل على ١٩٩ إعلاناً
عن أمرهن .

طوفان الوقاحة ومجموع الشرهات

إن الهيجات . الجنسي الذي يؤدي إلى كل هذه الكثرة والرواج

لأنواع الفواحش، إنما ينبعث من تأثير الآداب والصور والسينا والمسرحية
والرقص، وما إليها من مظاهر التفتت والتبذير.

ولا زال هناك عصابة من أصحاب التروة اللاتنيين يضرمون نار
مشهورة في احوالهم بكل ما يملكون من التداوير، يروون بذلك بضاعتهم
ويتممون تجارتهم، ثم هناك الحرائد اليومية والاسبوعية، والمجلات
الشهرية ونصف الشهرية، المصورة، التي تطرأ كلها بقسطنطينية، ولا
تنتهي في القسطنطينية، وصور عصرية فاضحة، لأن ذلك آمن لشيوعها
وكثرة انتشارها، ويستخدم اصحابها لهذا الامر على ما يجدون الله من مواهب
المنفعة والذكاء والحدق الفني، ومعرفة أسرار النفس البشرية لكي لا
يُغتلب من كيدهم القاري، المسكين، وليس هذا فقط بل تأتي من وراء
ذلك كتب ورسائل تصدر كل يوم من المطابع الملوثة بما شئت من
معاني الخلاعة والوقاحة حول المسائل الجنسية وتبلغ من كثرة الشيوخ أن
تُطبع للواحدة منها خمسون ألف نسخة في طبعة واحدة، وربما طبع
الكتاب الواحد مئتين طبعة أو تزيد. وهناك بعد ذلك، دور لطباعة
والنشر قد اختصت بشعر هذه الآداب الجنسية، ولولب كاتب تلك الشهرة
والمنزلة من طريق الكتابة في هذه المواضيع. وإياه لم يمد لأن تأليف
كتاب قاحش غزاة أو مهانة لمؤلفه بل لمؤلفون مثل هيك الكتاب،
إن نالت لدى الناس سطوة وقبولاً، يجازون إما بمضوية الجمع العلمي
الفرنسي، أو يشرفه كروي دونور (Creix d'honneur)

وتتضر الحكومة إلى كل هذه المظاهر للتبدل والإعراء والتهيج نظر
 المشهد، لتفترج ولا تشكر من أمرها شيئاً .. اللهم إلا أن يدع شيء
 متاد في المعش .. فتمطره الشرطة على الرغم منها ، وترفع أمره إلى
 المحكمة . ولكن لا بأس ؛ فإن هناك محاكم سمحة واسعة النفاذ مثله
 هؤلاء المجرمين ، فتختل سبلهم بعد شيء من الزجر . ذلك بأن الذين
 يجلسون للحكم في تلك المحاكم ، يكون معظمهم بأنفسهم من المنتسبين بهذا
 الصنف من الأدب . ومنهم من يكون قلبه نفسه متلوثاً بتأليف أدب جنسي
 حلبي . وإن اتفق أن يكون منهم قاصد من أنصار الفكر القديم
 'يخشى منه' (جود وغدول) في تلك القضية ، اتفق أكابر الكتائب
 والادباء على التدخل في الأمر ، فأعلنوا صياحهم في الجرائد بضرورة
 وجود الحق في الحر في المجتمع لترقية الفنون والآداب ، ونادوا أن تقييد
 الإنسان بقيود الأخلاق على طريقة أهل القرون المظلمة ، معناه الإحسد
 بخلاف الفنون الجميلة ومنها من الرقي والازدهار .

ولننظر بأي لطائف يتم للفنون الجميلة هذا الرقي والازدهار إذ
 يتم أي أكثره بإشاعة تلك الصور العارية و (الفوتوغرافات) المظلمة
 لمصلحة الفحشاء التي تعد منها آلاف مؤلفة من المجموعات (Albums)
 متوزعة ، لا في الأسواق والمتاجر والمقاهي فحسب ، بل على المدارس
 والكتبات أيضاً . وقد كتب أميل بويرسي (Emile Puerisy) في
 تقريره الذي قدمه إلى الجلسة السابعة الثانية لرابطة منع الفواحش :
 « هذه الفوتوغرافات الدامرة المهتكة تصيب أعينهم الذين بأشد

ما يمكن من الهيجان والاحتلال ، ونبحث مشربها البؤساء على المعصية
والاجرام التي تقسم من تصورها الجلود ، وإن أثرها السيئ المهدك في
الفنية والفنيت لمما يصجز عنه البيان فكثير من اندارس والكليات قد
خرجت حالتها الحنيفة والصحية لتأثير هذه الصور البهيمية . ولا يمكن
أن يكون الفتيات - على الاخص - شيء آخر وأنتك من هذه .

ثم لهذه العنود الحيلة ، تملأ المسارح والمعاوي والسبيا وأبناء
الموسيقى وغيرها من أنواع الملاهي ، فإن المسرحيات التي يشهد تثيلها
أعلى الطبقات الفرنسية بإقبال واشتياق ، والتي بذلك مؤثروها ويمثلوها
الناجسون أو مر حظاً من إعجاب الامة ورضاها ، تكون كلها ملوثة
بدواعي لشهوة ابهيمية ، ولا تكون دهرتها البارزة إلا أن تعرض على
النضارة أخطأ ما يمكن من خلق إنساني بخص من أسوء حسنة ومثل
أعلى يمثّل . فيقول جول بيورو : " أن من أراد من الباحثين أن يطالع
حياتنا المدنية من خلال هذه النادج للحياة ، التي لا يزال رسمها ككتاب
مسرحياتنا ، منذ ثلاثين أو أربعين عاماً ، فلا يجرم أنه يستنتج أن جميع
الارواح المتزوجة في مجتمعنا قوم " خنوة متجردون من الوفاء لازم للخدمة
الزوجية . فيكون كل زوج منا إما طيباً عاقلاً ، أو يكون لزوجته
جلاء ونكبة . ولما الزوجة فاسد خصامها أن تكون في كل حين متبرمة
من زوجها ، تكاد تميل بهواها عنه إلى غير . "

وإذا كانت هذه حال المسرح التي تتفرج بها الطبقات العالية فيقدر

في نفسك ما عسى أن تكون عليه ملاهي الدامة ومسرحياتهم فكل ما قد
يُمنحبه أوعاد الناس وسعتهم ، من أنساب الكلام وحركات الدلالة
ومتأخر العري ، تعرضه هذه المسارح على متابعها بدون حياء ونعم ،
ونفي قناع من تريض أو كناية . وتؤكد العامة من طريق الاعلان
أن كل ما تطلعه شهواتهم النفسية مريباً عندها ، وأن مرصعها على المنصة
يكون واقعياً (Realistic) لا تشينه الصنعة والتكلف . وقد جاء أميل
بوريسي في تقريره بأثلة متعددة من أحوال تلك المسارح ، دوتت بعد
حولات في مختلف الملهي والملاعب . يقول وقصد كفى عن أمثلها
بحروف المجهل :

• « كانت أعالي المنصة ومردياتها (Monologues) وحركاتها في
مسرح (ب) عبة في الخلف والفضي . وكان لشخص الخلق من ورائها
نكاد بصور آخر مدارج لاختلاط الجنبي . أما نظارة المسرح فكانوا
أكثر من ألف ، يرى من بينهم الأشراف أيضاً . وكانت الجميع كاه
كالمحور بسحر العرض ، يرفع صوته بالرحيب والتحسين كل
حين وآخر »

• « وفي مسرح (ن) كانت الأعالي القصار وما تغلبها من كليات
وما صاحبها من حركات ولفائف ، بالغة من الوقاحة والتبذل أقصاه . وكان
هناك صبيان وفتية أصغر ، يشهدون هذا لمرض مع الأكار ، ويصفقون
بأيديهم عند كل منظر شديد الوقاحة . »

• • وفي (ل) صاح الحضور خمس مرات بالمثلثة يطبقون منها تكرير
نمطها الذي كانت تحمته بأعنية ممتدة في الخنا والمهجر .

• • وفي (س) ألح النظارة على نملة سفلوها مرة بعد أخرى ،
على إعادة عرض مناد في الفحش ، حتى صاحت بهم عاضبة : قاتلكم الله
يا فجار ، ألا ترون أن بجانبكم في هذه القاعة صفراء ، ثم انصرفت من
النصة بدون أن تستكمل دورها في ذلك الفصل من المسرحية . فكان ذلك
العرض بالنأ من الدناءة والفحش أن لم تصبر على تكراره حتى تلك
المدحة المتأدة .

• • وفي مسرح (ز) اقترعو على الممثلات ، بعد ختام المسرحية ،
وكن أنفذهن بمن نذاكر اليا نصيب بشرة مائيات ، فليمن طارت
له إحداهن ، بات معها تلك الليلة .

ويكتب بول بيورو : إنه لما تعرض على النصة لـ « صرايات لا تكون
على أحسامهن خرقه ثوبه . وقد كتب أدولف براسون (Adolphe Brason)
في جريدة طان (Tampa) الفرنسية المشهورة ، يحتج ويسترض على مثل
هذه المنكرات : « لقد بلغ السيل الزوى . ولم يبق بعد هذا كله سوى
أن تعرض على أنظار الناس منظر الفاحشة بينه والحق أن (نحن الجيل)
لن يستكمل بدون ذلك » .

ولا يقل نصيب حركة منح الخدوما يسمونه العلوم والآداب الجنسية

في إشاعة الفواحش وإفساد أخلاق الناس . إذ يدبغ انقوم لأجله من
تفاصيل الخلل ومطلقاته ، وطرق استعمال الآلات ليتم ، بالخطب وبالنفوس
السحري (Magic Lantern) في المحلات العامة ، وبالصور والبيانات
الإيضاحية في الرسائل والكتب ، مما لا يبقى بهذه شي من أفعال الأعضاء
الجنسية ، محتاج إلى شرح وبسط . وكذلك يفعلون في كتب العلوم
الجنسية ، إذ لا يدعون حاجة من فواحي الأفعال الجنسية من شرح الأعضاء
إلى آخر ما شئت . إلا يحونها ويبرزونها لكل كبير وصغير ، ويحذون لكل
ذلك قناعاً من أسماء (اسم) و (التحقيق) و (لعلوم التجريبية) حتى يحل عن
سهم النقد والتفريع ، إلى تقدمون ، فيدعون إشاعة كل ذلك (خفية
اجتماعية) . ويقولون : إنه لا تريد بذلك ، إلا أن نجيب انفس من
الشئون الجنسية . ولكن الحق أن نشر هذه الآداب ولتعاليم الجنسية ،
وتسميها على هذا النطاق الواسع ، قد أذهب الحياء عن نفوس النساء
والرجال والشبان والشابات . ومن ثم فهم أشد ما يكون من الوطاحة وقلة
الحياء وقد آتت الخطب بهذا النشر ، ليوم إلى أن صبية ، بل دومة ، التي لم تبلغ
الحلم بعد ، تعرف عن الشئون الجنسية ما لم تكن تعرفه لثنيات مما مضى .
وكذلك الصبيان دون سن البلوغ ، تنور بهم النزعات الجنسية قبل
آوانها ، فيشتاقون إلى مزاوله التجارب الجنسية ، ويسطون قيادهم لشهوات
الانفس السارمة . وإذا كان الزوج النورج حياً من المعز مميئ ، فإن
هذه التجارب لا تقتيد بمحد من المعز . بل يأخذ فيها لشباب من السنة
الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمرهم .

أعراض الهمك القومي الشامل

وإذا كان المحاط الأخلاق ، وانتاج اللاهواء ، وتبديد الشهوات ، قد بلغ من أمة ما حد ، لمبلغ الهائل ، وكانت هذه حالة الرجال والنساء والشيوخ والشبان في انفسهم في الذات ، وكان الهيجان الجنسي قد خولهم من المس حتى أخرجهم من طورهم ، فمن الطبيعي أنت تنامي في تلك الأمة كل أسباب هلاك وابوار. وهذه الأمم المتدحرجة إلى الزوال ، القائمة على شفا حفرة من النار ، إذا شاهدنا الناس في ظاهر السلطة والشوكة يستنتجون أن لها كفا في الملامى والذات ليس بانهما من الرقي بل هو عون لها عليه ، وإن الأمم تكون في أعلى مجدها وأزهى رقيها أمين ما تكون في لاهواء والشهوات. ولكنهم ساءم بمحكون وما يستتجون إذ أن قوى التدمير وقوى التخريب إذا كانت متفاعة في أمة في لوقت الواحد ، وكان جانب التدمير هو الغالب في أعمالها ونشاطها ، فمن السخف والحكمة أن نعد قوى التخريب أيضاً من أسباب تدميرها .

هم ذلك يمثل تاجر بارع في مهنته ، يكتسب ملايين بفضل دكانه واحتجاده وتغييره ، ويستمر مع ذلك في شرب الخمر والمقامرة والتصف خبل من خطأ كبير من حدك كلاك هذين الوجهين المتعارضين لحياته من أسباب رعايته ورفقه ، إنما لحق أن اللجنة الأولى من صفاته هي السبب في تدمير كيانه ، واللجنة الأخرى من صفاته هي عاملة على تخريبه . فإذا كان كيانه ثابتاً بفصل قوة الصفات الأولى ، فليس ممناً أنت الصفات

الآخرى ليست بفاعلية فعلها التخريبي في الكيان . بل إذا دقت النظر
وسبرت عور الامر ، بدالك أن تلك القوى المدمرة الخربة لا تزال
تستقص عما أودعه من قوى العقل والجسد ، ونأكل من ثروته التي قد
اكتسبها بكده بينه وتستدرجه إلى البوار ، وتحنين - في الوقت نفسه -
فرصة الايقاع به دفعة واحدة . شيطان القامرة الفاسد عليه قد يعي
ثروته المتخزنة في ساعة واحدة من أشأم ساعات حياته ، وهو مترقب
به الدائرة في كل حين . وشيطان الحجر المتمكن منه قد يركب به زلزالا
في لحظة نشوة ، فيركبه صغر اليدين ، وهو أيضا له بالمرصاد . وكذلك
شيطان الدعارة والمجون لا يزال ينتظر الفرصة يبدعه إلى القتل أو
مهلكة أخرى تفجؤه . وأنت لا تستطيع أن تقدر ماذا كان يبلغ وفي هذا
الخاجر وتحسن حاله ، لو لم يكن واقعاً في براثن تلك الشياطين .

رأس على هذا كله حال أمة من الأمم . فإن تسدد في مدارج الرقي
بأدى ذي بدء بفض مافهم من قوى التعبير والانشاء ، ولكنها لا تنقسم
في سبيل الرقي خطوات ، إلا تعود ، أفقد القيادة الرشيدة ، تهيم ، تنسها
أصباب خربها . صحيح أنها لا تزال إلى مدته من الزمان تحضي قدماً بداعم
ما يحسبها من قوى التعبير والانشاء . ولكن عوامل افساد وتخریب
لا تنفك في الوقت نفسه تأكل من قوة حياتها من الداخل ، حتى تخجفه
بقياضه وتضعف كيانه إلى حد أن تهبطه صدمة فجأة من صدمات البحر .
وهنا يلي تذكر عوامل الخراب والدمار البذررة التي قصد أورثها الأمة
الفرنسية نظامها الاجتماعي الفاسد .

اضمحلال القوى الجسدية

إن أول ما قد جرى على الفرنسيين فكشُّن الشهوات منهم اضمحلال قوام الجسدية وتسربها إلى الضعف يوماً فيوماً . فإن الهياج الدائم قد أوهن أعصابهم ، وتبدد الشهوات بسكاد يأتي على قوة صبرهم وحلدهم ، وطفان الأمراض لسرية قد أجهتْ صحتهم فمن أوائل القرن العشرين لا يزال حكام الجيش الفرنسي يعضون من مستوى القوة والصحة البدنية المطلوب في المتطوعة للجنود الفرنسي ، على فترة كل وضع متين ، لأن عبء الشبان الواعين بالمستوى السابق من القوة والصحة لا يزال يقل ويتدر في الأمة ، على مسير الأيام . وهذا مقياس أمين يدل كدلالة مقياس الحرارة - في الصحة والتدقيق - على كيفية اضمحلال القوى الجسدية في الأمة الفرنسية . ومن أهم عوامل هذا الاضمحلال : الأمراض اسرية انتكاسة . يدل على ذلك أن كان عدد الجنود الذين اضطلعت الحكومة إلى أن تفهم من العمل وتبشهم إلى المستشفيات ، في السنتين الأوليين من سني الحرب المالية الأولى ، لكونهم مصابين بمرض الزهري : خمسة وسبعين ألفاً ، وابتلي بهذا المرض وحده ٣٤٣ جندياً في آن واحد في ثكنة متوسطة . وتصور - بالله - حال هذه الأمة البائسة في الوقت الذي كانت فيه . بجانب - في المضيء الحرج بين الحياة والموت ، فكانت أخرج ما يكون إلى مجاهدة كل واحد من أبنائها الحساريين ، لسلامتها وبقائها ، وكان كل فرد من ترونها بما يرضى به ويوفر ، وكانت الحالة

تدعو الى بذل أكثر مما يمكن من القوة والوقت ومئات الأدوات
والوسائل في سبيل الدفاع . وكان - بجانب آخر - أينماؤها الشباب هؤلاء
الذين تطل آلاف منهم عن أعمال الدفاع من جرء انقياسهم في الدلت،
وما كفى أمهم ذلك خسراناً ، بل هم ضيعوا جانباً من ثروة الأمة
ومسانب في علاجهم ، في تلك الاوضاع الخرسجة .

ويقول طبيب فرنسي نطاسي يدعى الدكتور ايريد : « انه يموت في
فرنسا ثلاثون لف نسمة بالزهرية وما يتبعها من لامراض الكسيرة ،
في كل سنة . وهذا المرض هو أفنتك الامراض بالأممة العرفسية بعد
حمى الدق . وهذه جريرة مرض واحد من الامراض السرية التي
خبا عنها هذا ، أمراض كثيرة أخرى .

فساد النظام العائلي

وانسكة الثانية المنظمة التي قد حررها على الشعب الفرنسي ، « طينان »
فاسهودة المطلقة ورواج الإباحية وقبولها : هي خراب النظام العائلي ،
وقهوض بنيانه . إن النظام العائلي - كما هو معلوم - يتألف مما يحدد
بين الرجل والمرأة من الرابطة الأبدية التي يعبّر عنها بالتمكاح . فمنه
الرابطة مما بينها نسود حياة الافراد اسكينة والذوام والاستحكام ،
وهي التي تنحدر (فرديتهم) إلى الجماعة . وتذاتل ما يفسهم من نوازع
القوى والشغاث ونقصه للتمدن . وفي دائرة هذا النظام يتبع ذلك

الجو المطهر من المودة والأمن والإيثار ، الذي يهيئ الأجيال الناشئة فيه أن يدرجوا على الاخلاق الزكية والتربية الصحيحة والتنشئة السليمة ولكن مجتمعاً كان الرجال والنساء فيه فارغى الأذهان من تصور التكاح ومقاصده ، ولم يكن لاملقة الجنسية بين الصنفين عديم من عاين سوى قضاء بعض الشهوات الحيوانية ، ثم كان في ذلك المجتمع أرسال من الذوائن والدوافع يهبون كالغرائس بكل رهبة من أرباب الروض يستشقون غيرها ويتصنون رغبةا ، فلا يمكن أن يقوم فيه هذا النظام العائلي . وإن قام ، فلا يمكن ان يستقر : ذلك بأن رجاله ونساءه لا يهودون بمصالح ولا تضلوا بأغواء الزواج وبعائده ، وحقوقه وواجباته والتزاماته الخلقية ، ويكون من تأثير هذه الحالة العقلية والخلقية بهم أن يشأ كل جيل لا يحتمل على خلق أسوأ مما كان عليه الجيل السابق . ويطلع من اثره الافراد وأنانيتهم ما يشغل شغل المجتمع ، ومن رزق النفوس وتلوها ما يحمل سياستهم الوطنية وسلوكهم الدولي كريشة في مهب الرياح ، لا تدوم على موقف . ويتكدر بعض الافراد بخلاف بيوتهم من الهدوء والسكون ، ويطلع عليهم قلق نفسي دائم يحرمهم من فراغ الخاطر وهدوء الذهن ، وكل هذا عذاب من حميم الدنيا ، يلقى الانسان فيه بنفسه انراهم ، بل لهيامه المتطرق بالمتع واللذات .

سبعة أو ثمانية في الالف هو معدل الرجال والنساء الذين يتزوجون في فرنسا اليوم . ولك ان تقدر من هذا المعدل المنخفض كثرة النفوس التي لا تتزوج من اهلها ، ثم هذا النذر القليل من الذين يعقدون الزواج

قلَّ فيهم من ينوون التحصن والتزام المعيشة البهيمية الصالحة ، بل هم يقصدون به كل غرض سوى هذا الغرض . حتى إنه كثيراً ما يكون من مقاصد زواجهم ، أن يُحاطوا به الولد الفضل الذي قد ولدته المرأة قبل النكاح ، ويتخذوه لهم ولداً شرعياً . فقد كتب بول بيورو : « من العادة الخارية في طبقة المملين في فرنسا أن المرأة منهم تأخذ من خدمها حينئذ ، قبل أن يعقد بينها لنكاح ، أن الرجل سيتخذ ولداً لها الذي ولدته قبل لنكاح ولداً شرعياً له . وجاءت امرأة في محكمة الحقوق عديمة سين (Siene) مصرحت : « إني كنت أدتُ بولي عند لنكاح يأتي لأقعد الزواج إلا استحلل الأولاد الذين ولدتهم نتيجة اتصالني به قبل لنكاح . وأما أن أعشره وأعيش معه كزوجة ، فـ كان في يتي عند ذلك ، ولا هو في يتي الآن . ولذلك اعتزلتُ زوجي في أسير اليوم الذي تم فيه زواجي ، ولم ألتجِ به إلى هذا اليوم ، لأنني كنتُ لا أنوي قط أن أعشره مباشرة زوجة » (الصفحة ٥٥)

قال حميد كلية شهيرة في باريس لبول بيورو : « إن عامة الشباب يريدون بهقد النكاح استخدام يتي في بيتهم أيضاً . ذلك أنهم ظلّون مدة عشر سنين أو أكثر يقيمون في أودية القصور أحراراً مطلقاً ، ثم يأتي عليهم حين من دهرهم يعلّون تلك الحياة السريفة المتقلّبة ، فيتزوجون بامرأة بينهم حتى يجمعوا بين هدوء البيت وسكينته ، ولذة المفادنة الحرّة خارج البيت » . (الصفحة ٥٦)

وإن زنة المُحَصَّنات والمُحَصَّنين لا بُدَّ من السب أو القوم في

فرلما ، وإذا كان أحد من المحسنين متخذاً خلية دون زوجته ، فلا يرى لإخفاء الأمر من لزوم . وهذا الجنس فعمله ذلك شيئاً طدياً طبيعياً في الرجال . (الصفحة ٧٣٦ - ٧٣٧)

ولهذا كله قد ضُمَّت رابطة ' السكاح ' ، وبلغت من الزمن أن يفت حبسها لأدنى مناسبة ، وربما لم تزد مدة هذه الرابطة على أكثر من ساعات معدودة . فيقال عن رجل فاضل من الفرنسيين ، كان قد تولى الوزارة بضع مرات . أنه طلقته امرأته بعد خمس ساعات من انعقاد الزواج بينها ، وربما كان من أسباب الطلاق هات تلمية تفسحت الفاكه ، كاشتزاز أحد الزوجين من غبط الآخر في النوم ، أو كون أحد منها لا يحب كلب الآخر . وقد بلغ من تفاقم الطلاق أن محكمة الحقوق بمدينة سول فسخت ٧٩٤ زكاحاً في يوم واحد . ووقع في سنة ١٨٤٦ م التي قُدر فيها قانون الطلاق الجديد . أربعة آلاف طلاق . وبلغ هذا العدد مائة ألف سنة ١٩٠٠ م ، وستة عشر ألفاً سنة ١٩١٣ م ، وواحداً وعشرين ألفاً سنة ١٩٣١ م

وأد الفصل

إن تربية الأولاد عمل خلقي سام ، يتطلب من المرء مغالبة النفس ، وترك الأهواء والريجات ، واحتياك المتعبد والمثاق ، وبذلك الانفس والاموال . فلا يمكن أن يتلقى لهذه الخدمة السامية قوم أفانيون عبيد للنفس ، قلب عليهم البهيمية وسب الذات .

من سنين سنة أو سبعين ، لا تزال المدعية بحق حرة مع الخلل على أشدها . وقد زودت هذه الحركة كل رجل وكل امرأة من الإمارة الفرنسية بحرية التدابير التي يستطيع منها المرء أن يتمتع ببلدات املاقة لحسية ، ثم يتقي عاقبتها العاصية أي الخلل والتوليد . وإن من بلد أو قرية إلا تباع فيها عقاقير وآلات منع الحمل في بيض النهر ، حتى صارت في متناول كل يد ومن نتيجة ذلك أن لم يعد استمها مقصوداً على أهل المدبرة وعدمه ، بل صار يستخدمها كثير من الأزواج المتزوجين . وأصبح من أماني كل زوجين منهم ألا يقتحم بينها الولد هذا الدغل لويل الذي مكثرت صنوه اللذات . وإن السرعة التي لا يزال يتخفف بها معدل التوليد في فرنسا ، قد حذمت منها العلماء والاحصائيون أنه يتبع توليد مئة ألف نسمة - على الأهل - في كل سنة ، من جراء هذه العادة المنتشرة في البلاد .

وأما الجمول التي تستضي على كل تلك الخيل والتدابير ، وتسمر ، ميتحطص منها بالاسقاط ، ويتبع هذا التدبير أرمائة ألف نسمة أخرى من البروز . ولا تباشر هذا لاسقاط لموانيس والامكار وحدهن ، بل تجارمين في هذه السيرة المتزوجات أيضاً على قدم المساواة . ويعد هذا الفعل بريئاً من كل عيب في نواميس الاخلاق ، بل يعد حقاً من حقوق المرأة واجباً . والقانون ، كأنه قد أحضر عينيه عنه ، ومع أن الفصل جرمية في سجل القانون ، إلا أنه لا يؤاخذ ولا يرفع إلى المحكمة إلا

واحداً في كل ثلاثة من مرتكبي . ثم إن الدين يُرفع حرم إلى
الحكم ، يُجوزُ منهم هناك قدر ٧٥ في المائة . وقد بشرُوا من تدابير
الاسقاط ونشروا عليها في القصة كسراً جعل معقلم النساء يباشرنه
بأنفسهن . وأن اللاتي لا يقدرن عليه ، فيجعلن المونة لطية سنين على
كتيب . مما عاد به قتل الولد في الرحم أهون على القوم من قلع العرس
الموجع في العم .

وقد بسطت هذه المقدمة صالحة الامومة في المرأة مبغياً جعل الأم
التي ما زالت لدنيا تثير حنانتها أسنى مدارج استي الاساني تفضتو
من الاولاد ، بل تكرههم ، بل تُسأدهم ، فالذين يسلمون من الاولاد
من غوائل تدابير المنع والإسقاط ويخرجون إلى سائر الوجوه ، ينامون .
أشد ما يكون من النظرة والقسوة . وبذكر بول سور و هذه الحقيقة
أولاً بما يأتي :

« كثيراً ما نطعم في الجرائد على مصائب الاطفال الذين يسومهم آثوم
سوء العذاب . وهذه الجرائد لا تذكر من تلك الاحداث إلا ما يكون
له خطر . ولكن الناس يعلمون : أي قسوة يُعامَل بها هؤلاء الضيوف
الثقل الذين قد يرميهم آثوم لما قد نكسوا عليهم لذة الحياة . وهذه
الارواح المسكينة لا تجد إلى الوجود سبيلاً إلا " حينما تنكسر " من
النساء عن الإقدام على الإسقاط . ولكنهم إذا جاؤوا في هذه الدنيا ،
يدوقون ويك مجيئهم بها حتى مداقه . »

وربما تسف هذه الكراهية الأولاد من بنات حواء أن يأتين

بالمنحركات المبكيات . فقل انه مات لامرأة ابن ستة اشهر ، فوصته
نفسه بين يديها ورقصت بالفرح وضجت ، ثم طافت بجاراتها تقول : ولما
لن قتل ولداً آخر بعده وراحه نفسي وهوس بعلي من موت هذا الملتقى ،
أفلا ترين أي مخلوق حقير هو هذا الذي لا يتقطع عن البكاء ، ويطلق
يث القدر في القتل . يكاد المرء لا يتخلص منه أبداً ، (الصفحة ٧٥)

وأدعي من ذلك وأمر أن قتل الاولاد هذا إلى الزيادة ولا انتشار
بسرعة عظيمة . والحكومة الفرنسية وعما كتبها متهاولة مستخفة بهذه
الجرمة المظلمة كصنيعها في إسقاط الجن . فقد رُفِع إلى محكمة (لوران)
حتان قتل ولادها . وثكنها أعفيتها من العقوبة . وكانت إحداهما قد أهلكت
ولدها بلا غرق على حين كان اقاربها لا يزالون يرثون لها . ولقد أسبقاً ، وكانوا
مستعدين لثبوت هذه الآخر . ولكن الظالم أثبت إلا ان قتل المسكين .
وارتأت لمحكمة ان جرما هي يستفر . واما الاخرى فضقت طفلها ، ولما
رأت فيه بعد ، حشدة نفس تضطرب ، ومث به عرض الحائط
فشجنت رأسه . وهذه المرأة أيضاً لم يرها القضاة الفرنسيون تستحق
العقوبة او القصص . وفي سنة ١٩١٨ م نفسها جرياً إلى محكمة (سين)
براقصة ، حاولت نزع لسان ولدها من حلقه ثم حطمت رأسه . واخيراً
حطمت منه الوثين . ولم تكن هذه المرأة أيضاً مجرمة عند القضاة أو
المجاملين .

فهل ترى من حيلة أو تدبير يتخذ من ابوار أمة تمن إلى هذا الحد
دفاعاً عن عدائها لنفسها . إن التناسل أمر لا بد منه لأفراد نساء أمة من

الامر . فكل أمة تعادي نشأها فإنها تعادي نفسها وترمي نفسها في
الانتحار . وهي تكفي بذاتها أن تحو وجودها بأيديها . وإن لم يسكن
من حولها عدو . والامة الفرنسية — كما أسلفت — لا تزال تهبط فيها
نسبة المواليد منذ سنتين عاماً متوالية فهي بعض السنين تزيد نسبة الوفيات
على نسبة المواليد ، وفي الأخرى تساويان ، وفي الثالثة لا تزيد نسبة الوفيات إلا
بقليل جداً . وبجانب آخر ، لا يزال عدد الحالية المهاجرين في فرنسا يمتد
وبكثر . فكانوا قرابة ثلاثة ملايين من بين اثنين وأربعين مليوناً من
سكان فرنسا الأصليين سنة ١٩٣٨ م . وإن استمرت الحال على ما هي
عليه الآن ، فلا يستبعد أن تعود الامة الفرنسية ، عند ختام القرن
العشرين ، أقلية في وطنها هي .

أما بعد ، فهذه كلها هي نتائج تلك النظريات التي أقيمت على
أساسها حركة تحرير المرأة والحفاظ على حقوق النساء في آخر القرن
التاسع عشر !!

مزيج من الأمثلة

لم تقتصر في الصفحات الماضية على ذكر نظريات أهل فرنسا ونتائجها الخاصة فيهم ، إلا مراعاة للاطراد التاريخي . ولا يجسّد أحد أن الأمة لفرنسية تفقد بذلك كله وتشهد عن غيرها في هذا الباب . بل الامران جميع الأمم التي قد آمنت بما ذكر آتيا من نظريات الاخلاق ومبادئ الاجتماع المتطرفة ، فذهب وتجارب في تلك الحوادث . وهناك مثالا بالولايات المتحدة الاميركية التي قد بلغ فيها هذا النظام الاجتماعي أوج شبابه :

تأثير البيئة المربية في الأطفال

يكتب القاضي بن ليندي (Ben Lindsey) الذي قد أتبع له الاطلاع الواسع على اسلاق النشء الاميركي ، الكونه رئيس المحكمة جنابات الصبيان (Juvenil Court) بدنتون (Denwer) يكتب في كتابه " تمرد النشء الجديد " (Revolt of modern youth) : " أن التغيير في أميركا قد أصبحوا يراهقون قبل الاوان ومن السن المبكرة جداً يشهد فيهم استمور الجنون . ويبحث هذا القاضي عن أجول ٣١٢

حبيبة على سبيل النموذج. فلم أن ٢٥٥٥ حبيبة منهن كن أدركن بلوغ
عما بين الحادية عشرة والثالثة عشرة من سني أعمارهن . فوجد بينهن من
أمارات الشهوة الجنسية والمطالب الجنسية مالا يكون عادة إلا في بنات
الثامنة عشر فن فوفين سينا ١ (الصفحة : ٣٢٨) .

وكذلك يذكر الدكتور أدريت هوكر (Edith Hooker) في
كتابه : القوانين الجنسية (Laws of sex) . أنه ليس من الغريب
الشاذ حتى في العلاقات المثلية أن يبت سيج أو ثنائي سنيين منهم مخادع
لثلاثين من الصبية وربما تزوج منهم بالفاحشة ، فيقول :

« بنت في السادسة من عمرها ، من بيت عريق في الشرف والمجد ،
ارتكبت الفاحشة مع أخيها وعدد من أصدقائه . ونفرت آخر من خمسة
أولاد يشتمل على صبيتين وثلاثة صبيان متجاوزين متفرد في البيوت توجدوا
مطلقين بعضهم ببعض بالعلاقات الجنسية ، وقد حفزوا على ذلك غيرهم
من الأولاد أيضاً . وكانت أكبر أولئك سنّاً بن عشر سنين . وبنت
أخرى في التاسعة ، كانت في ظاهر الأمر تحت رقابة شديدة ، وجدت
صبيدة بكونها حبيبة عشاق ذوي غده »

وقد جاء في تقرير طبيب من مدينة بالتي مور (Baltimore) أنه
قد رُفِع إلى المحاكم في تلك المدينة أكثر من ألف مراصة في مدة سنة
واحدة ، كلها في ارتكاب الفاحشة مع صبايا دون الثانية عشر من العمر .
(لصفحة : ١٧٧)

وهذا كله ثمرة يكر الله النتيجة التي تنبأ فيها عوامل الإنارة والإذكاء للمواطنين من كل جانب . فيقول كاتب أمريكي : « إن الأوضاع التي يعيش فيها معظم أسنانا في هذه الأيام تنبعث عن الفطرة بشدة يجعل الغيبة والفتيات يشعرون بديب الحب في قلوبهم من سن الخامسة عشرة ، وساء ذلك مصيراً . لأن هذا الولوع بالأمور الجنسية الناشئة فيهم قبل الأوان قد يسود عليهم - بل هو دائماً يهود - بأسوأ ما يكون من النتائج . وأهونها أن البنات في سن المصبا يقررن مع أحدهن أو يتزوجن في السن المبكرة . ويشعرن إن هن لقين في غرامهن الخيبة والخذل .

مرحلة التعليم

وكذلك فإن الأولاد الذين يحتسب فيهم الشعور الجنسي قبل أو نه يجدون المدارس أول مجال لمدرسة التجارب الجنسية ، وتكون هذه المدارس نوعين : أحدهما المخصصة بالجنس الواحد من الأولاد ، والآخر : المختلطة .

فالنوع الأول من المدارس ، تنتشر فيها سميتنا فتتبع الجنس بالجنس (Homo Sexuality) والاستمتاع (العادة السرية) وذلك لأن البواطف التي قد أد كيمت حمرتها في عهد الصبا ، ثم جاءت ليئة زاهرة بأسبابه إشباعها وإصرارها ، لا بد أن تجد سبيلا إلى ما يسكنن لحيها ويطلق فارها

فيكتب الدكتور هوكر : انه لا تزال تحدث في مثل هذه المدارس والكليات ودور التربية للممرضات والمدرس المهنية حوادث من تساق الولدين من الجنس الواحد فيها ومنها . وقد تلاتى - أو كاد - ميلهم الطبيعي إلى الجنس الخالف (١) . ويسرد في هذا لعدد حوادث متعددة من تلوثه الجنسية مع الصبية ، والصبايا بالفحشاء ، ومن كونهم لا قوا من وباله ما يسوء ويؤلم . ويعم أيضاً من كتب أخرى مدى انتشار هذه السيئة - محاطة الجنس بالجنس - في الناس : فيكتب الطبيب لوري (Dr. Lowry) في كتابه (Himself) : انه كتب عميد مدرسة من المدارس ذات مرة إلى أوبين أسيرة يقضي فيها بأن صبياتها وجدوا على حال مروعة من الهدوء الحلقية ، هم يجد يمكنه الآن إيقاظهم في المدرسة (٢) .

وأما المدارس من النوع الآخر ، التي يختلط فيها الطلبة والطالبات في المدرس ، فتوجد فيها أسباب التبرج مقترنة بأسماء التوسكين . وإنه الحبيجان الساطعي الذي كانت يداته في عهد الطفولة يشتد في هذه المدارس ويوقى على نهضة . فأدب متناه في الجلاءة والمحش يطاله الفتية والفتيات . وقصص مرامية ومخلات داعرة مشتملة على ما يسمونه (الفن) وكتب فاحشة فاصحة حول المواضيع الجنسية ، ومقالات تلوءة بمعلومات التداير لمنع الحمل هذه كلها هي أكثر ما يستهوي الصلاب والطالبات في عنقوان الشباب . ويقول المصنف الأميركي الشهير : هاندرش فان لون

(١) الصفحة ٣٣١

(٢) الصفحة ١٧٩

« Hendrich Von Loon » هذا الادب الذي كثر رواجه في الجامعات الاميركية هو أشجع مجموعة للحنا والعيش وللدناء، ثم يعرض قط مثلها على العامة قبل هذا ، وكل هذه الحرية . ثم إن الماومات التي تحصل من دراسة هذا الادب ، تشوبها اشباب والشواك فيما بينهم بالبحث والتقص بمسشت من الحرية والجراحة ، ثم يخالجوها بالمدن والتجربة ، فيخرج الغنية والفتيات إلى حفلات البهجة والانس (Peking parties) حيث يسترسلون في شرب الخمر والتدخين ، ويتمنون أنفسهم بالرقص والذناء (١) . ونما يحضنه القاضي لندي الاميركي أن نخسا وربعين في لائة من فتيات المدارس يدلن اعراضهن ، قبل خروجهن منها . وترقع هذه النسبة كثيراً في مراحل التعليم التالية يكتب :

« إن طالبا في مدرسة ثانوية تكون عواطفه دون عواطف الطالبة شدة وانها ، العسبية هي التي تقدم بدا وتأمّر . وما يفعل لصي إلا أن يتبع وانخر . »

بمؤثر محركات شديدة

إن المدارس والكليات ، على مساوئها تلك ، يسودها ولا شك جو من انظم والرقابة يحول دون الحرية العمليسة قليلا أو كثيراً . ولكن هؤلاء الشبان حينما يخرجون من معاهد التعليم بتلك المواطف المتوترة (١) الصفحة ١٧٣ من كتاب « كيف استطير أن اتزوج »

والمدن المأهولة ، ويدخلون في عمار الحياة ، تشط سورة شبابهم من كل حال ، فيجدون فيما حولهم سبيراً من غار الشهوات يزيد عواطفهم طيباً ، ومجدون في الوقت نفسه ما يلقى أوارها بدون سموية ولا عسر . وقد ذكرت في محلة أمير كية هذه الأسباب التي لا تزال تؤدي إلى رواج الفحشاء وقبوحه هناك ، بالكلمات الآتية :

« عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثلوثها بديننا اليوم ، وهي جيب في تسير سيرة أهل الأرض . أولها : الأدب المأخوذ من الخلق الذي لا يفتأ يزداد في وقاحته ورواجه بعد الحرب المأخوذة بسرعة عجبية . والثاني : الأسماء التي لا تذكر في الناس عواطف الحب الشهواني فحش ، بل تلفظهم دروساً عملية في باه . والثالث : المخطوط المستوي الخلفي في عمدة النساء ، الذي يظهر في ملابسهن ، بل في عريهن ، وفي إكثارهن من التدخين واحتلامهن بالرجال بلا قيد ولا التزام . هذه المفسدات الثلاثة بينا إلى الزيادة ولا نقشار يتوالي الأيام ، ولا بد أن يكون مآلها روال الحضرة والاجتماع النصرانيين ونساءهما آخر الأمر فإن نحن لم نجد من حطينها ، فلا جرم أن يلقى تاريخنا مشابهاً لتاريخ الرومان ومن تبعهم من سائر الأمم الذين قد أوردتهم هذا الاتباع للأهواء والشهوات موارد بطلانة والفناء ، مع ما كانوا فيه من خمر وكسب . ومشاعل رقص ولهو وعناء ! »

هذه الأسباب الثلاثة التي قد طبقت أجواء المدن والاجتماع لا تنفك

أبدأ عن تحريك المواطنين في كل شئ وشدة يجري في عروقه ولو
قليل من الدم الحار . وما كثرة الفواحي هذه إلا نتيجة لآفة لهذا
لتحريك المستمر .

كثرة الفواحي

إن النساء اللاتي قد اتخذن من المعيشة حرفة يرأسها لآة أميركا
يقدر مجموعهن - على أقل تقدير - بين أربعة وخمسة ألف . ولكن
لا يقسم القارئ أمر لاهرة الأميركية على ما يبدو من أمر الموهر
في الشرق . فإنه لا تكون لاهرة بالنسبة ، بل هي امرأة من سواد
النساء كانت إلى الامس الدار تحترف مهنة حرة ، فاشتت بشهر السوء ،
ففسدت ، ولجأت إلى حي البغاء ، وستبقى فيه بضعة اعوام ، ثم تنادر
هذا الشغل وتولى الوظيفة في مكتب أو مصنع . وقد دل الفحص
والتحقيق على أن نصف البغاء لا مركبات بأثنين من خادم البيوت ،
والنصف الباقي منهم يكن من الماملات في المكاتب والخوانيت
والستشفيات ، ممن يتركن وظائفهن إلى هذه الحرفة كل هؤلاء يبدأن
بهذه المهنة في السن الخامسة عشرة أو العشرين . في عامة الاحوال حتى إذا
ملئت إحداهن الخمسة والعشرين أو الثلاثين ، هجرت النطاء إلى عمل
آخر ، فتعود تلك المرأة التي كانت إلى الامس لاهرة لاهرة ، موظفة ذات
معرفة وشرف (١) ويستطيع القارئ من ذلك أن يدرك الحقيقة من وراء
وجود خمسة ألف لاهرة في انظر الأميركية .

(١) د البند في الولايات المتحدة الأميركية : : الصفحة ١٣٨-١٣٩

وإن المقام في الغرب ، كما مر في الباب السابق ، هو بمثابة الشغل التجاري الدولي المنظم . هن أكبر أسواقه في أميركا عوام - نيويورك وديوي جنير وويونس آيس . ولكل من المراكز الأربعة من مركزه التجارية في مدينة نيويورك مجلس تنفيذي ينتخب رئيسه وأمينه بطريقة الانتخاب المألوفة . ولكل تلك المراكز مستشارون من رجال القانون ، يراقبون مصالحها إذا هي وقعت في قضية قانونية ، ثم تستخدم تلك المراكز لخماسين مائة الفقة عن أنفسهم ، يحصلون في البلاد بحثاً عن حيدم ، ومن متداد نفوذهم في المجتمع أنه عني رئيس واطلة الجالية بشيكاغو ، ذات مرة ، بأحصاء عدد امتيازات الخوالات في مدة خمسة عشر شهراً ، حكم أنه وردت على مكتب الرابطة رسائل مائتين وسبعة آلاف فاة ، أخبرن فيها لمكتب بكونتهن في الطريق إلى شيكاغو . ولكنه لم تبلغ لقسابة منهن ، إلا ألف وسبعمائة . وما علم بشيء عن مصير الباقيات .

ثم هناك ، علاوة على دور البناء ، دور القاء (Assignment Houses) ومحال للزيارة (Cal. Houses) مفرشة بالآلات ولباش ومهابة في كل حين لانتقاء السادة والسيدات إذا ما أراد أحدهم الاجتماع بالآخر . ودل المحقق أن كان في بلدة من البلاد الأميركة ثمان وستون داراً من ههنا اطران . وكان في الأخرى ٣٠ داراً ، وفي الثالثة ٣٣ داراً (١) . وتلك الدور لاقتناها الأنسات بحسب * بل تختلف اليها كثير

(١) الصفحة ٣٨ من كتاب (البناء في الولايات المتحدة)

من الزوجات أيضاً^(١) . ويقول كاتب اسلاحي شهير : إن ثلث الطبقة المتروجة في نيويورك لا يلتزمون الوفاء في ذمتهم الزوجية ، مما يتعلق بأحلامهم وأحلامهم . ولا يختلف حال نيويورك في هذا الباب عن المدن الأخرى^(٢) .

والمسيحيين الأخلاقيين في القطر الأميركي مجلس يشرف : واللجنة الأربعة عشرية ، (Committee of Fourteen) يعنى بالفحص عن سكان القصور والمنطق في حالة أسلاد الخلقية ، واتخاذ التدابير العملية لإصلاح الأخلاق ، على نطاق واسع وقد جاء في تقريرها : أن كل ما يوجد في البلاد لأميركية من المراقص والنوادي الليلية ومجالي الزينة (Benty Saloons) وأماكن الترفيه (Manicure shops) وحجرات التدليك (Massage Rooms) ومرکز قمويج الشعر (Hair Dressings) قد أصبح حلها مواطن للعجور ودوراً البقاء ، بل هي أقيح منها وأشنع ، لا يترك فيها من الرذائل التي لاتصلح الذكر .

أمراض السرية الفتاكة

وهذه الكثرة من الفواحش قد جرّت - ولا غرو - كثرة الأمراض وانتشار عدواها في الناس . فقد قدروا أن تسعين في المائة من أهالي القطر الأميركي يبتلون بهذه الأمراض . ويظم من دائرة المعارف البريطانية

(١) الصفحة ٩٦

(٢) الصفحة ١١٦ من كتاب (Herself)

أنه يبالغ في المستشفيات الرسمية هناك مائتا ألف مريض بالزهري ،
ومائة وستون ألف مصاب بالسيلان البني (Gonorrhea) في كل سنة ،
بالمثل . وقد انتشر بهذه الأمراض الجنسية وحدها ستائة وخمسون
مستشفى على أنه يفوق هذه المستشفيات الرسمية نتائج الأطباء غير الرسميين
الذين برأجهم ٩٦٪ من مرضى الزهري و ٨٩٪ من مرضى السيلان (١) .

هذا ويموت في أميركا ما بين ثلاثين وأربعين ألف طفل بمرض الزهري
المودوث وحده في كل سنة . وإن الوفيات التي تقع بسبب جميع الأمراض
- عدا السل - بربر عليها حجة عدد الوفيات الواقعة من مرض الزهري
وحده . وأقل ما يقدره المسؤولون في مرض السيلان أنه قد أصيب به
٦٠٪ من انعموس في سن الشباب ، منهم المنزلة والمتأجلون . وقد أجمع
المهرون في أمراض النساء على أن ٧٥٪ من اللاتي يجرى العملية الجراحية
على أعضائهن الجنسية يوجدن متأثرات بمرض السيلان (٢) .

الطوق والتفريق

ومن البديهي أنه لا يمكن في مثل هذه الحال أن يسم النظام العائلي
والرابطة الزوجية من الفوضى والاضطراب . ذلك بأن النساء اللاتي
يكسبن قوتهن بأيديهن ، ولا يحتجن إلى الرجال في شأن من شؤونهن ،

(١) الصفحة ٤٥ من الجزء الثالث والعشرين .

(٢) الصفحة ٣٠٤ من كتاب القوانين الجنسية (Laws of Sex) .

من خلاف في المادات والاصابع ، أن يترغ بينها زناً ويسدان جهماً مفضاً
ومركاً ، حتى ينتهي الأمر إلى تقديم المراجعة إلى الحاكم فيكتب القاضي
الندسي : هـ في بلدة دنور ، في سنة ١٩٣٢ ، أعقب كل زوج تقريباً
بين الزوجين - ويؤثر - كل زوجين فخرت على المحكمة قضية الطلاق .
وهذه الحالة لا تقتصر على بلدة دنور بل إلى أن جميع البلدان الاميركية
على وجه التقريب تأثرت في ذلك قليلاً أو كثيراً .

ويتضح في كتابته : هـ ان حوادث الطلاق والتفريق بين الزوجين
لا تزال تكثر وتزداد . وإن اظهرت الحال على هذا - كما هو المرحو -
علا بد أن تكون قضايا الطلاق المرفوعة إلى الحاكم في معظم ولاسي القطر
على قدر ما يسمح فيها من الاستشارات للزوج والدة .

ومنذ قبل من الزمان نشر في جريدة (Free Press) بدترويت
(Detroit) مقال يبحث في هذه الاوضاع ، قد جاء به :

« إن ما قد نشأ بيننا اليوم من قلة الزوج ، كثرة الطلاق وتماحش
العلاقات غير المشروعة - الدائمة أو العابرة - بين الرجال والنساء يدل
كله على أننا راجعون القهقري إلى البهيمية ، فالرغبة الطبيعية في التسلل
إلى اللذة ، والجيل المولود مثلي جعلته على عاربه ، والشعور يكون
تدمير الأسرة والبيت لا رما لبقاء المدنية والحكم المستقل يكاد يفتني من

(١) الصفحة ٣١١ - ٣١٤ من كتابه : Revolt of Modern Youth

النفوس . وبخلاف ذلك أصبح اثنان يشأ فيهم الاعمال عن مآل المدينة والحكومة وعدم التسامح لها .

والملاجئ المتاحة الذي قد اقترحوه بأخوة له هذه الكثرة الفاحشة من الصلابة والتفريق ، هو ترويض النكاح الاختباري . (Companionate marriage) ولكن للدواء جاء آخر وأقرب من الدواء . والمراد بهذا النكاح الاختباري ان يشار الرجل المرأة حيناً من الزمان ، بدون ان يمتد بينهما رولجا من النوع القديم ، فإن تألف قلبهما في أثناء هذه الفترة ، تزوجا . وإن تكن الاخرى ، افترقا وراح كل منهما لسيبله يبحث عن زواج آخر . هي أنه يجب عليهما خلال مدة التجربة هذه ان يجتنب لسل ؛ لأنها إن جاءا في أثناء بولده ، تحتم عليها أن يعقدا النكاح ويدخلا في حظيرة لزواج . وهذا هو الذي يسمى في روسيا بالحب الطليق : (Free Love) .

الزواج القومي

كل هذا الانتاج لأهواء النفس ، والقوى من لبيات الزوجية ، والتبرم بالحياة المائيلة والارتجاء في الروابط الزوجية ، يكاد يذهب في المرأة عاطفة الامومة لفطرية التي هي أشرف العواطف الزوجية وأسمىها في النساء ، والتي لا يقف عليها بقاء الحضارة والتمدن فحسب ، بل بقاء الانسانية جمعاء . وما تجمت سيئات منع المحن وإسقاط الحنين وقتل الاولاد إلا بنضوب هذه العاطفة في نفس المرأة فلمحوها عن

تدابير منع الحمل موفرة لكل من وكل مكان، في الولايات المتحدة الاميركية على الرغم من قيود القانون . والآلات والمقايير المانعة للحمل معروضة للبيع في الجوارب كالمسلة المباحة، تستصحبها دائماً بنات المدارس والكنائس، بلتامة النساء . لكي لا تموت إحداهن للذات عشية من عشية الشاب ، إن نسي خديراً، أن يأخذ أدواته معه . فيكتب القاضي لنديسي:

« ١٩٥٥ » بنتاً في السن الباكورة من شباب المعاهد الثانوية ، عثرنا في بانهن كنّ جبرن الملاحة الجنسية مع الصبيان ، إلا أنه لم نحمل منهن إلا خمس وعشرون . وأما الباقيات ، فلم يصبن من الحمل بعضهن الاتفاق ، ولكن كانت لاكثرهن خبرة كافية بتدابير منع الحمل . وهذه الخبرة قد عثت فيهن إلى حد لا يكاد الناس يصبون في تقديره .»

هذه الادوات المانعة للحمل ، تستعملها الإبدكار توفيراً لحرمتين ، وتمنع بها التزوجات دفناً للأسل عن أنفسهم ، ذلك بأن الولد لا يكتمن مشعب الشربة والتطعيم غريب ، بل يحول كذلك دون حريتين في تطبيق الأزواج . وما جعل عامة النساء يكرهن الأمومة هو الرأي: أنه لا بُدّ لمن إن أردت ، سقيماً نصيب من هذه البش ، أنت يمتدني هذه القود والسلام ، وأن الحزن ولولادة تذهب بها نحن وبعين^(١) . وأياً كانت الأسباب ، فالواقع أن ٩٥٪ من العلاقات الجنسية الحاصلة اليوم بين لرجال والنساء ، يحاولون فيها وبين نتائجها العطرية بتدابير منع

(١) الصفحة ٨٢ من كتاب «الرجولة والبرواج » (Manhood and

Marriage) لمكدن (Macfadden)

للجل . وأما الخمس الباقية في المائة ، التي تُمنح للجل ، تُعالج بتدابير
أخرى من الإسقاط وقتل الأولاد . يقول القاضي بندي : (أنه يُسقط
في أستراليا مليون جنين على أقل تقدير في كل سنة ويقتل آلاف من
الأطفال من فور ولادتهم .

المائة في إنجلترا

لا أريد أن أسهب في هذه التفاصيل لمؤسفة المخرقة . ولكن
أرى مع ذلك ألا أختتم هذا الجانب من البحث بدون أن أورد فيه
مقتبسات من كتاب تاريخ الفحشاء (A History of Prostitution)
لمورج راثبي اسكات . هذا الانكليزي الذي يكتب ، وهو يشير إلى
حالة بلاده ، في الكتاب - :

« عدا النساء اللاتي لا يمكن من وسائل الكسب غير أن يعرف
أحسهن ، هناك كثرة كثيرة - لا تزال تزداد - من النساء اللاتي يمكن
وسائل أخرى لا كتناسب حاجتهن ، ومع ذلك يتماثلن البناء حرصاً
على زيادة الأرباح . وهؤلاء لا يختلفن عن عامة البنايا والمواهر في شيء ،
ولكن لا يُطلق عليهن هذا الاسم بل لك أن تدعوهم ؛ الماهرات غير
المهترفات (Amateur Prostitutes) . وقد بلغ عدد هؤلاء الماهرات
غير المهترفات في هذه الأيام مبلغاً لم يُحصى قط فيما قبل . وهؤلاء يوجدن
في كل طبقة من طبقات المجتمع ، من الدنيا إلى العليا . ويبلغ من نخوتهم

أما إن دعوت أحد من طائفة "ولو بكثيرة" فارتأى أنها "عضبة" إلا أن عضبت ما كان ليغير من وجه الحقيقة شيئاً ، والحقيقة الواقعة ، على كل حال ، هي أنه لا فرق بين وبين شيء ما حقة من بقايا (بكاديلي) من الوجهة الخلقية .. وقد أصبح "مطلي الفجور وعدم التصون" بل اتخذ الاطوار السوقية ، محدوداً عند فتاة المصير من أساليب العيش المستجدة (Fashion) ويدخل في هذه الأساليب أيضاً: التدخين ، واستعمال الخمر الحامضة وصبيغ الشفاء بالاصبع للاحمر ، وإظهار الخبرة بالمعلومات الجنسية وتدابير منع الحمل ، واتحدثت في الادب الفاحش . ولا تزال تكثر النساء اللاتي يزاولن العلاقات الجنسية قبل الزواج من غير ما تخرج . وفي حكم الدخيل والشافع وجود الاككار اللاتي يكنن في الحقيقة والواقع أبكاراً عندما يقعن في السكاح - عقد الوفاء الابدي - أمام جدير الكنيسة .

ويعني هذا الكاتب في محله ، فيحصل في مقدم آخر الاسباب التي قد أفضت بأحوال المجتمع إلى هذا الحد المتطرف . ومن الأخرى أن فسر تحليله ذلك في كلمته هو :

وأولها هذا الولوع الفاحش بالتبرج الذي قد بث في نفس كل فتاة منذ الحرس على الإرياء العائنة التالية من أحدث الطررز ، وأدوات الزينة واخره من شتى الأنواع ؛ وههنا من أكبر أسباب هذه الفحشاء غير المعتدلة . فكل من له عينان بصيرتان ، ينظر أن من تمر به ليل

نهار من مئات الفتيات وآلامها ، كثيراً ما يكون علمهن من الملابس
الفاخرة الثمينة ما لا يمكن أن تقسم له مكاسبهن العالية . ولذلك يصدق
القول ، في هذه الآونة أيضاً ، كما كان يصدق قبل نصف قرن ، إن
نكاح الإماء الفاخرة لا يشترطها لمن إلا الرجال . أما الفرق بين هذه
الآونة وتلك الأيام ، فهو أن كان الذين يشترون لمن نكح الملابس إذ
ذاك هم يمولون أو يؤمنون أو يخدمون . والذين يشترون لمن الآن هم
رجال آخرون غير ذلك .

« وإن حرية النساء أيضاً بدأت لا تُذكر في البلاد هذه . لاجل ذلك . وقد
بلغ من ضعف رغبة الآباء وولائهم لنظامهم أن قد نبأ لمن من الحرية
والانطلاق ما لم يكن ميسوراً حتى بلادة قبل ثلاثين أو أربعين عاماً .

« والسبب الآخر الخطير الذي قد عمت لاجلها الموضي الجنسية في المجتمع
أن النساء لا يزالن يتفانين على الاشتغال التجارية ووظائف المكاتب والحرف
المختلفة ، حيث تمنح لمن فرص الاختلاط بالرجال صباح مساء وقد حظ
ذلك من المستوى الخلفي في الرجال والنساء ، وفقد جداً من قوة المداومة
في النساء لاعتداءات الرجال على عففتين ، ثم أطلق العلاقة الشهوانية
بين الجسدين من كل القيود الخلقية . . . فلأن أصبحت الفتيات لا يخطر
بألمن الزواج أو الحياة المعقمة الكريمة حق صبر اللهب والحرارة الذي كان
يطلبه في الزمان القاري أوطاد أساس ، تطلبه كل فتاة اليوم . وأُمت
المكارة والفتنة شيئاً من آثار الماضي ، يؤود حفظها فتاة العصر الجديد
فليست متعة الحياة عندها إلا أن يصب المرء كأس اللذات إلى صبايتها .

في الشباب . فهي تسمى وراء تلك الذات وتبحث عنها في المراقص
والأندية الليلية والفنادق والمقاهي . وراء أمتك ، في بحث هذا ، إلى
أن تصحب رجلاً أجنبياً إلى زهرة فارسة في السيارة ، وبذلك تلقى
بفسها راجيةً مختارة ، إلى بيتهم وأوصافهم فتعمل لتزعت الجنسية إليه لا
تتم هي لا تخاف النتائج الطبيعية لذلك ، بل ترحب بها وتستقبلها
بطيبة نفس . .

السؤال الفصّل

إن الذين يشكرون الحجاب في علمنا وفي سائر أقطار الشرق ،
وجّهة أنظارهم في الحقيقة هذا النمط من الحياة . وهذه الحياة هي التي
قد تأثرت بمظاهرها الخلابيّة أحاسيسهم ومشاعرهم . وهذه النظريات ،
وهذه المبادئ الخلقية ، وهذه المذاهب المادية ، والدلائل ،
هي التي قد فتّحت جوانبها المشرقة عقولهم وأفئدتهم . فليس السبب في
كراهيتهم للحجاب إلاّ كون فلسفته الأساسية متناقضةً لفلسفة الأخلاق
الغربية التي آمنوا بها ، وكونها حائلةً بينهم وبين ما يطمحون إليه
بأبصارهم من الموائد والدلائل . أما هل هؤلاء مستعدّون لقبول
الجوانب المظلمة من تلك الحياة أم لا؟ ومكلمة أخرى هل هم يرضون
الوصول إلى النتائج العملية لتلك المبادئ والنظريات ؟ فأمرٌ يستحلّم
فيه سواء . ففريق يعرف تلك النتائج كل المعرفة ويرضاها لنفسه ،
وبعدها أيضاً جوانب مشرقة ، لا مظلمة ، للحياة الغربية . وآخر
يصدق هذا الجانب من حياة الغربيين مظلماً ، فلا يريد أن يقبله ، ولكنه
يتألم على الفوائد التي تنبع بذلك النمط من الحياة . وقال لا يصح

تلك النظريات ولا يصف تماثلها، ولا هو يريد أن يعمل فكره وروشته في نيس ما بين تلك اسطريات وتماثلها من علاقة ، بل فحساره أن يشبع ما هو معمول به في العالم وقد اختلطت هذه الطبقات الثلاث بعضها ببعض اختلاطاً رجباً لا يتميز معه للدرء تبيين طبقة مخطئة إذا حاوره . وكثيراً ما يؤدي هذا الاختلاط والتداخل إلى ارتباك في البحث والتواء في الموضوع . فالساجة داعية إلى أن يمرق بين هذه الطبقات الثلاث وتُمَيِّز إحداها عن الأخرى . ثم يتناول الكلام في كل واحدة منها على حسب أفكارها ومنازعها .

المستغربون^(١) من أهل الشرق

فأصحاب الطبقة الأولى قد آمنوا ، على علم ونصيرة ، بتلك الفلسفة والنظريات ، وتلك المبادئ السمرانية التي قد أثبتت عليها حضارة الغرب ومدنيته . فهم يفكرون في شؤون الحياة بفكر الغرب ، وينظرون إليها بنكس الاتفاق التي نظر إليها جامؤستسو النهضة الاوربية الجديدة . ويدعون أن ينشأ الحياة المدنية في دولهم أيضاً على الطراز الغربي . فالغاية القصوى عندهم من تعليم المرأة ، هي أن تستأهل كسب الرزق ، وتكون مع ذلك

(١) المستغربون : المائلون إلى التزمب المعتنون بمضارته . هكذا اتصل منهم الكلمة السكائب الكبير الملامة محمد الشير الابراهيمى في بعض مقالاته في مجلة (المصائر) ، فاسترناها عن غيرها من الكلمات هذا الذي كالتفريخ والتفريخين . (المصير)

بهجة المجالس ، بارعة في فنون التسمية والإمتاع . وميزاتها الصحيحة
 عندكم في العاقلة ، هي أن تكون - كالرجال - عضواً من أعضاء
 الكاسين ، توفى مبرأة لاسرة المشتركة ما في دماء من الذخيل .
 ومقامها الحقيقي عندكم في المجتمع ، هو أن تُضيف إلى الحياة الاجتماعية
 عنصرأ لطيفاً من زيتها وحماها ودلائها ، تدمج في القلوب كلامها السدس ،
 وتشتف الآذان بشفها الساحر وتشتط الأرواح برقصها المشغري
 وتعرض كل مشتن صدمها على الرجال وترجيحها واضطرابها ، لكي
 تمتع نفوسهم وتلتذ أصابعهم ، ويسري في دماهم الباردة شيء من
 الحرارة . وكذلك إن وظيفة المرأة في الحياة الوطنية لا تدور في رأيهم ،
 أن تنوي الخدمة الاجتماعية ، فتعمل في المجالس والبلديات ، وتحمض
 المحلات والمؤتمرات . وتبذل عقبا ووقتها في نص المشاكل السياسية
 والمدنية والاجتماعية ، وتساهم في كل نوع من الألعاب والرياضات
 حتى تصير الرقم القياسي في السباحة والمندو واقفز والطيران
 البعيد... وبكلمة أخرى تضي بكل ما يتصل بخارج البيت ولا تنالي ما يتصل
 بداخله . هذه هي الحياة المثلى في نظرهم ، وهذا هو الطريق المؤدي إلى ارفق
 فلتنبوي عندكم وكل ما يترضه ويحول دونه من النظريات الخلقية البالية ، هو
 عبث واطر محض . ولأجل هذه الحياة المتجددة قد استبدلوا لقيم الخلقية
 (Moral Values) الجديدة بالقيم المثيقة المتوارثة على نحو ما فعلته
 أوروبا . فالنصائح المادية والآلات الحسدية أعطى وأرجع عندهم من
 كل شيء . بل هي وحدها ذات قيمة وقدر حقيقي . وأما ما أرادها

من الحياء والنفثة وطهارة الاخلاق ، ووفاء الحياة الزوجية ، وحفظ
النسب ، وما هو من قبيل من الامور ، فكل ذلك شيء ردة لا قيمة له .
بل هو من ابطال الفكر الماعظم والزعة الرجسية التي لا يمكن التقدم الى
اللامم بدون القضاء عليها .

هؤلاء - كما رأيت - مؤمنون حقاً بالدين العربي ، فلا يزالون
يحسدون لتشر تلك اسطريات التي قد آسوا بها ، في هذه البلاد الشرقية ،
سكن تلك العارث والتدبير التي قد اتخذها القرب لذلك فيما مضى :

الادب الجديد

فتناول - قبل كل شيء - أنفسهم الذي هو بلا ريب أكبر عمل
في تربية العقول ، زرع القوم لا يزالون يتطلعون في هذا الذي يسمونه
(الادب) - وهو أهم شيء عن القضاء والادب - أن يزيغوا للتش
الجديد هذه الفلسفة الخفية الجديدة ، ويتزعموا من نقوسهم وأذهانهم
كل اثر للأقدار الخفية القديمة . وهناك بعض من هذا غادج من هذا
الادب الاردني الجديد :

قد ظهر في مجلة شهرية هندية ، ذات مكان مرموق في الادب ، مقال
عنونه (الألسة شريفي في الدرس) ، وكاتبه فاضل من أهل الثقافة العليا
والذكراثة في الاوساط الادبية ، ويشغل منصباً أعلى من مناصب الحكومة .
حصل هذا المقال أن يتأسس ذات الأسم الشريفة تجلس أمام أساتذها للدرس ،

وفي أمثاله تنقدم إلى أستاذك رسالة حبّ قد جاءتك من صديق شاب ، للقراءة والمشورة . والصديق قد كانت صدقته في حفلة شاي ، حيث هرّفت أحدهما بالآخر آنسة "أوروبية" ، ومن يومئذ جرى بينهما اللقاء والاحتكاك والمرسلة ، حتى وقع في نفس الفتاة اليوم أن تسم من أستاذك كتابة الاحوية لرسائل صديقها الترامية حسب مقتضى الآداب . فالاستاذ يحاول أن يشغل تفكيره عن تلك السفاست بالقرعة والدرس ، ولكن الغناء يقول :

« التلميح لارباب الطلبة وأتوخاه . ولكنه التلميح الذي يساعد على العطر بأباني النفس التي أحلم بها في يقظتي ، لا الذي يجعل مني في هذه السن الباكورة عجوزاً خاملة المشغور . »

يسأل الاستاذ: هل لك أصدقاء غير هذه لصديق الذي ذكرت ؟
تجيب الفتاة : « نعم لي أصدقاء متعددون ولكن ميزة هذا الشاب على غيره جميعاً أنه يحسن الزجر . »

— أرايت إن اطلعك أبوك على هذه المراسلة بينك وبينه :

— وهذا ترى أبي لم يكتب مثل هذه الرسائل في عصابة قط .
لا يسبدي ! إنه رجل ذو حفظ لا بأس به من الثقافة الجديدة وما أدراك ! له لا يزال مكتبها حتى هذه الآونة ، فإنه لم يدخل في الشيخوخة بعد ، بفضل الله .

— أما قبل خمسين سنة من هذا العصر، فما كان يحظر بل أحد أن
يكلم إلى أنسة شريفة كنا في القرام .

— وهل كان الناس لا يحبون إلا الرذائل اسماءات في تلك
الأيام، إذا ما كان أطيب عيش، الرذائل في تلك الأيام ، وما أخبث
عيش الاشراف !

وآخر كلمات شيري التي هي مقطع القصيدة وقد منح بها الكاتب نهاية
من التفلسف الأدبي هي : « نحن - معشر الشباب - نواجه اليوم مشكلة
مضاعفة ، هي ان نحبي - بجانب - تلك المذمومة والذات التي قد ضيعنا
أسلافنا ، ونقضي - بجانب آخر - على جمال الكذب والنصب التي قد
أحيوها وحلّموها . »

وفي حلة أدبية أخرى، دائرة السبت ، نُشرت قصة موحزة بعنوان
(الندامة) ، قبل سنة ونصف ، حلاستها في كلمات موحزة ان عذراء من
بيت كريم عاشق رجلا ، وتدعوه الى بيت في غيبة أبيها وفي حقيقتة من
أب ، فيتلوكان بالفتنة ، فتعمل ، ثم تجلس بعد ذلك يوماً تلجج نفسها
وتحتاج لتبرير فعلتها المندمة بالكلمات الآتية :

« لم لي هذا الاضطراب ؟ وممّ يفتن قلبي ؟ هل يلومني شيري ؟
وهل أنا قادمة على ما وقع لي ؟ لعله كذلك ! ولكن ما حيلتي بعد ؟
وحديث تلك الليلة المقمرة قد كُتب في صحيفة حياتي بما الذهب . »

وذكرى تلك الساعات السعيدة في نشوة لشباب هي أعز ما قد أخرته
في حياتي ؟ أليس مستحسناً لهذا ككل ما أملت لاسترجاع تلك
الساعات المبداء ؟ »

« ومم ؟ إذاً خفتان قلبي ! أمن خشية إثم ركبته ؟ وهل ارتكبت
إثماً ؟ هيبت هيبت ! فمن الذي ادبست اليه ؟ ومن آذيته بدني ؟ وأعا
أقدمت على بذل ونضحية . فبدلت "نفس" معندي لذلك الحبيب وباليتي
كنت أستطيع أن أبذل له أكثر منه ! ولست أخاف الانتم . ولكني أخاف...
فهم أخاف هذا المجتمع السمج لبيض الذي يرمي ويحذف إلي بنظرات
خمس الشك والريبة والاتهام »

« ولماذا أخاف هذا المجتمع بأصاح ؟ ألاي قد أثبت ؟ ولكن ماهو إثم
أما كانت غيري من بنات المجتمع صانعة "مثل ما صنعته ؟" في تلك الليلة
البيضاء لناعمة وفي تلك الخطوة ، أم ما كان أجمل ! وكيف وضعناه على
نظري ، وضمي إلى صدره المريح ! أوام على تلك لثمة الذاهية ! كيف
لصقت صدره الدافئ المتعطر بكل دعة وطمأنينة . ثم أثرت كل هذه
بالدنيا وما أملت فيها من تلك اللحظات من اللذة والنشوة والسرور . فإذا
كان بعده ؟ وماذا يصنعه غيري عبيث ؟ أكانت امرأة من هذه للنساء
غيبك أن تأتي بيده في مثل تلك الساعة ؟ »

« أهو هو ؟ كلام لم أركب إثماً . وما لي من خجس عليه . وهذا أنا
دي مبتعدة لإعادة ما فعلت . وما لفتة ؟ وماذا يريدون بها ؟ أهى المذلة

لا غير ؟ أم هي طهارة الافكار ؟ لم أعبد عذراء ولكن هل يعني ذلك
أي قد فقدت عفتي ؟

و ألا فليصنع هذا المجتمع الفاسد البشع ما هو سائمه ، ولا أبالي .
وأي خير قد مثالي منه ؟ لا شيء والله ! لهذا أستعفي إذا من اعتراضه
الفيه الآخر ، ولم أشفق من تجوؤ وجهائه ؟ وأصغر وجهي من
الدأمر ؟ ولماذا أهرب من نهكه الفارغ ؟ . وهذا قلبي يشهد بأنني لم آت
نكراً ، بل حسناً فعلت ونسأ صنعت . ومثلي إذا أنا هم منه ، ولماذا
لا أعلن عنه في " أني قد فعلته وبأنجدا ما فعلت !

هذا هو الأسلوب الفكري والمنطقي الذي يريد الاديب المتجدد في
عصرنا هذا أن يلقنه كل فتاة من قياتنا . ولست يريد ذلك لامتصاصه
أيضاً - فهو يدعوهم إلى أنه أيها صديقي ، شطرنج وجدته إحتاجين في
ليل مقبر ، فلتلصق به وتضم اليه ، لأنه هو الطريق الواحد الممكن
في تلك الظروف . وليس لامرأة أن تعمل غير ذلك في مثل تلك الحالات .
وليس هذا من الإثم في شيء ، بل هو بقل وتضحية . وأيضاً لا يصير
هذا بالمعنى ، فإن اللفة هيأت أن تقال منها التضحية بالذكورة ، مادامت
تصحبها الافكار الصالحة المزعومة ، بل هو مما يقربها ويحكمها ، بل هو
مأثرة جليلة يجب أن تكتب في صحيفة حياة المرأة عام الذهب . ولتجهد
كل امرأة أن تكون صحيفة حياتها ملائمة مثل هذه الآثار الذهبية .
وأم المجتمع ، فإن كان يجب مثل هؤلاء الآلات المغالط ، فلا شك في

صداه وسماحته . ولذلك في الحقيقة لديه ، إذ هو يتعرض على تلك الفتيات
خوات ليلك والإيثار ، لأدب البنت الصكرية التي لا تأتي لانضمام إلى
صدر مفتوح في ليلة من ليالي الغرام . وإنت المجتمع الفاسم الذي يستقبل
هذا الفهم ، لا يجد أن يخشاه مرة ، وأن يتورع منه بعد قياسه
بتلك المأثرة . لا وربك ، بل ينبغي لكل فئة أن تسأل تلك المعضلة
الخالقة وتجاهل . بكل جرأة وقوة جأش . وبدل أن تهجن بنفسها ، يجب
أن تهجن المجتمع وتحتج عليه باللائمة ، إن استطعت . فاطل إلى هذه
الواقعة والحراة التي لم تكن تُقدم عنها حتى القواعد في حق الفتيات ،
في زمن من الأزمان . لأن أولئك اللواتي لم تكن بأيديهن مثل هذه
الفلسفة الخلقية التي تجعل الأثم سوابيل الصواب مأثرة . ولئن كانت المؤسسة
في ذلك العهد الماضي تسبح عفتها وكبرائها ، فقد كانت ولا شك تفتن نفسها
مهيئة ومرصمة في حياء الآثام . ولكن هذا الأدب الجديد قد جاء يشق
بينه كل أسرة كريمة إلى ما قصرت عن شأنه مؤسسات الذم ، لأنه
قد اجتدع . ولا يزال . لتأيد بقورها ودعائها فلسفة خلقية جديدة .

وفي مجلة أخرى ، ذات رواج عظيم في أوساطنا الأدبية ، قد
نشرت قصة بعنوان (أحمر الزوج) . وكان به مجلد أو كان له فصل
لا ينكر في إنعراج أدب حقيقي عال اللغات . وكان لهذه القصة التي أسداها
إليهن أخطي وأحب إلى النساء الناطقات باللغة الأردنية في الهند . ففي هذه
القصة يضع الأديب الشاب بين يدي أخواته القارئات أسوة فتاة كانت

ترسل في جسمها مثل مسة الكهرباء ، بب تصوره في أخي زوجها من
سورة الشبل وزوات الفتوة ، قبل أن تزوج . والتي كان من ظريتها
الثابتة منذ صباها : أن الشاب الذي يقضي في غمود النفس وسكونها ،
لا يختلف عن الشيخوخة والهرم في شيء . . . كانت تقول : عندي أنه
لا يبدل للشباب من الفتوة ولاضطراب الثاني من النزاع بين الشبان
والأجبة . فلما زفت هذه لآفة ، وهي تحمل في ذهنها هذه النظرية
وذلك التصور ، انطلعت في نفسها جذوة الموطف عنظر العجبة على وجه
زوجها . فأزمت ، حسبا دبرته في نفسها من قبل ، أن قيل هو اها عن
الزوج إلى شقيقه . ولم تثبت أن منحت لها الفرصة لذلك . إذ غادرها
زوجها إلى أودية لتحصيل العلم . فملكت بأحبه وتبنا كؤوس الحب
مترعة في عيابه ، وخالت لزوجته الزوج وغمر الاخ باخيه بأففى
ما شامت فوسيه . وقد كتبت الكتاب قصة هذا العمال بقلم العاجرة
نفسا فهي تكتب إلى صديقة لها لم تزوج بعد ، كل ما تأنيه وما تركبه ،
وتبسط لها دكر جميع المراحل التي قد اجتازها جميعا إلى أن تلغ النهاية .
وفي يابها هذا لا تخرج من تصوير كل ما قد يرو المرء من كيفيات
النفس والجسد في الاختلاط الجنسي بما لا يبق بعده إلا أن يصور حمل
الفاحشة بعينه . ولعلها قد تركت لميلة القراء والقارئات أن تسد هذه الثغرة
في التصور بنفسها .

فإن أنت ظننت بين هذا الأدب والأدب الفرنسي الذي قد سبق لك
بعض غاذجه فيما سبق ، تبين لك أن هذا الرعيل من أدباء الشرقين

لا يزالون يذمون في سبهم خطي أساتذتهم القرميين . والطريق هو الطريق
والقاية هي القاية . وهم يربون الحقول ويمدون الأدهان لذلك انضم الترفيع
للحياة ، من لجة الفكرية والحقيقة . وعنايتهم في ذلك مصروفة إلى المرأة
على وجه خاص ، لكي لا يترك فيها أثر للخمر أو الخياء .

التمرد الجرمي

تم ليست هذه لفلسفة الخلقية وهذه النظرية للحياة ، قوة وحيدة في
مظهر العمل . بل أصبحت تواردها فيه مدى الديمقراطية الغربية
ونظام المدن الرأسمالي . وهذه القوى الثلاث لا تزال تتعامل بسبب الحبة
الاجتماعية في صفة من صنع نريد فلا يزال يُذاع حول موضوع الجنسية
أردا نوح من الأدب والفن ، مما يكتبدوراته في أيدي الطلبة والطالبات
في المدارس والكتليات ، ولا تزال الصور الحارة وصور الفجرات من
النساء زينة الجرائد والمجلات ومحاسن المقاهي والمقارن . وأصبحت البيوت
والاسواق كلها تدوي بانفاس الفاحش الركيك . وأصبح مدار العمل في
اسبنا إثارة العواطف وتحريك الشهوات فتزمن لندن المدعارة . ولقد جرد
على شاشتها البيضاء كل مساء ، تزيينا يجعل حياة الممثلين وممثلات أسوء
تصبح ، كذلك . وهذا ، فإذا خرج الشباب والشباب من تلك الملاهي
المشوقة المستغرة ، غدت نفوسهم الكئيبات تلهو بها حول حوار
الهوى ، وتلتمس هرس الحب والفرام . كل هذه مظاهر شتى للانتعاش

الرائع الي . ولأجل هذا النظام الرسمي للحياة لازال نظراً على المثلث
والخواصر - بسرعة - تلك الأوضاع التي لا نجد فيها النساء مندوحة
عن كسب الرزق بأيديهن . وهذا النظام هو الذي قد ساعد على ظهور
الدعوى بحق منع الحمل ، بكل ما فيه من الآلات والأدوات والعقاقير .

إن النظام الديمقراطي الجديد قد وُضعت إلى بلادنا الشرقية
(بركاته) بواسطة امكس ، وفرنسا في القالب ، قد جاء إستراتيجيات ثلاث :
مفتوح - أولاً - باب النشاط السياسي والاجتماعي على مصراعيه أمام طبقة
الإثنا - وأقام - بجانب آخر - هيئات ومؤسست لا مندوحة فيها
للصنفين عن الاحتياط . وثالثاً قد أرخى من عند القانون وقوده إرثاً
أصبح منه الجبر بالفواحش ، بل ارتكاباً عملاً ، لا يُعفى من الجرائم
في أغلب الاحوال .

فالذين قد عزموا اتباع هذا الطريق في حياتهم بقلب مطمح
مفتوح ، قد اكتمل الانقلاب - أو كاد - في حياتهم الخلقية والاجتماعية .
صارت نساؤهم يخرجن من موطن في ملابس شقفاة عارية يجلب إلى
الناظر كآت كل واحدة منهن ممثلة من ثلاث (هوليود) وأصبح
يرى فيهن كل الجسار والصفقة ، بل يتبين المرء من ملابسهن الفاضحة
والوانهن الرافقة ، وعنايتهم بالترين وحر كانهن من القنسي والتشج ،
أنه لا مطمح أمام أعينهن إلا أن يكثر منطبعاً جنسياً يجذب الرجال
إليهن جذراً . وقد قل الحياء فيهن إلى حد أن عددن لا يستحيين من

النفس مع الرجال يشبه عاريت ، بل من كثر من أنفسهم في تلك الحالة
 اتخذوا صورهم وتكسروا في الحلات . والحياة لم يبدل له وجه عندهم
 حقاً . إذ أن جميع أجزاء الجسد الإنساني تنزلة سواء في التصورات
 الخلقية الجديدة ، فوفا جاز للمرأة أن تبرز من جسمها الكف وأخص
 القدم ، فأبى ضمير عليها في الكشف عن مكنون مخزنها وحلة ثديها .
 ومثمة الحياة ولدتها التي يُبصر عن جملة مظاهرها باسم الفن (Art) ، هي
 عند هؤلاء القوم أجور وأمتى من كل قيد خلقي ، بل هي في
 نفسها مقياس للأخلاق . ومن ثم ترى الآباء منهم والاخوان يكاد أحدهم
 يخرج من إهابه غفراً وسروراً ، إذا شهد بفتنة أو أخته الآسة تحجب
 حشائط الحضور والسامعين المتشوقين براءة غنائب ورقصها وغلبها الغرامي
 وتقال رضام وتقصينهم . وإن ابتغى المادّي الذي يمدونه فية الحياة
 ومقصودها ، أوجع وأغلى في رأيهم من كل ما يمكن أن يدل هذا
 يبدل له . فالغاة التي تؤهل نفسها للطرف بهذا المقصود . انتعاج المادّي .
 وتبيل الخطوة لدى المجتمع ، إن بددت غفرتها في هذا السبيل ، فكأنها لم تفقد
 شيئاً ، بل حارت كل شيء . ومن ذلك لا يكاد هؤلاء يفقهون وجه
 الطعن على تسلّم قاتل مع لفتيان في المدرسة أو الكلية ، أو على ذهابها
 منفردة في سن الشباب ، إلى أودية لتحصيل العلم .

فصل الخطاب مع المستغربين

هؤلاء هم أشد الناس اعتراضاً على الحجاب . وهو في رأيهم شيء

حجة "ظاهر" البطالان ، يكفي لردده وإبطاله لهم به والسخرية منه .
 ولكن مثلهم في ذلك كمثل من كان لا يجد ضرورة وجود الألف على
 وجه الانسان ، فقد يستهزئ بكل من رأى على وجهه ألفاً . هذا الدليل
 الجاهلي لا يربح إلا الجلاء ويجب أن يفهموا - إن كانوا يملكون - أن يفتنا
 وبينهم اختلافاً أساسياً يتعلق بأقدار الاشياء . فالأمور التي نقالي قيمتها نحن ،
 هي عند أولئك القوم وخيمة قافية . ولذلك فإن الطريق السلي الذي نراه
 واجب الاتباع حسب مصلحتنا لتقدير الاشياء ، لا بد أن يكون في ظههم فضولياً
 فكداً . ولكنه ما دام بين الجانبين مثل هذا الاختلاف الاصلي الرئيسي ،
 فمن الطيش وخفة العقل أن يبدأ بمرء بمحنته على الفروع ، قبل أن
 يبحث ويحكم في أصل الاختلاف ومدته . أما الاقدار الانسانية فليس
 الحكم القاصر في تعيينها وتحديدتها إلا " قوانين الفطرة " . وذلك أن كل
 ما اقتضاه تركيب الوجود الانساني نمواً لقوانين الفطرة وما كانت به
 فلاح الانسان وصلاجه ، هو وحده في الحقيقة يستحق السيادة والتقدير .
 ختموا إداً ونحتمر ما عندكم بهذا المقياس وننظر أينما على الحق في تعيين
 قيم الاشياء وأقدارها . فباتوا براهينكم العلمية ونأتي ببراهيننا . ثم نضع
 هذه ونلك في كفتي الميزان ونوازن بينهما كأهل الصدق والرشاد ، نرى
 أيها ترجح في الميزان وأيهما تشوب . فإن أثبتنا لكم بذلك أن معيارنا
 للاقدار هو الصحيح ، كان لكم الخيار في أن تقبلوا هذه الاقدار
 المستندة إلى العلم والعقل ، أو تبقوا متمسكين بطك الاقدار التي اعتزتموها
 تبعاً لأهواء أنفسكم غسباً . ولكن موعدهم في هذا الاخير لا بد أن

يكون من الخطأ والضمف بحيث يجعلكم أنتم موضع الهزء والسخرية ،
بدل أن تسخروا من غيركم .

الطائفة الثانية

ثم هناك طائفة ثانية ، فواجبنا بعد الأولى . وإذا كانت الأولى مثالفة
من المسلمين وغير المسلمين ، فهذه الثانية تشتمل في الغالب على المسلمين .
وهؤلاء قد راج بينهم خلط عجيب من بعض السفور وبعض الحجاب ،
ولا يزالون (مذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) بجانب تزعم
فوقهم نزعة إسلامية ، وهم لا يؤمنون بتلك المسير التي قد جاء بها الإسلام
للأخلاق والتهدب والكرامة وحسن الفعل ، ويريدون أن يحسوا
نساءهم بحبي المنة والحياء ، ويظهروا بيوتهم من الأدناس الخلقية ، وليسوا
مستعدين لقبول تلك النتائج التي قد ظهرت - ولا بد أن تظهر أبداً -
لاتباع مبادئ التمدن والاجتماع الغربيين . وبجانب آخر ، هم زاحفون
بأزواجهم وبناتهم وأخواتهم إلى الطريق الذي قد سمكته الحضرة الغربية ،
متعدين حدود النظام الاجتماعي الإسلامي ، كارهين حيناً ومترددون آخرون
قارة 'محبسون' ، وآخرون 'مقدمون' ، وقد ظنوا غلطاً في الفهم أنهم بالجمع
بين بعض الطريق الشرقي وبعض الطريق الإسلامي على هذا النحو ،
سيجوزون منافع الطريقين وبركاتها جميعاً ، فيستقي الأخلاق الإسلامية في
بيوتهم محفوظة موفورة ويبقى نظم حياتهم المالية مجموعاً محكماً ،
وسيجتمع نظامهم الاجتماعي مما سن الاجتماع الغربي لأمساوته ولذاته

وهذه دون مضارته . ولكن لحق أنه لا يوضح - أولاً - تلقيع برعين
اقتطاعاً من حضارتين مختلفتين في المقاصد والغايات ، لأن هذه المزاوجة
المتكسفة بين ناشأين آخرين - في القياس - بأن تجمع مضارتهما جميعاً
من أن تجلب منافعهما جميعاً . ثم إنهما يناقضان القطر ويخالف العقل أنك بعد
أن تُرخي نفسك من عنان النظام الخلق الإسلامي الحكم وتُحوِّد ما تتعدي
لحدود القانون قد تتمكن من كبح جماحها عند الحد الذي ترى لوقوف
عنده خالياً من الضرر . هذا اشغب بالأرباء المالية والله في الزينة
والنبرش ، وأبدى بتمود الجرمية في مجالس الخلل ، والإقبال المتزايد على
الصور النارية ولقصص الفروانية ، وتعليم البنات على ارتداء الغربي . كل
هذه المظاهر تجاوزت حدود الاجتماع الإسلامي إن كانت لا سود عليك بتأثير
عاجلة ، ولا تناب مضرتها الخيل المحصر ، وسكنه من البلاءة والحق
الذين بأن الأجيال الفاتحة أيضاً ستسلم من أضرارها . ملك بأن يدب
كل طريق متعرف في التمدن والاجتماع تكون لأشد حيرة متواضعة
ولكنها إذا انفلت من جبل إلى آخر ، ومن قل إلى ثالث ، ههنا تعود
خطاً عظيم وأمرأ مستفحلاً ومصداني ذاك أوربة وامر كاء ، فإن الأسس
الخطائفة الموجهة التي تُنظم عليها اجتماعها من جديد . لم تظهر نتائجها فيها
طجلة ، بل تم ظهور تلك النتائج الكاملة أحياناً في الخيل الثالث والرابع .
لذلك كان هذا الجمع المتكسف بين الطرق الغربية والطرق الإسلامية ،
وهذا الحجاب السافر . ليس شيء ثابت مستقر ، بل رجحانه الطبيعي
إلى الطريقة الغربية لمنطقة . والذين هم مستمسكون به الآن ، يجب أن

بعلوهم أنهم بعد في بداية السير الذي إن لم يصل إلى نهايته هؤلاء ، فلا بُدَّ
أن يصل إليه خلفهم أو الجيل الذي يليهم .

السؤال الفصل

وهنا ينبغي للقوم أن يتشجروا في الأمر وقبل أن يخوضوا في سيرهم
عليهم أن يحزموا موقفهم من سؤال أساسي ، هو بكلمات موجزة : هل
أنتم مستعدون لقبول النتائج التي قد حصلت في أوروبا و أمريكا ، وهي
ثمرات طبيعية لازمة لذلك الطريق الاجتماعي ؟ وهل أنتم ترضون أن
تروا في مجتمعاتكم مثل تلك البيئة القريبة لطبيعة الشهوات ؟ وأن يروج في
أمتكم مروج في أمت الغرب من فقد الحياء وزواك ، لعمري ، وغلبة الفواحش
فمنهم الأمراض السرية كالأوبئة ؛ وبشدد نظام العائلة والبيت ، وبكثرة
الطلاق والتفريق ، وبترجي الشيب والشوا ب على قضاء الشهوات أحراراً
من كل قيد ، ويقطع التناسل متداير منع الحمل وإسقاطه وقتل الأولاد ،
ويصير أفتية والعنيت خيراً وأتوا من قوة العمل وصحة الجسم في شهواتهم
الجائرة ، لحدود الاعتدال ، حتى لا ينجو من ذلك لصغار ، فتنشأ فيهم
الزعات الجنسية قبل الاوان ، وبصعب غورهم الجسدي ونشأتهم الفكرية
تتور عظيم منذ بداية عمرهم ؟

فإن كنتم تريدون أن تقبوا كل هذه المواقف الوحيدة طمعاً في نتائج
المادية وللذات الحسية ، فأنتم أحرار في أن تتبعوا سبيل الغرب ، ولا
تشغلوا أنفسكم بذكر لا سلام . ولكنكم قبل أن تسلكوا ، تلك السبيل

يجب عليكم أن تملأوا قلوبكم عن الاسلام ، حتى لا يكون لكم بعد ذلك أن تدعوا أحدا باسمه ، ولا تكون غضبتكم وسوء سميتكم سببا في تشويه سمعة الاسلام وسلمين .

ولكنكم إن كنتم غير مستعدين لقبول تلك النتائج ، بل تودون أن تكونوا لأنفسكم نظاما صالحا مظهرًا للتمدن ، تنمو فيه الفضائل والملكات الانسانية الشريفة ، ويجد فيه الانسان بيئة هادئة ساكنة لارتقائه العقلي والروحي والمادي ، ويتمسكن فيه الرجال والنساء من القيام بخدماهم المادية ، بخير ما أتوا من المصلحة والكفاة ، على نجوة من خلجات الشهوة البهيمية ، وتثبت فيه دعامة التمدن - أي الأسرة - وتستحكم ، ويحفظ وجود الأحياء ، ولا تقوم فتنة اختلاط الأنساب ، وتكون فيه الحياة القائمة للبرء بمجموعة الدعة والزراعة والسكون ، ومشوى آمنا لتربية الأولاد وتنشئتهم وبجلا للشركة والتعاون العملي بين أفراد الأسرة . إن كنتم تطلبون مثل هذا التمدن الصالح المظهر ، فلا توالوا وجوهكم شطر الغرب لأنه سائر في الجهة الماكسة . ومن الحال العقلي أن يبلغ اثره غايته في الفرق ، بالتوجه نحو الغرب . إن كنتم تقصدون كل هذا عليكم سلوك سبيل الاسلام وحده :

حي أنكم قبل أن تقصدوا هذا السبيل ، يجب أن تفرغوا عن نفوسكم ما علق بها من حب المفاخر المادية والذات الحسية ، لتأثركم بظاهر التمدن اقربى الفاتنة ، وأن تفرغوا عن أذهانكم تلك النظريات والتصورات التي

قد اقتبسوها من الغرب ، وتهجروا هجراً جميع المبادئ والمقاصد التي
قد أخذوها من التمدن والاجتماع الغربي . ذلك بأن الإسلام له مبادئ
ومقاصد خاصة ، وله نظريات عمرانية مستقلة ، وقد اصطنع لنفسه نظاماً
اجتماعياً حسب ما تقتضيه طبيعة مقاصده ومبادئه ونظرياته العمرانية .
ثم إنه يحافظ على هذا النظام الاجتماعي بمضوابط معلومة وطريق تأديبي
مخصوص ، قد قرر بحكمة بالغة ومراعاة لمصالح النفس الانسانية كاملة
بما لا يمكن أن يحلم هذا النظام بدون من القوضى والاحلال . وليس
هذا النظام خيالياً قائماً على الأوهام Utopia كديموقراطية افلاطون ، بل
هو قد ثبت على عمك الدهر طوال ثلاثة عشر قرناً ونصفاً ، ولم يورث
أمة من الأمم ، ولا قطراً من أقطار العالم ، خلال هذه المدة الطويلة ،
شيئاً مما أورثه التمدن الغربي إياها من الفساد والنتائج في مدة قرن واحد
لأجل ذات إن كنتم تريدون الانتفاع بهذا النظام الاجتماعي المختبر لحكم ،
ولا بد لكم أن تأخذوا أنفسكم بتأديبه وتخصوا كل الخوض لصاحبه .
ثم ليس لكم ببدء أن تدسوا في هذا النظام ، بشر حتى ، بل ما اخترعته
حقولكم أو ما ورد عليكم من غيركم ، من أفكار صعبة وطرق مقترحة
غير مجربة ، تخالف مزاج هذا النظام وطبيعته .

أما الطبقة الثالثة ، فهي تشمل على السفهاء والذليلين الذين ليس فيهم
من الكفاءة والآهلية ما يفهمون به الأمور ويفكرون فيها بأنفسهم ويرون
فيها رأيهم . ولذلك لا يستحقون أن يبنى بأمرهم ، فأجدر بنا أن نعرض
عنهم ، وننتقل إلى الطبقة الأولى

قوانين الفطرة

إن الفاطر قد خلق النوع الانساني - كسائر الانواع - أرواجاً ،
أي جعلهم صنفين اثنين ، يميل أحدهما الى الآخر بدافع طبيعه ، ولكن
الذي يبدل عليه ما عم من أحوال سائر الانواع الحيوانية ، هو أن
الغاية من وراء التقسيم الصنفي والميلان الطبيعي فيها هي مجرد بقاء أنواعها
وقد ذلك قد أودعت تلك الانواع من هذا الميلان مالا يحد منه لتقاء كل
نوع منها ، ووزعت في حيلتها قوة وإزعة لاتدعها تتخطى ذلك الحد المسموع
في أداء وظيفتها الجنسية . وأما الانسان - بخلاف ذلك - فهذا الميلان فيه
ليس يحدده حد ولا يضبطه ضابط ، وهو أكثر وأشد فيه منه في سائر
الانواع فلا يفيد وقت من أوقات الليل والنهار ، ولا فصل من فصول
السنة الارضية . ثم ليس في جبلته قوة وإزعة تقف به عند حد بيته .
بل الرجل والمرأة يميل أحدهما إلى الآخر ميلاناً دائماً أديماً ، وقد ركب
فيها ما لا يبد ولا يمحى من أسباب الجذب والانجذاب الصنفي ، وأشربا
في قلوبها حب الجنس الآخر والولع به . ووضعت في تركيب أجسامها
وفي تناسبها ولوانها وهيئتها ومعضها ، وفي كل جزء من أجزائها جاذبية

الحسين بعضها لبعض . وأودعت رنة صوتها ومشيتها وحرركاتها وفتاتها :
قوة أخذه . ثم قد بث القدر فيما حولها ما لا يحصى من الأسباب التي تحرك
فيها انزعاجات الجنسية وتنبيل أحدهما إلى الآخر . فريش الريح وجريان
الماء ، وخضرة النباتات ، وعير الرياحين ، وزقزقة الطيور ، وعارض السماء
ونومة الليل المقمر : كل هذه المظاهر لجبال العطرة وبهاء الكون ، إن
منها شيء إلا يحرك فيها المواقف بنفسه أو بواسطته .

ثم إنك إن تأملت نظام الجسم الانساني ، علمت أن ما أودعه من
خزونات القوة العظيم ، هو في الوقت نفسه ، قوة الحياة وقوة العمل وقوة
الوظيفة الجنسية . فالغدد (Glands) التي تسمى لأعضاء الانسان الجئات
(Hormones) وتبعث في جسمه قوة العمل ونقطة والنشاط ، هي التي قد
وكل إليها أن تنشئ به قوة الوظيفة الجنسية ، وتنمي فيه المواقف
المحركة لهذه القوة وتزوده بصنوف الادوات من الجبال والروايع والوضاء
والروعة لاستثارة تلك المواقف . ثم تبص في نظراته وسامته وشامتته
ولامسته ، وحتى في عيئلته صفة التأثير بتلك لاصوات الجبالية .

وهذه الحكمة والتدبير نفسه ، قد راعته الفطرة في قوى الانسان
النفسية . فكل ما أودعته نفس الانسان من القوى للحركة ، تصبل
أسبابها بفرزتين قويتين : إحداهما ، التي تحفزها على حفظ وجوده وخدمة
ذاته ، والاخرى ، التي تدفعه إلى التعلق بالجنس الخائف . ففي عهد
الشباب ، حينما تكون القوى المبلية في الانسان على أشدها ، تبغ هذه

الفرصة الثانية من القوة واشد أنها كثيراً ما تقهر الأولى . ويلغ من تأثيرها في الإنسان أنه ربما لا يتردد في الالتقاء بيده إلى الهلكة وهو يعلم !

تأثير الجاذبية الجنسية في انشاء النمر

لاي شيء ترى هذا التدبير الحكيم ؟ مجرد بقاء النوع ؟ لا ، لان النوع الانساني لا يحتاج لبقائه إلى كل ذاك التناسل الذي يحتاج اليه السمك والمزود اليها من الانواع . فما اعملة إذا لكون افطر قد جعل حفظ الانسان الميل الجنسي أكثر من كل ماسو من الانواع ، وأعد له من أسباب التحريك والتبيج ما لم يُعده لبق الحيوان ؟ هل ذلك كله لتوفير اللذة والمتعة للانسان ؟ لا ، ليس الامر كذلك أيضاً . لان افطر لم يجعل اللذة والمتعة شيئاً مقصوداً بذاته في حال من الاحوال . وإنما هي تضع اللذة في عمل من الاعمال ، حمزاً للانسان والحيوان عليه ، لتحقيق مقصود أصمى وأجل ، حتى يقوموا بهذه الخدمة راضين ، شامرين بهم يعملون ذلك لمصلحتهم ، لا لمصالح غيرهم . فتأمل الآن ! ما هو ذاك المقصود الأصمى الذي ترمي اليه افطر في هذا الأمر . إنك فيها فكرت وترويت لم تمنحه لكل هذا التدبير من عناية سوى أنه افطر يريد للانسان - بخلاف سائر الانواع - أن يتحضر ويتمدن . .

فهذا السبب وحده قد وضعت في قلبه تلك الفرزة للحب والهوى

الجنسي ، التي لا تقتضي مجرد الاتصال الجسدي ، والوظيفة الجنسية ،
بل تتطلب عشرة دقائق وحصة عقلية وتعلقاً روحياً قوياً .

ولهذا السبب وحده قد حُجِّل اعلان الجنسي في الانسان أضعف
حافيه من قوة الجوع . ولو أنه يأتي الوظيفة الجنسية بقدر ما أودع من
الشهوة والتزوع الجنسي ، أستغمر الله ، بل بقدر مصدر حافيه من تلك
الشهوة والتزوع ، لخالفته صحته وتبدت قواه قبل أن يبلغ تمام عمره
الطبيعي . وهذا من الدليلين البين على أنه ليس المقصود بتوفير التزوع
الجنسي فيه أن يأتي الوظيفة الجنسية أكثر من سائر الحيوان ، بل
يراد به وصل الرجل والمرأة بهذا السبب القوي ، وجعل علاقة
هابينها ثابتة مطردة .

ولأجل ذلك قد رُكِّب في طبع المرأة - بجانب الشهوة والحاذية
الجنسية - الحياء والاحشام والمحدود والامتناع والقرار التي تنصب بها
كل امرأة قليلاً أو كثيراً ، ولا ريب أن طبع انحراف والامتناع هذا طهر
على إفلات سائر الحيوان أيضاً، ولكنه في أمي الانسان أكثر وأشد. وقد
يزيد في شدته بما وضع فيها من غريزة الحشمة والحياء . وهذا أيضاً
يُستبطن منه أن المقصود بوجود القوة المضابطية الجنسية في الانسان
هو تحقيق الاتصال الدائم بين زوجيه ، لأن نتهى كل نزعة جنسية
فيها إلى وظيفة جنسية .

ولهذا السبب قد خلق الطفل الانساني أضعف وأعجز من نتاج

سائر الحيوانات . فيحتاج الولد الانساني - بخلاف الحيوانات الأخرى - إلى رعاية والديه وتربيتها مدة بضع سنين ، ويتأخر فيه نشوء لقوة والاهلية لكسب قوته ، والاستقلال بنفسه في الماش . وهذا كذلك مما يُراد به ألا ينحصر اتصال الرجل والمرأة في التسلق الجنسي بينهما ، بل يحملها نتيجة هذا التعلق على التسون والتعامل في الحياة .

ولذا نفسه قد غلب الانسان أسنى على أولاده وأكثر حباً لهم من كل الحيوان . فالحيوانات تعارق أولادها بعد أن تُربها مدة قليلة ، ثم تنقطع بينها الأسباب حتى لا يشرف بعضها بعضاً بعد ذلك . والانسان - بخلاف ذلك - يظل مأسور العواد محب أولاده ، حتى بعد انقضاء مدة التريبة ، ثم يمتد حبه هذا من أولاده إلى أولاد أولاده . ويبلغ من سلطان هذا الحب على طبع الانسان الحيواني الاتاني أنه يحب لأولاده أكثر مما يحب لنفسه ويود من قرارة نفسه أن يبني تخلفه أحسن ما يكون لمن أسباب النشئ ، ويورثهم كل ثمرات أعماله وجهوداته في الحياة . فما كانت القطرة أقرم من ور هذه الماطقة الشديدة من الحب إلا أن تحول التسلق الجنسي بين الرجل والمرأة إلى رابطة أبدية . ثم تتخذ هذه الرابطة أداة لإشياء العائلة ، ثم تخفي هذه السلسلة من حب الأقارب والادفين تربط كثيراً من العائلات بأصرة الصبر ، حتى تشترك في الحب والاجتهاد ، فيحملها هذا الاشتراك على التسون والتعامل . وبذلك يقوم نظام للتقدم .

المسألة الاجتماعية للتمرد

يتضح من ذلك كله أن وفور هذا الميلان الجنسي الذي لا يخفى منه عصب من أعصاب الجسد الإنساني أو ناحية من نواحي روحه ونفسه ، والذي قد هما الفطر لتمييزه وتقويته أسبابا وحركات في كل جانب من جوانب هذا الكون ، على نطاق واسع بحدود ، المقصود به : صرف (الفردية) في الإنسان الى (الجماعية) . وإن افطر قد جعله قوة محرّكة أصية للتمدن الإنساني . فهذا الميلان الشديد والاصحاح الدائم يحقق الوصل بين الجنسين من النوع الإنساني . ومن هذا الوصل بينهما تكون بداية الحياة الاجتماعية (Social Life) .

وإذا تحقق هذا الأمر ، تبين أن مسألة العلاقة بين الرجل و المرأة ، هي في الحقيقة مسألة أساسية للتمدن ، يتوقف على حسب الصحيح أو الخاطيء ، صلاح التمدن أو مسامه وخيره ، أو شره ، وقوته أو ضعفه . وأن بين الجنسين الانسانيين علامتين إحداهما علاقة بهيمية - وبكلمات أخرى جسدية شهوانية خالصة - ليس المقصود بها إلا بقاء النوع . وأخرى علاقة إنسانية يراد بها الجنسين أن يتعاونوا فيما يشتركان فيه من المصالح والأغراض ، حسب ما أوتي كل واحد منها من المواهب والكفاءات الفطرية ويضعها على هذا التعاون حسبما لجنسي الذي يكون بينهما واسطة

الاتصال . وهذان الضميران - اسييمي والانساني - يتعاملان في الجنسيتين
ويستخدمانها للقيام بشؤون المدن وفي الوقت نفسه لإصلاح المزيد من
الأفراد الذين يواجهون تدمير تلك الشؤون . وحسب الإصلاح الممدد متوقف
على أن يكون استرجاع هذين المتصرفين مستديلاً متزناً .

★ ★ ★

لوازم المدنية الصالحة

هيا بنا نعالج المسألة بالتفصيل ، فنعلم كيف تتزوج الملائكة المهيبة
والإنسانية - بين الرجل والمرأة امتزاجاً متدلاً متزناً ، وأي سوء من
الانحراف والشطط تستوي هذا الامتزاج فتجر "على التمدل الفساد .

I

تعديل البهائم الجنسي

إن "م وأولى ما يواجه المرء من امسائل في هذا الصدد هو التزوج
والميلان الجنسي ، كيف يكبح جماحه ويحدد من طغيانه ، وقد مر آنفاً أنه
هذا الميلان في الانسان أشد وأقوى منه في سائر الحيوانات ولا يتحصر
الامر في أن القوى المهيبة على أشدها في داخل الجسم الانساني لحسب ،
بل الامر أن قد تكسر في خارجه أيضاً ، من كل جانب من هذا العالم
الواسع ما لا يحد من الحركات الجنسية ، وهذه الفريضة التي قد أعدت
لها الفطرة نفسها كل تلك لأسباب ، لو أن الانسان يأتي ويبيى الأسباب

لنفوتها وإغاثتها برعمال فكره وموه ختراعه ، وبمختار نفسه نوعاً من
التمدن ، يزداد فيه هيأه الجنسي ويشتد مع الأيام ، ثم تبصر له فيه
قوس إروائه وتسكينه ، فإن هذه الغريزة لا جرم أن تفحش وتنطلي
حدود الاعتدال ، ويضرب المتصغر الحيواني في الإنسان عُنصره الانساني
كل النلية ، وتأكل هذه البيمة الجامحة انسانيته وقدنه ساء .

إن العلاقة الجنسية وما يتقدمها من المبادئ والخوافز ، كل واحد
منا قد جسته افطره لذيذاً متماً ولكنها لم تجعل هذه اللذة فيه - كما سبق
أن أشرنا إليه - إلا لتحقيق مقصدها وهو إنشاء التمدن . أما شغف
الإنسان بهذه اللذة متجاوزاً حد القصد ، وانها كفه في طلبها دون سائر
الامور ، فقد يجرى وهو ملامه زان ولا يزال يجرى الخراب والدمار ،
لا على التمدن وحده ، بل على النوع الانساني أجمع . فانظر في أخبار
الأمم البائدة وآثارها تجد أن غريزة الشهوة كانت فاحشة فيهم ومتغلبة
عليهم ، فلهذا آدابهم تراها مألوفة بالواضيع الجنسية المبيحة ، وهذه أخلايتهم
وأفكارهم وقصصهم وأشعارهم وسورهم وقوانينهم ومبادئهم وقصورهم -
كلها فاطقة طفليان شهواتهم . وانظر كذلك في أحوال الأمم التي هي
سائرة اليوم في سبيل الخراب تجد ان قصدها هو القصد والطريق هو الطريق
ومهاجول هؤلاء أن يخفوا شهواتهم الممرطة باسم الفن والآداب اللطيف
وتذوق الجمال وما شاكله من الاسماء الجذابة ، فإن الحقيقة لا تبديل
بتبدل السيمة والاعنوان . رأيت ما هذا الذي قد جعل المرأة في المجتمع
الحديث أرقب في صحبة الرجال منها في صحبة النساء ، وجعل الرجل

أحرم على عشرة النساء منه على عشرة الرجال ؟ وما السبب في زيادة
 حب الزينة والتجمل في الصنفين مع الأيام ؟ ولماذا تكاد المرأة تتجرد
 من ملابسها في هذا المجتمع المختلط ؟ وما الذي يجعلها تكشف عن عورات
 جسمها وتعرضها على الأنظار عورة بعد عورة ، والرجال يتدنون : هل
 من مزيد ؟ وما لعل في أن الصور الفاحشة وتناثر المجردة والرقص
 العريان هي أحب الأشياء إلى الناس ، وإذا لا تجد النفوس لذة في الأفلام
 السينمائية ، لم تمارجها أحاديث الحب والفرام ، وما لم يُصنف إليها كثير
 من مقدمات العلاقة الجنسية من القول الفحش ولعل المهرج ؟ رأيت
 ما هذه كلها وما شاكلها من المظاهر الكثيرة الأخرى ؟ وهل تتم هذه
 كلها على شيء غير طغيان الفريضة في الأنثى والذكور ؟ وهل يكون
 مصير لمدن الذي تقوم فيه هذه البيئة لحرطة في الشهوات غير
 الهلكة والتبور ؟

لحق أن مثل هذه البيئة بما غتار به من شدة الميلان الجنسي والتبرج
 الدائم والتعريك المستمر ، لا بد أن يضعف فيها الفسل ، ويفسد نمو
 القوى البدنية والعقلية ، وتورث الأفسكار وتنتشر الامعان ، (١)

(١) مما كتبه بعض الأطباء : إن زمن البلوغ يدخل على الإنسان مكبر من
 التغيرات المهمة ، فتتغير أوصال نفسه وجسمه المختطة خلال حالة عقلية ، وتجد
 فيه النعأة والنمو من جميع الوجوه. ولاحتال تلك التغيرات الواضحة في جسمه ، وقبول
 تلك النعأة والنمو ، يحتاج المرء في هذه الأوبة إلى استنطاع كل قوته . ومن هذا
 تنقسم فيه للكلمة للأمراض. وهذا العمل الطويل من النمو البناء وتأدي الاعضاء =

وتكثر الفواحش وتضم الامراض السرية ، وتقوم الحركات المختلفة لمنع الحمل وإسقاطه ، وتقد الاولاد. ويعود الرجال والنساء يختلط بعضهم بعضاً كالبهائم ، بل يستعملوا الميلاق الجنسي الذي قبله حمت الفطرة ، حظهم منه أكثر من سائر الحيوان ، فيما يناقض مقاصد الفطرة وينابها ويدنوا في جميعهم كل أنواع الحيوان حتى القرود والماعز ، وهذه البهيمية الشديدة الطاعية لا جرم أن تهيم التمردن والحضارة ، بل تهيم الانسانية نفسها ، ومن استمرسل فيها من الناس حري بأب يتشرب بهم الانحطاط الخلقي في حضيض من الذللة ، لا ينهضون منه أبداً القدر .

ومثل هذا المصير لا بد أن يلقاه التمردن الذي يختار جانب التفريط فكما أن إفراط الميلان الجنسي ونجاوزه حدة الاعتدال ضار ، كذلك

= وحسوت الفجر في الجسم وفي النفس - الذي يتفعل بالإنسان من طور الصبا إلى طور الرجولة ، عمل متب شاف ، تكون طليعة البر في ثباته في كد وكدح ، فلا يجوز أن يحصل عليها في تلك الحالة عمل بهف ، ولا سيما العسل الجنسي والميلاق العمواني اللذان هما ضرران بها أبلغ الضرر .

ويكتب عالم ألماني شهير في علوم النفس والعمران : إن الأعضاء الجنسية لتكوها تحت تأثير هيجان غير جادي (Sensation) لحاسة اللذة والتشبع في الإنسان ، تكون مسعدة أبداً لاجتذاب جانب كبير من قواه التحية إلى شها أوائل نصيا والاستعداد بها . فهي إن قويت في البره وغيت عليه ، تشغل بالمتع واللذات القروية بدلاً من خدمة المدن .

وهذه الفترة الخطيرة تلك الأعضاء في جسم الإنسان يمكن أن تعرب مجاه الجنسية ، كما فعل ، عن حادة القصد والاعتدال وتبدل شها له ضرراً فيجب لذلك أن يكون أم غايات الصليم أن يوجد باب هذا الخطر العظيم .

كعبته وتذليله فوق الحد المقبول ضار . وإن النظام التمدني الذي يدعو
 الإنسان إلى المزوجة لدائقة والرهينة وإمالة الشهوة بالرياضات والمشاق ،
 فإنه يحارب العسرة ، والفطرة لا تطلب بل تطلب ، وتحيض بين عارضه .
 أما تصور لرهينة الخلاصة ، فمن البديهي أنه لا يمكن أن يكون أساساً
 تمدني بشري ، لأنه في الحقيقة متناف للتمدن والحضارة . ولا ريب أنه
 يمكن إثبات تلك التصورات الرهينية في النفوس أن تنشأ في المجتمع
 منة خلوة من مؤثرات الشهوة ، تجعل العلاقة الجنسية فيها شيئاً محترماً
 مستثنى في ذاته ، ويقرر احتياها مياراً للفضيلة ، ويحاول بكل الوسائل
 الممكنة أن تكبت هذا الميلان في نفس الإنسان . ولكن الحق أن انكبات
 هذا الميلان الجنسي في الإنسان منتهى انكبات الانسانية فيه حقاً ، لأن
 هذا الميلان لن ين وين يتراجع وحده ، بل سيراجع معه ذكاء الإنسان
 وقوته البدنية وموهبته العقلية وعزيمته وجراته وحمته وشجاعته ،
 وبوجهي هذا الميدان متفراحي في الإنسان جميع قواه ومقدراته ، ويرد
 فيه الدم ويجمده . ولن يعود أهلاً لتفريقي والنهوض . وذلك لأن أكبر
 القوى المحركة في الإنسان هي هذه القوة الجنسية بلا نزاع .

فمن أول واجبات التمدن الصالح الرجوع بهذا الميلان الجنسي من
 مصلحي الافراط والتفريط إلى جادة القصد والاعتدال ، وضبطه بما ينبغي
 من ضابط . ويجب لهذا الغرض أن يُدبّر للحياة الاجتماعية نظام يمنع
 - بحسب ما يمكن - كل ما يخترعه الإنسان بإرادته ويتبعه الشهوات من أسباب

التهييج والتعريك المتجاوز حدة الاعتدال (Abnormal) ، ويضع
بجانبه آخر طريقاً لإرواء غليل الشهوات الفطرية المعتدلة (Normal)
يوافق مقاصد الفطرة نفسها .

٢

تشكيل الصورة

وبالطبع ينبعث هنا في ذهن الباحث السؤال عن مقصود الفطرة
ومطلوبها ، ماذا هو ؟ وألست نجد ؟ وهل قد حللنا لنا في الامر ، ونتركنا
نحيط في الظلام لنضع أيدينا على ما نشاء ، فتقرر أنه مقصود الفطرة ؟ أم
نحن لا نترك هذا المقصود إلا بالتأمل في نواحيها ؟ ولعل أكثر الناس
يقولون بالاولى ، فيطلبون على كل ما نهى أنفسهم حكم مقصود الفطرة ،
بدون أن ينظروا في نواحيها ولكنه إذا خرج باحث بالنفس وجه الحقيقة
فإنه لا يخطو في سبيله خطوات ، حتى يتبين اليه أن الفطرة قصدها تدله
وتشير له إلى غايتها ومقصودها .

فما هو ديني معلوم أن مقصود الفطرة الرئيسي من خلق الانسان
أزواجاً لجميع الانواع الحيوانية ، ومن وضعها الخديجة الجنسية فيها ،
هو بقاء النوع . ولكن الفطرة لا تطالب الانسان بهذا وحده ، بل هي
تطلب منه وراء ذلك أموراً ، نستطيع بقدين من التأمل أن نعرف ما هي
تلك المطالب ، ومن أي نوع هي ؟

إن أول ما يلتفت إليه بهذا العدد، هو كون لطفل الانسان يختلف
عن أولاد سائر الحيوان، من حيث اقتصاده وقتاً أكثر وعنايةً أبلغ
وعملاً أنصب، لأجل رعايته وتربيته. وإن نحن فرضناه وجوداً حيوانياً
محضاً، فإننا نجد حتى في هذه الصورة المفروضة أنه يستغرق أعواماً
متعددة قبل أن يستطيع القيام ببعضه حوائجه الحيوانية، كالتس قوته
والدافسة عن نفسه، ويكون الضعف والعمى في السنتين أو السنوات
الثلاث الأولى من عمره بحيث لا يمكنه حتى أن يحيا ويعيش بدون عناية
مطردة من أمه.

ولكن الظاهر أن الانسان، مهما كان محضاً في توحشه، ليس بالحيوان
نحسب، بل لابداً لحياته من مدنية من أئنة درجة كانت. وهذه المدنية
تضيف إلى واجبه العطري من تربية الأولاد، واجبين آخرين: أولهما
أن يستعمل تربية ولده كل ما يتيسر له من وسائل التمدن، والثاني أن
يريه تربية تؤوله لتدبير شؤون التمدن في المحيط المدني الذي ولد فيه،
ولأن يقوم مقام المعلمين السابقين فيه.

ثم إنه كلما كان التمدن أهلي درجة وأزهر رقياً، كان هدايت
لواجبان أثقل عبثاً وأهدج خطباً، فيجيب تكثير الوسائل اللازمة لتربية
الأولاد على معنى لازم. ويجانب آخر لا يمكن التمدن بطلب المعلمين
دوي القناعة المدنية لقيامه وبقائه، بل هو يقتضي لأجل قوته وارتقائه
أن يكون كل حين لاحق أهلي رتبة وأكل أداة من الجبل السابق.

وبعبارة أخرى يطلب من كل مرء أن يرثي والده تربيةً أحسن من تربيته وينشئه على مستوى أعلى من مستواه . وتأهيك بهذا الأثر العظيم الذي يستقر للمرأة حتى عن عاطفة حبه لذاته .

هذه هي مطالب لفطرة الانسانية . وأول من توجه اليه هذه المطالب هي المرأة . وذلك أن الرجل قد يكون منه أن يمتثل للمرأة ساعة من الزمن ، ثم يمتد عنها وعن نعمة ذلك الاتصال . ولكن المرأة لا تستطيع أن تفلت من نتيجة اتصالها بذلك الرجل عدة من السنين ، بل مدة العمر غالباً . فإنها إن حملت ، لا تفارق ، نتيجة ذلك الاتصال بهال من الاحوال مدة خمس سنوات على الأقل . ثم إن أرادت المرأة أن تقوم بجميع مقتضيات المدن ، فعمه أن تظل المسكينة التي ذقت عسيرة الرجل ساعة من الزمان ، مثلاً كاهلها بتعبات الفعل مدة خمسة عشر عاماً علاوة ، فتسأل النفس في هذا المقام : كيف يكون لأحد الفريقين أن يستمد لقبول نعمة الفعل الذي قد اشتركا فيه جميعاً . وأنثى للمرأة أن ترضى النهوض بهذا الامر القادح عالم تتخلص من خشية الفيل من قبل شريكها في ذاك الفعل ، وما لم تخلص نفسها من جوة زينة أولادها ، ثم عالم تخلص عن الحمل لكسب حوائج حياتها إلى حد كبير . فالخذ لامرأة لا تقيم لها من الرجال خطب جنك وسكة عظيمة ، بل هو آفة لأفات من الطبيعي أن تبني نفسها لتخلص منها . وأنثى يكون لها لمرء الله أن ترحب بها وتهش اليها ؟ .

لذلك إن وجب بقاء النوع وقيام التمدن فواجب لاحتالة هي الرجل الذي يلقح امرأة من النساء أن يُشتركها أيضاً في القيام بشعائير الأمر. ولكن ما السبيل لاقتدائه بقبول هذه الشراكة وهو قد فطر على الآثمة وحب مصلحة الذات. أما الرجل الطبيعي من بقاء النوع ، فقد فرغ من نصيب عمله منه ساعة التلقيح المرأة. ويلزم الخوف بعد ذلك المرأة وحدها ، ولا يكون له شأن مع الرجل . ثم إن الرجل لا تدومه الفرقة الجنسية أيضاً إلى أن يباشر تلك المرأة نفسها . فإنه إن شاء هجرها إلى الثانية ، وهجر الثانية إلى الثالثة . ونحو هكذا يتدرج هجرها هنا وهناك . فذلك فلو ترك الأمر إلى رضاه ، فلا منسوخ لأن يرضى انقياد بهذا المبدء بطيئة نفسه . فإذا عساه - يا ترى - يحمله على أن يتفق ثمرت جهوده على هذه المرأة والولد ؟ ولماذا يُقيم على حب هذه الحبلى البطيئة ، ولا يهاجرها إلى غائبة خنفسنة ؟ ولماذا يربي مضمة لحم تكبد على نفقته ؟ ولماذا يحرم نفسه لنومة الهادئة بصباح الخويث وصراخه ؟ ويترك هذا الشيطان الصغير يجور في بيته ويشت بكل ما تقع عليه يده ، فيُسبب له الخسائر ، ثم يبت في أطرافه القفر ولا ينجع فيه نهى أو رجس ؟

إن افطرة نفسها قد طالت هذه المسألة إلى حد ما ، فخلقت في المرأة ميزة الجمال والعبادة ، ووصفة الإمتاع والفلسفة ، وملكة الاشارة والتضحية في سبيل الحب ، لكي تتعبر بهذه الأسلحة على الفردية الأنمية في الرجل وتضيئ ذواده وتلك عليه لبته . وقد جعلت في الولد أيضاً قوة عجيبة للتسخير ، لكي يهيئ أبوه في حبه على رغم حماقته المسخطة ، الموجبة

للخسائر . ولكن ليست هذه كلها من الامور التي تكفي وحدها في أن
تدفع قوتها الانسان إلى احتمال الخسارة والافس والتضحية عمراً من
الستين ، لأجل لقيام بواجباته الخلقية العظيمة التعبدية . فإن الانسان
لاشك يلزمه أيضاً عدوه الأزلي ، الشيطان ، والذي لا يزال يتحين
الفرصة كل حين ليعمل به عن بعدة الفطرة ، والذي لا يزال جعشة
كيدية مخلوقة يفتنون من الأدلة والتسويات لاستغواء بني آدم من كل
جبل ، وفي كل زمان .

إنه من معجزات الدين حقا أنه يحض الانسان - بصفيه - على
التضحية والبذل لأجل مصالح النوع والتمدن ويحول هذا الحيوان
الاناني إلى إنسان ، ثم يحفزه على الايثار . وإن الانبياء والمرسلين
م الذين فهموا مقاصد الفطرة فيها ثناء ، فترروا الصورة الصحيحة للخلق
الجنسي بين الرجل والمرأة وتعاونها في شؤون التمدن ، وهي التكاح .
وم الذين جرت على أيديهم سنة 'التكاح في كل أمة ، وفي كل ربح
من ربح الارض . وما هو إلا بفضل المبادئ الخلقية التي خبرها أولئك
الرسلا ان تمكن الانسان من الاستعداد الروحي الذي يقويه على احتمال
متاعب هذه الحياة وخسائرها . والافرن ما تزونه احق بأن يكون عدواً
مخاطف من والديه ؟ وعلى قواعد الاجتماع التي وضعوها كأسس النظام
العائلي الذي يرعى سلطان القوي الفتية وفتيات على التزام هذه الربطة
القائمة على المسؤولية وهذا الاشتراك المحلي في شؤون الحياة . والان
مطالب شبابهم الطبيعية تكون بالنسبة من الشدة ان لا يكاد يمنعهم الشعور

بالبينة الخفية وحده - بغير التأديب الخارجي - من لا تعلق مع شهوراتهم بدون قيد - انحراف الشهوات في شهاب حرب على الجمعية (Anti Social) ، وهي زراعة إلى الاثرة والفردية والفوضى ، وليس لها ثبات أو قرار ، ولا فيها شعور بالمسؤولية وهي لا تحرر الا الاثمة بالذلة اسرعة ، وليس من اليسر لمثلين تسخير هذا القهر لتجديده مصالح الحياة الاجتماعية هذه الحياة التي تتطلب الصبر والثبات والجهد وابدك والشعور بالمسؤولية والكدر المستمر . فليس غير قانونا الفكاك وغير نظام لاسرة بذلك هذا المفترق ويتزع منه مصدر الخبث والفوضى والافتقار ، ويجعله أداة لتعاون الرجل والمرأة واشتركا في المديني للناجح الذي لا بد منه لتعمير الحياة الاجتماعية . فإن يتعلم هذا القانون ، وهذا النظام المائلي ، تلاش حياة الإنسان المدنية ويصبح الانساني يعيشون عبثة الانعام ، حتى يمتحي نوعهم من صفحة هذا الوجود .

فالطريق الذي تريد الفطرة انفسها أن يفتح لقاء معالاب الانسان الفطرة ، بعد منع الميلان الجنسي فيه من الموضي والانحراف ، ماهو إلا أن يكون بين الرجل والمرأة اتصال أبدي بصورة اسكاج ، ويكون هذا الاتصال بينها أساساً للنظام المائلي . وهذا النظام المائلي هو الذي يجرى لتمديد كل ما يحتاج إليه من الآلات المستيرة انتظامه الواسع . فقد يبلغ الفتية والفتيات في الوسط المائلي سن البلوغ حتى يتم رؤساء الاسيرة بأن يلتصقوا لهم أزواجاً يوافقونهم أكثر حتى يتزوجوا بواقعتهم فضلاً على وأجود . ثم متى أنسلوا نسلاً يمتد كل عضو من اعضاء هذا النظام لمائلي.

برغبة قلبية صادقة أن يرثيه أحسن التربة فيجد العاقل في محيط العائلة ،
 مذ يفتح عينيه في هذه الدنيا ، بيئة من الحبو والمطرب والرعاية والتمدد
 والتربية ، تكون ليدوم ونشأته كالباء الفسرات لمارس النبات . والحق ان
 محيط العائلة هو الذي يمكن أن يجد فيه الطفل نفوساً تحبه وتمطط عليه
 بل من يودون من صميم قلوبهم أن يبلغ العاقل في حياته مكانة اجتماعية
 أعلى من التي ولد عليها وانما الاخوان الذين يحبون ان يجدوا الاولاد في
 حال احسن من حالها وعلى مكانة أرقى من مكانتها ، يبحثون من انفسها
 - بدون شعور أو ارادة - ان يجعلا الجيل اللاحق احسن من السابق ،
 ويعدون بذلك سبيل الارتقاء الانساني وهذا الجهد والسعي منها لاثوبه
 شائبة من الآثرة . فانها لا يريدان شيئاً لانفسها وإنما يريدان فلاح ولدهما
 ويستبران نشأة انساناً ناجحاً جيد لتربية جزاء وإعلاء لمساكنها وحمودها
 وأشيء يمكنك أن تجد في عبر الطعام الدني أمثال هؤلاء العاملين المتفصلين
 (Labourers) والعاملين الاوفياء (Workers) الذين لا يكفهم أن يسلموا
 لمصلحة النوع الانساني بدون أجر ، بل يبدلون لهذه الخدمة كل ما
 يملكون من الوقت والراحة والقوة والكفاءة وذات اليد . ويضعون
 بأنفس ما يملكون في سبيل الامر الذي لا تنال ثمراته إلاهم ، بل يتفجع
 بها غيرهم ، ويكتفون من الخيرات المهدية لهم بأنهم قد هيؤوا لغيرهم عامين
 وخادمين من النمط الحسن : أفتجد نظاماً أظهر وأرقى في الانسانية
 من هذا النظام العائلي .

هذا ويحتاج النوع الانساني لبقائه ، والتمدن الانساني لاطراذه وارتفاعاته كل سنة إلى ملايين من الأزواج يتقدمون للقيام بهذه الخدمة وتبعهم راسين غنارين ، فيتساقدون بهم الكناح ويؤسسون المزيد من الاسر . وهذا الممثل التمدني العظيم الذي هو جاري امامك في هذه الدنيا ما كان ليجري ويرتي ما لم يظل أمثال أولئك اعمالين المتطوعين يتقدمون دائماً لهذه الخدمة ، ويهيئون الايدي السمة لهذا الممثل . وإن انقطعت سلسلة هذا التطوع ، وغدا لعامون السابقون ينتحون عن لميل بفعل الاسباب الطبيعية ، فلا جرم ان ينقص عدد العمال مع الأيام . ويأتي على الوجود حين من الدهر تعود قيثارتة بلا أوتار تنغم . فكل من يعمل لتسيير هذا الممثل التمدني ، وليس واجبه أن يسيره في حياته هو وكفى ، بل يجب عليه كذلك ان يهيئ إمدادات امثاله من العاملين الذين يقومون مقامه من بعده .

وإن أنت تدبرت الأمر من هذه الوجهة ، وحدثت أنك أمر النكاح لا يتحصر في "نه الصورة الشرعية الوحيدة لأرواء انجيل الجنسي" ، بل هو في الواقع فريضة جماعية ، وحتى فطري لاجتماع على الفرد وما كان الفرد ليحمل اليه الفصل في أن يعقد عقدة النكاح ولا يتقدم وإن الذين يأبون عقد النكاح بدون عذر معقول هم في الحقيقة حميلة "على المجتمع ، طعيليون (Parasites) بل هم غدرة متلصصون . ذلك انه ما من نفس انسانية ولدت على هذه الارض إلا وقد استعادت ، من لدن بدء حياته إلى حين شبابه ، من الثروة المريضة الواسعة التي هيأتها له لأجيال اسالمة ، ماشاء الله ان

يستفيد ، ولم يتمكن من بقاءه وعموه ونشأته في الصفات الانسانية إلا بفضل النظم والمؤسسات التي أقاموها . فبقى في انحاء هذا كله يأخذ ويستمد ولا يُعطى ولا يُمدد وأفققت الجماعة قوتها وثروتها لتكمل قواه الناقصة رجاء أن يكافئها يوم يقدر على المكافأة . فهو الآن ، وقد اشتد ساعده « إن كان يطلب لنفسه الحرية الذاتية والاستقلال ، ويقول : اتي لست فاعلا شيئاً الا أن أقضي شهواتي غسباً » ولن أقوم بما يشبع هذه الشهوات من الثبات والواجبات ، فإنه لاشك غادر بالجماعة خدام لها ، وكل لحظة من لحظات حياته بين الجماعة ظلم وعدوان . ولو أن للجماعة حقاً من الشعور لحسبت عليه حكم السرقة والاصوص وأهل القس والتزوير بدن ان تكرمه وتدعوه سيداً أو أئمة أو أستاذاً محترماً . اننا لاشك قد قوارننا كل الثروة والذخيرة التي قد تركتها الاجيال السالفة - أردنا ذلك أم لم نرد - فكيف يجوز لنا الآن أن تكون لنا الحرية كل الحرية في امر القانون القطري الذي قد وافقنا هذا الميراث بوجبه فتكون مختارين في أن نحقق مقصود ذلك القانون ، أو لا نحقق ، وأن نحدد الحيل الذي يرث هذه الثروة والذخيرة التي خلقتها انواع الانساني أو لا نحدد ، وأن نربي موسماً آخرون - كما ربيت نحن - لتمتد تلك الثروة والقيام عليها أو لا تفعل !

٣

سر باب الاباءية الجنسية

وبجانب التسكاح وتشكيل العائلة ، يجب أيضاً ان يُسد باب قضاء

الشهوات الجنسية خارج حصن النكاح سداً محكماً، لأنه لا يمكن أن يتحقق بدونه مقصد العطرة الذي تستلزم لأجله النكاح وتشكيد المائدة .

وأكثر الناس في هذه الجاهلية الجديدة أيضاً ، كأهل الجاهلية القديمة ، يمدّون الزنى فعلاً طبعياً ، ويعتبرون النكاح من مخترعات التمدن أو من خشوه وزواجده . فمن رأيهم أن العطرة كما خلقت كدّ نسيجة لكل كيش ، وكل كلبة لكل كلب ، كذلك قد خلقت كل امرأة لكل رجل في هذا العالم . وما لطريق الفطري إلا " أن يقع الاتصال الجنسي بين كل فردين من الجنسين ، كل شهية وعكافته وتراسيا عليه ، شأن اثنين من الحيوان . ولكن الحقيقة أنهم يخطئون خطأً شديداً في التعبير عن العطرة الانسانية . وذلك أنهم قد رسموا ، لانسان حيواناً عرجاً . فكما ذكروا العطرة والعلم أرادوا بها فطرته الحيوانية لا فطرته الانسانية . والملاقة الجنسية المتطرفة التي يسرون عنها بفعل طبيعي لاشك أنها طبيعية بالنسبة للحيوان ، ولكنها ليست من العطرة في شيء للانسان . إنها لا تخالف فطرته الانسانية وحدها ، بل تخالف ، من حيث نتائجها ، فطرته الحيوانية أيضاً وذلك أن الانسانية وحيوانية ليست شيتين متبنتين في الانسان بل هما يتزاخنت في وجود واحد ، ويؤمن بتزجيها به شخصية واحدة ، وترتبط مقتضياتها في تلك الشخصية بعضها ببعض ارتباطاً يجعل الأمراض عن مقصد إحداها إخلالاً بمقصد الأخرى بالجمع .

ويرى امرؤ الزنى في ظاهر أمره بقضي حاجة لفطرة الحيوانية على

الاقبل ، لان غاية التناسل وبقاء النوع تتحقق بمجرد الوظيفة الجنسية سواء حصلت داخل حظيرة النكاح أو خارجها ولكنك إن ترجع اليضرة إلى ما ذكرناه آنفاً ، يبين لك أثر هذه العملية ضررها بمقتضى الفطرة الحيوانية في المرء كضررها بمقتضى الفطرة الانسانية فيه . ذلك بأن فطرته الانسانية تقتضي أن يكون لملامته الجنسية ثبات ودوام ، حتى يشترك الأبوان في تربية الطفل ، ويقوم لوالده بكفالة الولد وأمه ، مدّة من الزمان . ولكن المرء إن لم يكن على ثقة من كون الولد من صلبه هو لم يرض أبداً أن يتكلف في تربيته الجهد والايثار ولا يرضي للولد أن يرث تركته . وكذلك إن المرأة إن لم تكن على يقين من أن الرجل الذي ينفعها ، مستعدّ لكفالتها وكفالة ولدها ، لم ترش أبداً أن تصافي متاع الجنس . ثم إن لم يتساوى الأبوان على تشدّد الولد ، لم يمكنه أن يسبح في تعليمه وتربيته ومكانته الخلقية والعقلية والاقتصادية مبلّغاً بتعليمه تاملًا مفيداً للتمدين الإنساني . كل هذه مقتضيات الفطرة الانسانية في ابن آدم . وإذا أهمها الرجل والمرأة وجاءا بتمقان بعلاقة جنسية عارضة ، كأنواع الحيوان فإنها لا ريب في محال مقتضى لفطرة الحيوانية أيضاً وهو التوليد والتناسل ، لأنها حين يمتثلان لا يقصدا - وما كانا ليقصدا - التوليد والتناسل ، بل تكون عايتها من العلاقة الجنسية إذ ذاك مجردة ، اللذة والتمتع وإرواء غليل الشهوات ، مما هو مخالف لمقصود الفطرة أصلاً .

ويستضيف أصحاب الطاهلية الجديدة أنفسهم هذه الناحية من العلاقة الجنسية المطلقة ، فتراهم يضيفون إلى حججهم لتبريرها حجة أخرى يقولون:

أن اثنين من أفراد الجماعة قضيان بعض ساعاتهما في المنة واسلوة ، وأي
خير في ذلك على المجتمع حتى يتدخل فيها بينها ، إن المجتمع لا يرغب مجوز له
التدخل في أمرهم ، إن كان فيه ، كراه من جانب الآخر ، أو قصد أحدهما
فيه إلى الخديعة ، أو سبب قضية تخص مصلحة الجماعة . ولكنه إن لم
يكن هناك شيء من ذلك ، وانحصر الأمر بين شخصين في تمنع أحدهما
بالآخر ، لأي مبرر للمجتمع حتى يحول بينها ؟ وإن جاز التدخل في مثل
هذه الشؤون لذتية للناس ، لما الذي يبقى إذاً من معنى الحرية الشخصية .

هذا التصور للحرية الشخصية من جبهات القرن الثامن عشر والتاسع
عشر ، التي تنفتح ظلامها مع أول إشعاع من نور العلم والتحقيق . بقليل
من التأمل والتفكير قد يفهم المرء أن الحرية التي يطلبونها للأفراد ،
لا مبالغ لها في الحياة الجماعية . ومن شاء ذلك النوع من الحرية ، فليقصد
انقابات ورؤوس الجبال ويهش هناك هيش أو يد الحيوان . فإن الاحتياج
الإنساني عبارة عن تسيج من لملائق والروابط ، قد اشتبكت فيه حياة
كل فرد واحد بأفراد آخرين لا يحصون ، فتأثر بهم وتؤثر فيهم . ومع
مثل هذه الصلات الشائكة بين مختلف الأفراد ، لا يمكن أن يمد أي فعل
من أعمال الإنسان فعلاً شخصياً وفردياً محضاً ولا يكاد يتصور عمل شخصي
لا تعود آثاره في جعلها إلى الجماعة ، بل ليس من خاطر يحظر بالتأ . ومع
عنك أعمال الأعضاء والجوارح - إلا يؤثر في أنفسهم ، وينعكس منها إلى
غيرها فيؤثر فيهم . وكذلك ليست حركة من حركات أجسامنا وقوتها
إلا وتتقل منها نتائجها ، ونمتد إلى حيث لا يبلغ علمنا . وإذا كان الأمر

كذلك ، فكيف يجوز القول بأن استعمال أحد من الأفراد قوته لا يؤثر إلا في نفسه ، ولا يتعلق في شيء غيره ، ولذلك ينبغي أن يكون حراً في أمره . وإن كان أحد لا يؤذن له في أن يأخذ يده عماء ويمشي في السوق يديرها فكيف يشاء ، أو يحرك قدميه وبلج على الناس المنارل والبيوت على هواء ، ويسوق سيارته في الزحام بين حيطه أو حذر ، أو يجمع في بيته كل ماشاء من وسخ أو فئير يقول إن كانت هذه وأمثالها من تصرفات المرء الشخصية ، يجب أن يقيد بالضوابط الاجتماعية ، لها وال قوته الجنسية وحدها أن تصرف بالاطلاق من كلى قيد أو ضابط اجتماعي ، فيباح للرجل أن يستعملها كيف يريد .

أما القول بأن اللذة التي يتمتع بها الرجل والمرأة في مكان متوارى عن الأنظار ، لا يكون لها من تأثير في الحياة الاجتماعية ، فن جهل الأحداث لأمرها . انطق أن أثرها لا ينحصر في المجتمع الذي ينتميان إليه لحسب ، بل يمتد إلى الإنسانية جمعاء ، ولا تقتصر آثارها السببة على الجيل الحاضر وحده ، بل تمتد إلى الأجيال القادمة . فإن ارباطة الاجتماعية والممرانية التي قد ارتبطت بها الإنسانية برمتها ، لا يشق عنها أي مرد من الأفراد ، وفي أي حال كان ، وفي أي خلد من احتجب . إنه يكون مرتبطاً بحياة الجماعة وهو من وراء الجند وداخل الأيوان المختلفة ، كما يكون مرتبطاً في راحة السوق وفي حفل المجتمع . إنه وقت ما يكون مختلفاً في خلوة بضيق قوة توليده في لذة عريضة هيم ، يكون في الحق عاملاً لاشاعة افوضى في الحياة الاجتماعية وتضييع حق التوج

الإنساني وإبراز الجماعة مالا يحصى من المصارف المادية والتمهيدية . وإياه
 الأثرته وأثابته هذه يفت في ساعد جميع النظم والمؤسسات التي قد انتفع
 بها من حيث هو فرد من أفراد الجماعة ، ولكن أي أن يقوم بتعبئه من
 العمل بقيامها وبفائها . إن الجماعة قد أقامت جميع المؤسسات من البلدية
 إلى الدولة ومن المدرسة إلى الجامعة ، ومن المصانع إلى مجالس التحقيق
 العلمي ، مستندة على أن كل من ينتفع بها من أفرادها سيؤدي نصيبه
 المعروض في إحكامها ورفقيتها ، ولكنه لما جاء هذا الخائن القدر لم يستعمل
 قوته الجنسية بحيث لم يقصد بها القيام بواجبات التوليد والتناسل وتربية
 الأولاد ، فكانه قطع على جذع ما نواه - دابر - ذلك النظام بضربة واحدة
 وفسخ ذلك المقعد الاجتماعي الذي كان مشتركاً فيه باعتبار إنسانيته عينها ،
 وحاول بذلك أن يلقى عيأه على غيره بدلاً أن يهض به نفسه . فلم يكن
 إلا من كرام الناس ، بل هو خائن متلصص تمكبا ، والتساح في أمره
 ظلم الانسانية جمعا .

إن مكانة الفرد في المجتمع ، إن فهمت حقيقة جنس الفهم ، لم تشك
 في أن كل قوة من القوى ، أودعتها أجسامنا وهوسنا ، ليست لأنفسنا
 وحدنا ، بل هي ودیعة للانسانية جموعا . ونحن مشغولون في هذه
 بين يديها . فمن حين نهلك نفوسنا أو نصيب قوة من قواها ، أو نضر
 بأنفسنا من سيئات أعمالنا ، لا يكون فعلنا هذا فعل من أفعال أمراً كان
 يهلكه ، أو أضر به كان له التصرف فيه ، بل يكون ذلك منا عناية
 خيانية في ما ائتمنت عليه فسلم الانساني أجمع ، وإضرار النوع الانساني

برمته، وذلك أن وجودنا في هذا العالم يشهد نفسه بأن غيرنا تحملوا أعباء
 التبعات والمشاق، فأخرجونا من ظلمت ليلهم إلى نور الوجود. ثم جاء
 نظام الدولة برعاها وبصون نفوسنا من التلف، وبقيت أقسام حكومتنا
 الصحية تعمل لحفظ حياتنا وصحة أبداننا. ثم توفرت آلات مؤلفة من
 النفوس على تهيئة حاجتنا، ولوازم حياتنا، وناملت جميع المؤسسات
 الاجتماعية لتقضي قوائنا وتربي ملكاتنا حتى جئنا على ما نحن عليه الآن.
 أمّن جزاء الحسنة بالحسنة أو من السوء والتقصير أن تعود فتضيق تلك
 القوى التي قام غيرها بكل هذه الخدمة لأجل إيجادها وإبقائها وتنشئتها
 وإعانتها، أو نجعلها مضرّة بالإنسانية بدل أن نجعلها نعمة لا حل هذا
 قد حرّم الانتحار، ولهذا السبب قال أعظم الحكماء: إن ناسكح اليد
 ملعون. ولهذا قرّرت سؤاة قوم لوط من أعظم الجرائم. ثم هذه العلة
 لا يعتبر الزنى أيضاً متهمة ومسلّة فردية، بل يمدّ ظمّاً للجماعة الإنسانية كلها.
 وهي بنا الآن تتأمل: كم من مشكلة اجتماعية تمتدّ إلى الزنا برّحم ماسة:
 ١- إن أول ما يجنيه الزاني من عمله هذا هو أنه يمرض نفسه بخطر
 الإصابة بالأمراض السرية القاتلة. وبذلك لا ينقص مما في قنواه من المنفعة
 العامة فحسب، بل يجرّ على الجماعة والنسل أيضاً ضرراً بالغاً. وإن
 مرض السيلان الذي هو أول ما يمتدّ به الفاجر، يقول فيه الأطباء:
 إن هذه القرحة في الإحليل قلما تئمل، ولا يخلص من أذاها إلا الإنسان
 إلا في النادر. ومن قول طبيب قطامي: «من أصيب بالسيلان مرة أصيب
 به للأبد». وهذه الماهة كثيراً ما تنقب الكبد والكلى والمثانة والمختين وغيرها

من الأعضاء ، وتسبب وجع المفاصل وأمرضاً أخرى ، كما أنهم قد تسبب
 المقيم الأبدى . ثم إن من الأمراض السرية عن نفس إلى آخره ، وأما
 مرض الزهري فمن منا لا يعلم أنه يستعم نظام الجسد كله ، ولا يبقى من
 قمة الرأس إلى أخمص القدم معصوم من أعضاء الجسد ، غير متأثر بسمومه
 وأذاه . وهذا المرض لا يبيد قسوى المرض وحده ، بل ينداء إلى من
 لا يخصص من النفوس الأخرى بطرق شتى ، ثم ينتقل من المريض إلى
 أولاده وأولاد أولاده ، يمانون أذاه بلا ذنب يجنون . والأولاد المسم
 النكم السعوي المجهنين ، هم من أهول ثمات ساعات لذمة القلائد تلك التي
 عدتها الابد الظالم أعز ما في حياته .

٢ - وإذا لم يكن حتماً ابتلاء كل رائي بالسر من سرية ، فمن
 اللارم المحتوم ابتلاءه بالسفاسف الخلقية التي تملأ بهذا الاثم بالضرورة
 فالوقاحة والحديسة والكذب والدغل والافتراء والخضوع للشهوات وجروح
 النفس ونشره الفكر وذو اقية الطبع وعظمه إلى كل جديد ، والقدر
 وقلة لوفاء كل أولئك من آثار الرد التي تترتب على أخلاق الزاني نفسه
 وما لاشت فيه أن من يجمع في نفسه هذه الخصال لا تقيس آثار
 سفاسف الخلقية في الشؤون الجنسية فحسب ، بل هو ينجس الجماعة بهذه
 الخصال لا غير في كل شعبة من شعب الحياة . وإن كانت هذه الخصال
 قد ربت ونمت في كثرة كائنة من أفراد الجماعة ، فلا جرم أن يفسد بها
 كل من الآداب والعلوم والفنون والملاهي والآداب والصناعات والمهن

والاجتماع والاقتصاد ، والسياسة والقضاء ، والخدمة العسكرية وتدير الدولة . ومن اللازم في النظام الديمقراطي خصوصاً ، أن يكون لكل صفة من صفات الأفراد أثر بارز في حياة الامة كلها . فإذا كانت أمة من الامة لا تشعف أفرادها بثبات في الطبع ، وكانت أكثر أجزاء تركيبها متجردة من خلال الوفاء والايثار وضبط شهوات ، فأنتى يكون في سياستها ثمر أو ثبات ؟

٣ - ولما نستلزمه إجابة اقربى أن يجري في المجتمع حركة البناء . وذلك أن من يقول بأن لرجل شاب حقاً في أن يتمتع نفسه بالذات الشباب فكأنه يقول مع ذلك بأن تكون في المجتمع لهذا الغرض طبقة من الافراد تكون في أسفل المذلل والمهانة بكل اعتبار . ولكن من أين تأتي أولئك النساء ؟ ألا يخرجن من هذا المجتمع الذي يبش فيه ؟ أو لا يكن من بناته هو وأخواته ؟ بل ، لابد أن تنفر من أولئك النساء اللاتي يجدر كل واحدة منهن بأن تكون ربّة بيت ومؤسسة عائلة ومربية اولاد ، طائفة إلى حي البقايا ، ليكن كمراديس البلدية موضع قضاء الوطر لكل خليع داهية وبشعة دن من جميع الخصال النسوية الشريفة ، ويندربن على اكتساب الفتيح والدلال ، ويسفن إلى أن يمس عيشتن وقلوبهن وأجسامهن ، ومحاسنهن ومعانيهن ، لكل زور جديد في كل ساعة ، ويتيقن مدّة أعمارهن أدّة لقضاء شهوات غيرهن ، بدلاً أن يقمن بخدمة نائمة مشروطة للمجتمع .

٤ - وإباحة الزنى لا جرم تضر بضابط النكاح التمدني ، بل يؤول
بها الامر إلى أن يزول النكاح ويبقى الزنى وحده . وذلك أنه يعود
الميتلون إلى الزنى سوجالاته - فلما يصلحون لأن يحيوا حياة زوجية
صالحة . لأن هذا السلوك السلي القاصد يثبت في قلوبهم من سوء
القدحلة وفجور الضر وفواقة الطبع وتشوش الفكر ، ويؤربثي فهم
من تولد المواعظ وعدم ضبط الشهوات ، وهو أفتل من السم لتلك
الصفات التي هي ضرورية للملاحة الزوجية الصحيحة بين الرجل والمرأة .
فهؤلاء إن ارتبطوا برابطة الزواج ، فلن تتحقق بين الزوجين منهم تلك
اصلة من حسن البسطة والمحبة والوفاء والثقة والاعتماد والمواصلة
والانسجام ، التي تلتج نلأ جيداً وثمنياً ميموراً بالراحة والسعادة .
ثم إن البيئة التي يكون فيها الزنى حيناً ميسوراً ، لا يمكن أن تقوم بها
طريقة النكاح الهيمية للتمدن ، إذ ما بال الذين يتيسر لهم فرض قضاء
الشهوات النفسية بدون أن يلزموا أنفسهم بتبعات ، يتحملون أعباء التبعات
ولواجبت بمرهم عقده النكاح .

٥ - وإباحة الزنى وترويجها لا يقطع دابر التمدن والمران فخصب
بل يستأصل التسلسل الانساني أيضاً ، فانه كما سبق أن أثبتناه ، لا يقصد
أحد من الاثنين - الرجل والمرأة - بملاقته الجنسية المخطقة أن يقوم
بخدمة التناسل وبقاء النوع .

٦ - ثم إن الزنى إن حصل منه للنوع الإنساني والمجتمع أولاد ،
وكام أولاد النفل ، وأيس من الصحيح ما يظنك بمعنى السفهاء من ك

مراعاة الحلة والحرمة في الانساب إلتفاتاً من بجرمة العاطفة . بل الحق ان قويد ولد عن زانية عدوان عظيم على الولد نفسه وعلى تمدن الإنسانى بأسره من وجوه عدة . أولها ، أنه يتعد حمل هذا الولد في رحيم أمه ساعة يكون بواه كلاهما تحت عبلة المواطن البهيمية الخالصة وان المواطن الانسانية الطاهرة التي تغمر الزوجين المتناكحين وقت اتصالهما الجنسي ، لا يمكن أن تتألط أبداً هذين الفاحرين المتساقطين ، لأنها لا يصل أحدهما بالآخر إلا هيبتان البهيمية المحضه في نفوسهما ، وتكون جميع اتصالات الانسانية ممطلة فيها وقتئذ . ومن هذا لارث وفد الزنية عن أبوه إلا خصائص الطبع البشري . ثم إن الولد الذي لا يأتي أبوه كشيء مطلوب محبوب ، بل يتزل فيها نزول النكبة المفاجئة ، والذي يفقد في أغلب الأحوال عطف الابوة ووسائلها ، ولا تيسر له الإزنية الأم القاصصة التي لا تذكرها تربية الاب ، وهذه التربية أيضاً ربما يتأطها الصجر والإعراض ، والذي لا يتمتع برعاية الاجداد والحذات والاخوال والاعمام ومن يلهم من ذوي القربى ، لا جرم أن ينشأ إنساناً ناقصاً غير قائم الانسانية ، فلا تتكون له سيرة صحيحة ، ولا تتجلى فيه كفاءات موهومة ، ولا تتوفر له وسائل التقدم والاجادة السلية ، فيكون في حد ذاته ناقصاً الانسانية ، تدم الوصيلة . فالقيد الجنسي والتمير ، منظومة مدحوراً ، ويكون لتمدن نكداً عقياً ، لا ينفع النفع الذي كان ينفعه لبناء لو ولد حلالاً .

ومن رأي 'حماة الإباحية' في قضاء الشهوات أنه يجب أن يكون هناك نظام قومي لتنشئة الأولاد وتعليمهم ، فيولد لهم الآباء والامهات باللاقات الجنسية المطلقة فيما بينهم ، ويكون للنظام القومي أن يربيهم ويؤهلهم لخدمة التمدن . وعرضهم من هذا ، لاقتراح توفير حرية لنساء والرجال وفرديتهم ، وتحقيق مقاصد التماسل و تربية الأولاد بدون تهديد شهواتهم النفسية بقيود الزواج . ولكن العجب أن الذين يحرصون هذا الحرص على فردية الجيل الحاضر ، هم يترحمون للجيل اللاحق نظاماً للتعليم القومي أو التربية لرحمة ، لا مجال فيه لنشأة الفردية وارتقاء الشخصية . بهذا النظام الذي سينشأ فيه ألوف مؤلفة من الأطفال على عرار واحد وطريقة واحدة ، لا يمكن أن تبرز فيه شخصيتهم الفردية ، بل هو أحري بأن يحدث بهم أكثر ما يكون من المشابهة والسوية المتعنتة . فيخرج الأولاد من هذا المركز البرجوي متماثلين كاسباقات الحديدية تخرج من مصنع . تتأمل مبلغ تصور هؤلاء السفهاء بشأن الإنسان من لذة والامعان . إنهم يريدون أن يخترجوا الاجيال الانسانية القادمة كتخريج أحذية (باتا) ، ولا يعلمون أن إعداد شخصية الطفل من ألطف الفنون وأدقها ، ولا يمكن أن يعالج إلا في مجال صلي صغير يكون فيه كل رستم منصرفاً بعنايته إلى صورة واحدة . وأما الممثل الذي يصور فيه العمال الأجراء ملايين من العنود المتشابهة المتماثلة ، فلا شك أن يضيع فيه هذا الفن ، بدل أن يوثقي ويتحسّن .

ثم إن هذا النظام الاجتماعي للتربية والتعليم ، لا بد أن يحتاج إلى عاملين أكفاء يقومون عن المجتمع بخدمة التربية وتنشئة الأولاد . وبما هو أيضاً أنه لا يصلح لهذه الخدمة من العاملين إلا الذين يتصفون بهم أنفسهم بضبط المواقف والاهواء والوقوف عند حدود الأخلاق . وإن لم يكونوا كذلك، لم يستطيعوا أن يرتوا النشء ويمرتهم على الالتزام "الخلقى" - فقل لى إذا : من أين سيأتىك أمثال هؤلاء العاملين المربين ؟ وإذا كنت لم تُرد هذا النظام الاجتماعى لتعليم والتربية إلا أن يُخلق سبيل الرجل والنساء لأن يقضوا شهواتهم من غير قيد ، وتكاد تحرقهم بذلك عن حصة الالتزام الخلقى وضبط الشهوات، فكيف بالله تتخذ منهم مسلمين ومربين للأخلاق؟ وأننى تجدد من جميع العميان نفر آمن البصراء ليظهروا الأجيال الناشئة سوك سبلهم بصون مسخرة .

٧ - وإن المرأة التى يزنى بها رجل أثبتى مفرض . ويُصيرها أمّاً لولد ، تغيب حياتها وتفسد الأبد ، ويتصب عليها وابل من الدماء والنبكة واملقت الدم ، لا ينقطع عنها ما دامت حية ، ولحل هذه المشكلة قد جاءت المبادئ الخلقية الجديدة تقترح بأن يساوى بين كل أنواع الامومة من حيث الكرامة والجزاء سواء أكانت عن فكاخ أو سفاح . فيقول أصحاب هذه المبادئ : إن مرتبة الامومة تعبد في كل حال بالشكر ، وإن الفتاة التى تأخذ على عاتقها مسؤولية الامومة لسذاجتها أو عدم حيلتها، من الظلم أن يلومها المجتمع ويعلن عليها . ولكن هذا الحل ... وإن هو

على الفاحرات فجورهن - آفة للمجتمع ونكبة عظيمة من حيث آثارها
المجموعية . وذلك أن المقت والزرارة ، الذي ينظر بها المجتمع إلى أم الولد
القتل ، هو بجانب سدا مانع لأفراد من ركوب المعاصي . والفجور ،
وبجانب آخر ، هو دليل على حياة الشهور الخلق في المجتمع نفسه . فلما
أن أم القتل ترفع إلى درجة أم المولود الشرعي ، فمناه زول التمييز بين
الحير والشر والبر والائتم والخطيئة والصواب في نقوس الخيانة ، وهب
الجماعة تدم هذا التمييز فعلا . قبل ينبغي ذلك في شيء عن ذلك
المشاكل التي توجه أم القتل ؟ إنكم قد نسألون بين الامومنين في نصرتكم
وآرائكم ، ولكن الفطرة لا تماوي بينهم بقاء ، وما ، في نفس الأمر ،
لا يمكن أن يستويا ، لأن مساواتها مما يخالف العقل ونطق الحقيقة
والانصاف . وكيف يمكن لعمر الله أن تستوي المرأتان : إحداهما حقة
علقتها غريزة الشهوة البهيمية فقلتها تستسلم لرجل مغرض ، لا يمكن ينوي
أن يتكفلها هي وولدها . والاخرى : كريمة ضبطت نفسها وكبحت
جناح عواطفها إلى أن وجدت رجلا شريفا مستعدا لتحمل تبعاتها ، أي
مقل يحكم على هاتين المرأتين حكما سويا ، وأنت إن شئت ، قد تجعل بينهما
مساواة ظاهرة متعينة ، ولكنك لن تستطيع أن تنهي هذه الخلفاء كل
تلك الكفامة والرعاية والشره المؤاسية والتعهد المزوج بالودة ، والتعقد
المفترق بالصبح ، وتمك لطمأينة والسكينة التي لا تنأى الا لذات الزوج .
ثم من أين نجد لذلك الطفل شفقة الوالد الموعظ الامام ومحبة الاجداد ؟
فصار الا أن تحمل الرجل على أداء النعمة . ولكن هذه النعمة هي كل

ما تحتاج اليه الام والولد في هذه الدنيا ، الحقيقة الواقعة التي لا تُنكر
اذاً ، هي ان المساواة بين الامومتين الشرعية وغير شرعية - مما ضمننت
للماجرات من العاطفة الظاهرة ، لا تمنحين من النتائج الطبيعية لمفهوم ،
ولا تلجى اولادهن من مضار ولادتهن في احضانهن .

ولقد الامهات كثر ، من الضرورات اللازمة لقيام الحياة الاجتماعية
ونشأتها ونموها على الخطط الصحيحة ، ان تمنح في الجاعة بوضوح العمل
الجنسي ، ولا يجوز لتسكين الفرائض الشهوانية إلا وجه واحد ، هو
الزواج . فان اعطاء الافراد حرية الزنى والفجشاء غزو في مساكنهم ،
وعدون على المجتمع ، بل هدم لكيانه . والمجتمع الذي يتهاون بهذا الامر
ويُخس عن الزنا زاعماً إياه شيئاً من باب الترفيه عن النفس وقضاء
الوقت في المتعة واللذة (Having a good Time) ويسامح في تزيين
اشل هنا وهناك بلا قيد (Sowing wild Oats) ، هو في الحقيقة
مجتمع جاهل ، لا يعرف حقوقه ، ومن ثم يبادي نفسه ، ولو انه يشعر
بحقوقه ويفطن الآثار السيئة التي تترتب على المصالح الاجتماعية من
جره إباحة الحرية الفردية في العلاقات الجنسية ، لتطوّر إليها كنظره
إلى السرقة والتلصص والقتل . بل هذه الإباحية في الفجشاء أشد من
اسرقة ، فإن السارق أو اللص أو القاتل لا يسلب إلا فرداً أو بضعة
أفراد من المجتمع ، ولكن الزاني يتدي على المجتمع بأسره وعلى احياله
القدسة أيضاً ، فهو يحون ملايين من الناس في آن واحد ، وعواقب

جريمته هذه أوسع وأعمق من جرم سائر المجرمين . ولما كانت من المسلم به وجوب كون قوة القانون من وراء المجتمع . لتأمينه ونحبيه من اعتداءات الافراد الصادرة عن أثرتهم وطمعهم ، وكانت السرقة والقتل والسلب والنهب والتزوير وما سواها من صور غصب الحقوق تعدّ لأجل ذلك من المحرم والمآثم ، فتسند فتنتها بقوة قانون العقوبات ، فلا مبرر إلا بمحفظ القانون المجتمع من مخرقات الزنى ، ولا يُعده هذا من المحرمات الملقب عليها .

ومن الظاهر اليقين أيضاً من حيث المبدأ والقاعدة أنه ما كان النكاح والسواح ليكون كلاهما جزءاً لنظام اجتماعي في آن واحد . وذلك أنه إن أبيع للمرأة أن يقضي شهوة نفسه بدون قبول التبعات ، فمن العيب تحرير ضابط النكاح لنفسه الفعلي ومثله كمثل أن يرخص للناس ركوب القطار بدون التذكرة ، ويوحّم عليهم في الوقت نفسه إحراز التذكرة للسفر فيه ، فإنه لا يليق بما قلر أن يفرض الطريقين كليهما في الوقت الواحد ، وما الوجه الصحيح في الأمر إلا أحد اثنين : إما يلغى شرط اشتياح التذاكر إنشاءً ، ويُجعل السفر بدونها مباحاً ، أو يُعزَم فيه على الناس هجر السفر بدون التذكرة جرميةً أبدأً ، كذلك اختبر لوجهين المتباينين في الحكم على النكاح والسفاح مملاً بسوءه العقوبة . فإن كانت ضابطه النكاح من لوازم التمدن كما أثبت آنفاً بالأدلة والبراهين . فمن اللازم مع ذلك أن يعدّ السفاح إثمًا وجرمة^(١) .

(١) من الوهم الصريح عند جس الوهم أن غنى في مقبل الشباب ، يجب أن يتاح =

ومن أبرز ما يمتاز به الجاهلية أنه لا يؤتمر بها إلا بما تكون نتائجه محدودة ملحوسة، وتمثل أمام السيون وشيكاً بصورة مرئية. وأما ما كانت نتائجه غير مدركة للعدل لكونها غمقى في الأثر وأربطاً في الظهور، فلا يلتقي إليه بال، بل هو يعدّ غير صالح للأثر لا كثراته له. ومن هذا استغلّاهم للسرعة وقتل والنهب. وتهاوّنهم بزنى والفحشاء. ومن الصعب حقاً أن المرء الذي يجمع في بيته حرّذاً الطاعون أو ينشر في الناس الأمراض السارية، لا يجدّه عدّ الجاهلية حقيقة بالغزو والمفردة أبداً، لأن فعلته تلك يتبيّن لهم جانب ضررها وفسادها. ولكن أثر في الذي يتأصل شأنه لأمدّك لأجل غرضه ومصلحته لا غير، الآن.

له جنس القوم لشكين شهواته بحجة أنه من الصعب على المرء في عهد الشباب مقاومة هيجان المواقف. وفي ثقافته له ضرر يصحبه. ولكن القديسات التي قد حيث عليها هذه النتائج كلها خاطئة. والله أن مثل هذه السورة الماطية الجديدة التي لا يمكن حلّتها، حالة غير معدلة (Abnormal) لأنفس القوم المعدلة (Normal) لا لوجود نظام عدل فاسد يلزم فهم نبر الشهوة بقايا. فكل ما يجد فيها حولاً في السبيل والصورة والموسيقى والآداب ومزاج النساء المتبرجات لرجال في كل مكان من هذا المجتمع المختلط. كل هذه الأسباب التي تحول النفوس المعتدلة عن اعتمادها في غريزة الشهوة. والأمن المحال المستبعد أن تهيج الشهوة في عامة الرجال والنساء في بيئة هادئة مستقلة، هيجاناً لا يمكن ضبطه بالزينة العقلية والحلقية والطردان اجتناب العمل الجنسي في عهد الشباب مظهر باضحة، ولذا ينبغي أن يزني المرء توفيراً لصحته، أي هو إلا منالطه للنفس وخداع للصبر المحتجب. إمعاً الواجب لحفظ الصحة وصوت الأخلاق أن مدّك هذا النظام الاجتماعي المتعرف، وذلك القاييس الزائفة للبش المهيء، التي قد حطت الكناخ صعباً والبقاج أمراً هيناً سهلاً.

مضارة عمود هذا لا تترى عياناً ولا تُحسَّ إحساساً ، بل هي ممَّا يُنقل
أو يُتصور ، يظنه الجاهلون موضع الإعذار والإساحة ، بل هم يكادون
لا يفهمون وجهة الخطأ في عمله ذلك. ولو أن اتعدن يكون أساسه العقل
والعلم بعبارة الأشياء ، بدلاً من الجاهلية ، لما اختير أهله مثل هذا
السلوك السليبي .

٤

التدابير المزمعة لمنع الفوضى

إن العمل الذي نتحقق ضروره بالتمدن ، لا يكفي في منعه ومبداً
بأنه أن يُعدَّ جريمة في قانون ويُقرَّر له حد أو عقوبة ، بل يجب أن
تُتخذ لذلك منه أربعة تدابير أخرى :

أولاً - تهذيب عقلية الافراد بالتربية والتدريب . ويُصلح من نفوسهم
إصلاحاً يسودون منه يُشكرون ذلك الفعل بأنفسهم فيمدونه بثمناً ، ويكفهم
شعورهم الخلقى نفسه عن ارتكابه .

ثانياً - يؤلَّب الرأي العام والأخلاق الجماعية على عداء ذلك الإنم
أو الجريمة إلى حدٍّ أن يصبح عامة الناس يتبرونه عاراً وبخزاً ، وينظرون
إلى مرتكبه بين القتل والزنا . وذلك لكي تمنح قوَّة الرأي العام
كلَّ من قصص تربيته أو ضعف فيه الوجدان الخلقى من ارتكاب
ذلك الإنم .

وقالنا - نجسم في نظام التمدن جميع الاسباب التي تعرض الأفراد على تلك الجريمة وترعبهم فيها - وأيضاً بنقضى فيه - بقدر الامكان - على الاسباب التي تضطرم اليها .

ورابعاً - يُقام في سبيل هذه الجريمة من الموانع والعقبات في الحياة المدنية ، ما لا يتيسر منه للفرد ارتكابها ، وإن تمثله وسمي فيه .

كل هذه التدابير الاربعة بما يشهد بصحته وضرورته المقتل ، وتصلبه الفطرة ، وبما تعمل به المجتمعات فعلا في جميع العالم وما من مجتمع أو نظام مدني إلا ويستخدم قليلا أو كثيراً من هذه التدابير الاربعة - علاوة على نظام العقوبات - لمنع الأفعال التي تقرر في قانونه جرائم ، وهذا كان من المعلوم المستقيم به أن فوضى العلاقات الجنسية مهلكة للتمدن ، وزيغ عظيم إلى المجتمع ولا غناص أيضاً من التسليم بأنه يلزم لتعاضد من الاقتدار أن تستخدم جميع التدابير الإصلاحية المأنة التي قد ذكرت آنفاً ، علاوة على تنفيذ العقوبات . فيجب العمل على تربية الأفراد ، ويجب حمل الرأي العام على عداة تلك الفوضى ومكافحتها ، ويجب تطوير التمدن من كل ما يلهب قلب الشبهة في الأفراد ، ويجب أخيراً أن تراعى عن النظام الاجتماعي تلك الموانع والعقبات التي يحول النكاح من أصعب الأمور ، وأن تُقيّد العلاقات الجنسية بين الصنفين بقبود تقوم في وجهها كالسد الحاجز ، إن هم ، ما لا يلى التعلق الجنسي المطلق . وما يكون لما قبله يعرف بكون الزنى إثماً وجريمة ، أن يُفكر ضرورة هذه التدابير ويمارس على استخدامها .

ومن لدس من يسلّمون كل تلك لبدىء الملقية والاجتماعية التي
قد قرّر الزنى بئها موجها . ولكنهم يصرون على أنه يدل أن يستخدم
لقمه قانون العقوبات والتدابير الوقائية يجب أن يكفى باتحاد التدابير
الإصلاحية حسب . فيقولون : إنه يجب أن يوفى في الناس من الشعور
الباطن : ويمت فيهم من قوة الضمير الخسب والوجدان الخلقى ما يتمتعون
به عن ارتكاب هذه الجريمة بأنفسهم . وأما اللجوء إلى قانون العقوبات
والتدابير الوقائية لأجل ذلك، بدل إصلاح النفوس، فمما معاملة لدس
كماملة الصذر الاعرار، بل هو خطأ من مكانة الإنسانية واستخفاف
بأمرها . ولنا أيضاً اسم بقولهم إلى حد أن لطريقة المثلل لإصلاح
الإنسانية هي التي يقترحونها، وإن الناية الحقيقية من التهذيب والتثقيف،
أن تبت في ضمائر الافراد، قوة تعجلهم يحترمون قوانين المجتمع بأنفسهم،
فيزعهم ضميرهم انفسهم، عن الخروج على قواعد الاخلاق . وهذا هو
الغرض من وراء كل تلك العناية البائنة التي تُعى بها الأمم لتعليم اطفالها
وتربيتهم . ولكننا سألهم : هل التهذيب والتربية عايتها تلك ؟ وهل هذبت
الافراد الإنسانية تهذيباً يمكن منه الآن أن يتم على ضماير كل
الاعتماد، ولم يمد من حجة إلى استخدام العقوبات أو التدابير الوقائية
لحفظ النظام الجماعي ؟ دعوا عن أنفسكم ذكر القرون الخوالي، فلها كانت في
وأبكم . أنتم المتجددين - عصوراً مظلمة . بل انظروا في هذا الصر الملتور
من القرن العشرين : وتأملوا به حالة أرق الدول الأوروبية والأميركية

واعلاها ثقافة وتهذيباً ، التي كل فرد من أفرادها متعلم ، وهي تنبأها بما
 يتجلى به أبنائها من التربية السامية ، هل مدح التعليم وإصلاح النفوس
 فيها ارتكاب الجرائم ونقض القانون ؟ ألا تحدث في تلك البلاد حوادث
 السرقة ، أو القسوة ؟ ألا تقتل هناك النفس الانسانية بغير حق ؟
 أو لا يرتكب الناس نفسى والحديدية واطم والاسناد ؟ وهل استغنت تلك
 الدول عن استخدام الشرطة وحاكم والسجون ونظام المحاسبة الاجتماعية ؟
 أو بلغ في أمر دم الشعوب بالنسبة الخلقية أنهم لا ياملون «معاملة الصغار
 الاعرار» ؟ لماذا لم يكن كل هذا من الواقع . ولم يكن أهل الغرب قد
 تمكنوا ، حتى في هذا العصر (المتنوير) ، أن يتركوا أمر نظام المجتمع
 وقانونه إلى الشعوب الخلقية في الأفراد ، ولما كانت الانسانية في هذا
 الزمان أيضاً لا تزال تراث وتامل «معاملة الصغار» باستخدام العقوبات
 والتدبير الوقائية لردعها من الجريمة ، لما بالكم تنرضون على إهانتها في
 أمر العلاقات الجنسية بحسب ؟ ولماذا هذا التجريح وهذا لالحاح الشديد
 على أن يعامل هؤلاء (الصغار) معاملة (الكبار) في هذه المسألة وحدها ؟
 ألا أارجعوا إلى هماركم وتجسسوها ، لعل فيها دجلة سودية .

ثم يقول هؤلاء : إن الاشياء التي تدونها محررات شهوانية وتريدون
 أن تقصوها عن دائرة التمدن ، كلها قوام الفن وروح التدقيق للجمال .
 فاصد عنها صدء عن معنى الطاعة وابهجة في الحياة الانسانية . لذلك مهد
 مشتم أن تقبلوه لقط التمدن وإصلاح الاحتياج ، فاصدوه على نحو لا يمس
 الفنون العظيمة والمذوق الجمالي . ونحن أيضاً نوافقهم على ان الفن والتذوق

الاجمال شيئا عاليا ، يجب ان يحافظ عليها ، بل يتقدم ويرتقى بها ، ولكن حياة المجتمع وصلاح الاجتماعي اعلى منها وتفس ولا يجوز ان يضحى هذين في سبيل فن من الفنون أو ذوق لايجل ، فإن كان يراد بالفن والمصور الخالي أن يتقدم ويرتقى مابضط لا ارتفاعها طريق بطريق بينها وبين الحياة والصلاح الاجتماعي الان الفن أو الذوق الخالي الذي يقضي إلى الهلكة بدل الحياة ، وإلى الفساد بدل الفلاح ، لا يمكن أن يترك ينمو وينتشر في محيط الجماعة . وإن قولنا هذا ليس برأي فردي أو نظرية مختلفة ، بل هو عين مابضطه العقل والقطرة ، وتتميز به الدنيا من حيث المبدأ ، ولا يزال يجري عليه العمل في جميع العلم بكل مايد في هذه الدنيا مهمة للحياة الاجتماعية ومحبة للفساد ، لا يمكن أبدا لأجل الفن أو الذوق الخالي . خذ مثلا لذلك أن الآداب التي تحض الناس على افئنة والفساد وتحفزهم على القتل والسلب ، لا تجوزها دولة من دول الأرض ، لها من الادبية والفنية . وإن الادب الذي يرتفع في عصر الاوشة والامراض لا تقضي عنه أية سلطة في هذه الدنيا . وإن السين أو المسرحية التي تحض الناس على البغي ونقض الامن ، لا تأذن برخصها حكومة من حكومات العالم . وأن الصور التي تجر عن زجاة الظلم والقساوة والخبث أو تنقض المادى الخلقية السم بها ، مما بلغت من كمال الفن ، لا ينظر اليها أي قانون حي ضمير اجتماعي يدين التقدير والاعجاب وكذلك فن البشع وإن كان من ألطف افنون وأرقادي خفة اليد وبراعتها ، لا يرضى له أحد أن ينمو وينتشر . ومثله شناعة زوهر الصكوك والشيكات والاوراق المالية ، وإياها

أيضاً تتطلب فطنة قادرة وبراعة عجيبة ؛ ولكن لا يستحيز أحد رقة هذا الفن . ثم هناك الفن والدجل الذي قد أتى فيه القدران الانسانيان المحجب المعجز من قوة اختراعه ، ولكنه ليس من مجتمع مهذب ينظر الى تلك المحجبات بين الرضا والتقدير وإدراك من المسلم اعترافه بأن حياة الجماعة وأمنها وفلاحها ومصالحها أغلى ، وأثمن من كل فن لطيف وكل ذوق في التجال أو الكمال ، ولا يجوز أن يضحي بكل ذلك لأجل فن من الفنون وأما الامر الذي فيه الاختلاف فهو أننا نجد شيئاً من الاشياء مضر بالجماعة وفلاحها ، ولا يمدد كذلك غيرنا . ولو ان وجهة نظرم توافى وحيثما في هذا الامر ، فلا جرم أن يشعروا بضرورة تقييد الفن ودوف الجمل بتلك القيود التي تستلزمها نحن .

ومن قولهم ايضاً : إن ضرب الحب والخواجر بين افراد الحسين ، لمنع العلاقات الجنسية المطلقة بينهم ووضع السدود دون اختلاطها الحر في الاجتماع ، هو في الحقيقة تحاشل على سيرتهم وأخلاقهم ، إذ يؤخذ من ذلك أنه قد قرض كل واحد من أحدهم فاجراً أو داهياً ، وأن واسمي هذه القيود لا يتفقون بنسائهم ولا يرجعهم . اعتراض قوي ولا شك ؛ ولكن ما بالك تقف بهذا الاعتراض عند هذا الحد ، ولا تتوسع به إلى مساواة من شؤون الحياة ، حتى يقال : وكل فن قد يوضح على أساس كآته إعلان لكون ما كنه قد قرض كل أهل هذه الدنيا لصوحاً . وأن وجود كل شيرطي في البلاد دليل على أن الحكومة تمتثل جميع رعاياها أشراراً

خَبِيثًا . وكل ما يُستَكَب من حِكِّ عند المعاملة فهو حجة على كَوْن
أحد الفريقين قد عدَّ الآخر خائناً ، وأن كل ما يُتَّخَذ من التدابير
الوقائية لسدِّ الجرائم ، فإن وجوده في نفسه برهان على أن كل من يشلِّم
نطاق هذا التدبير قد قرَّضوا مجرمين على الاحتمال . إن هذا النحو من
الاستدلال يجعلك في كل آنٍ مشاركاً أو سائلاً أو فاجراً متهمًا ، ولكنه
لا ينصُّ شيئاً من كرامتك وعزَّة نفسك . فليدب شعري لسأذا يرقَّ
شمورك للمنِّ . ولكرامة كل هذه الرقة في أمر العلاقات الجنسية وحدها ؛
إنَّ الحقيقة الواقعة التي قد أشرنا إليها آنفاً ، هي أن الذين لا يزال في
أذهانهم آثار من التصوُّرات الخفية لثيقة ، لا يرغب يُشكرون أذن
والموضي الجنسية ، ولكنه لا يبلغ فيهم ذلك الإنكار مبداً بشعرهم
ضرورة منها وسدَّ بابها بالمرء . ولذلك تختلف وجهة نظرهم عن وجهة
فطرنا في باب التدابير التي يجب أن تُتَّخَذ للإصلاح لحسم أسباب تلك
السببة . ولو أنهم تمكَّشوا عليهم حتَّى حقَّقوا الفطرة ، يتعلموا لوضع هذا
الأمر ووجهه الصحيح ، لا تنفقوا معنا على أن الإنسان مادام إنساناً وما بقي
فيه عنصر الحيوانية ، فلا يمكن لأي تمدنٍ يؤثر ملاح الحياة الجماعية على
أهواء الأفراد وشهواتهم ، أن يفقد عن تلك التدابير ويقعثر في أمرها .



الوجه الصحيح للعلاقة بين الزوجين

إن من لوازم التمدن الصالح ، بعد تشكيل الأسرة وسدَّ باب الموضي

الجنسية أن يقرر الوضع الصحيح لملاقة ما بين الرجل والمرأة وتأمين حقوقهما بأعدل و نصفه، وتقسيم بينهما الثروات والتواجبات بالقسط، وتحدد لها المراتب والوظائف في نظام الأسرة على نحو لا يحد بالتوارث والاعتدال. هذه المسألة أصبحت مسائل التمدن وأكثرها إغصاناً، ولكن الإنسان قد أخفق في حل عقدها عالياً.

هناك أمم قد جعلت المرأة قوة على الرجل، ولكنها لا يسمي أمة من تلك الأمم، بلغت درجة عالية في التمدن والحضارة، ولا ترى في سجل التاريخ على الأهل أمة وكلت أمرها إلى المرأة، ثم نالت القوة والعزة بين أمم العلم، أو جاءت بجائزة تذكر في التاريخ.

أما معظم أمم الأرض فقد جعلت الرجل هو القوة على المرأة. ولكن هذا التفضيل للرجل رتبها تحول إلى الظلم، بحيث اتخذت المرأة أمة، وسميت الإهانة والخنس، وحيرت بكل أنواع الحقوق الاقتصادية وتمدنية، ووضع في الأسرة مقام الخادم، وأداة قضائه الشهوة المرجح. ولئن عطفوا على طبيعة من النساء خارج الأسرة والبيت، وحلواهن بجني العلم والثقافة، فليكن يفتن بطلاب الرجال الجنسية بطرق أشبه وألذ، ويكن لهم لذة سامع موسيقاهن، وسهجة النواظر برقصهن ودلالهن، ومتمتع الأجساد براعتهم الجنسية ومفاتنهن. وكان ذلك من أوضح ما أبدعته أهواء الرجال من أساليب إهانة المرأة وتحقيرها، وإن الأمم التي جرت على هذه الطريقة لم تسلم بنفسها من مضارها.

على أن التمدن التربي الحديث قد اختار لنفسه طريقاً ثالثاً ، هو طريق المساواة بين المرأة والرجل . وذلك أن النظم الواجبات بين الجنسين على السواء ، وتكون من نوع واحد تقريباً ، فيصار بها في دائرة عمل واحدة ويكسب كل منها عيشه بيده ويكفر حاجاته بنفسه . ويمكن هذه الصيغة من تنظيم الاجتماع لم تتكفل بعد . لأن أفضلية الرجل وتفوقه على المصنف المقابل لا يزال بجلياً بارزاً حتى الآن . ولم تبلغ المرأة مبلغ الرجل في أي شعبة من شعب الحياة ، ولم يحصل لها بعد جميع الحقوق التي يجب أن تكون لها بحسب قاعدة المساواة الكاملة . على أن الحجاب الذي قد تم وكمل من هذه المساواة ، فقد أخذ يدخل لفساد على التمدن ، منذ الآن . وقد سبق أن ذكرنا نتائجها في الأبواب الماضية ، فلا نحتاج إلى مزيد من التعقيب عليه في هذا المقام .

كل هذه الأنواع الثلاثة للتمدن ، يخلو من لئيل والتعاسف والازدراء ، لأنه قد قصر في فهم هداية لعمارة ، وفي اختيار السلوك لعملي وفقاً لها وبموجبها . وإليك إن تأملت الأمر بالفكر السليم ، تبيّن أن الفطرة نفسها قد دلت على الحل الصحيح لثلاث المسائل ، بل هي الفطرة التي قد صاغت المرأة بقوتها القاهرة عن أن تسقط في منزلتها إلى الدرك الأسفل الذي أرادته الرجال لها ، أو تسمو فيها إلى الطياء التي أراقتها لنفسها أو حاول الرجال أن يرفعوها إليها . وقسمت خنثار الإنسان جانبي الأفراط والتعريط بتأثير عقله الخاطئ ، وتصوراته الزائفة الصائفة . ولكن الفطرة

لا تريد إلا العدل والناسب ، وهي تهدى الانسان بنفسها إلى ذلك السبيل .
 مما لا ينكره أحد أن الرجل والمرأة من حيث انسانيتهما على حد
 سواء . - فيما شطران متساويان لنوع الانساني ، مشتركان بالسوية في تعبير
 التمدن وتأسيس الحضارة وخدمة الانسانية . وكلما الصنفين قد أوتي
 القلب والذهن والعقل والمواطف والرغبات والحواس البشرية . وكل
 منها يحتاج إلى تهذيب النفس وتنقيف العقل وتربية الذهن وتنشئة الفكرة
 لصالح التمدن وبصلاحه ، حتى يقوم كل منها بتسييه من خدمة التمدن .
 فالقول بالمساواة بين الصنفين من هذه الجهة صواب لا غبار عليه . ومن
 واجب كل تمدن صالح ان يعنى بالنساء عنايته بالرجال في إبتنائهن
 فرص الترقى والتقدم وفقاً لمواهبهن وكفاءتهن النظرية . فيحطين
 بالعلم والتربية العالية ، وينمحن من الحقوق المدنية والاقتصادية
 مثل ما يمنحه الرجال ، ويتزفن في الهيئة الاجتماعية منزلة العز
 والكرامة ، حتى ينشأ فيهن الشموو بعزة النفس . فيتحلين بتلك
 الصفات الانسانية العاضة التي لا يبعثها في الانسان إلا هذا الشموو .
 فالأمم التي أبنت مثل هذه المساواة بين الصنفين وتركبت لساء هذه
 جاهلات مهينات غير مثقفات بالتربية وعمرومات من جميع حقوق
 المدنية ، فقد انحطت بنفسها في حضيض الذلة والهوان ، وذلك لان
 إسقاط شطر كامل من شطري الانسانية معناه إسقاط الانسانية
 نفسها . ولا يمكن أبداً أن ينشأ من أحضان الامهات المهينات أبناء شرف

وكرامة ، ومن أعطاف الجاهلات غير المثقات أصحاب تربية وثقافة
ومن مهود البليدات العاميات الفكور رجال تفكير وشعور عال.

على أن الجانب الآخر من هذه المساواة هو أن تكون دائرة عمل
الرجل والمرأة واحدة ، يقوم الجنسك بالعمل من النوع الواحد ، وتقسم
بينهم واجبت جميع شعب الحياة بسوية وتكون مندرجها في نظام التمدين
مماثلة ، والذين يقولون بهذه المساواة ويدعون لها يحتجون لهذه لطرية
بشواهد العلوم التجريبية وتجاربهم فيثبتون بها أن الرجل والمرأة متساويان
(Equipotential) في قوتهم ومقدرةهما الجسدية . ولكن كونها
متساويين في ذلك لا يكفي في الحكم بالمتساوية لقطرة أيضاً هو امتداد منها
لاعمل من النوع الواحد . ولا يصح أن يرى هذا الرأي ، مالم يثبت أنها
متماثلان أيضاً في نظامها الجسدي وقد كلفتها القطرة نوعاً واحداً من
الخدمات ، وأنها متماثلان كذلك في خصائصها النفسية . أما التحقيق
العلمي الذي قد قام به الانسان إلى هذا اليوم فينتفي ويبطل كل
هذه الامور الثلاثة .

شهادة علم الأحياء

هذا علم الأحياء (Biology) قد أثبتت بحوثه وتحقيقاته أن المرأة تختلف عن الرجل في كل شيء من الصورة والسمت والأعضاء الخارجية إلى ذرات الجسم والجواهر الحيولية (البروتينية) خلاياه النسيجية (Protein Molecules - of Tissue Cells) فمن لدن حصول التكوين الجنسي (Sex Formation) في الجنين ، يرقى التركيب الجسدي في الصنمين في صورة مختلفة . فيكل المرأة وطام جسمها يركب كله تركيباً مستعداً له ولادة الولد وتربيته . ومن التكوين البدائي في الرحم إلى سن البلوغ ، ينمو جسم المرأة وينشأ تشكيل ذلك الاستعداد فيها . وهذا هو الذي يحدد لها طريقها في أيامها المستقبلية .

ومع بلوغها سنّ الشباب يبروها الحيض ، الذي تتأثر به أفعال كل أعضائها وجوارحها ، وتدل مشاهدات أساطين علمي الأحياء والتشريح على أن المرأة تطرأ عليها في هذه حيفتها التغيرات الآتية :

١ - تقلّ في جسمها قوة إمساك الحرارة ، ويزداد خروج الحرارة منه ، وتنخفض درجتها فيه .

- ٢ - ويعطى النقص وينقص ضغط الدم ويقل عدد خلاياه .
 - ٣ - وتصاب الغدة الصماء (Endocrines) والغزائ (Tonsils) والغدة اللمفاوية (Lymphatic glands) أيضاً بالتغير .
 - ٤ - وينقص الاستقلاب الهوليئي (protein Metabolism)
 - ٥ - ويقل إخراج أملاح لفسفات والكلوريد من الجسم ويختل الاستقلاب اشرزي (Caeous Metabolism)
 - ٦ - ويختل الهضم ، ويقل لتعام الشحم والاجزاء الهوليئية في لنا كولات مع أجزاء الجسم .
 - ٧ - وتنصف قوة التنفس وتصاب آلات العطق بتغيرات خاصة .
 - ٨ - ويقلد الحس وتكامل الاعضاء .
 - ٩ - وتنصف الفطنة والذكاء وقوة تركيز الامكار .
- وكل هذه التغيرات تؤدى في المرأة الصحيحة إلى حالة المرض إداة^{٢٢} يستحيل منه التمييز بين صحتها ومرضها . وفي مائة من النساء الحوائص لا تحيض إلا ثلاث وعشرون بلاوجع أو ألم . وبحث الباحثون فوات مرة في أحوال ١٠٣ امرأة عنوا الانتخاب ، فوجدوا أن ٧٤ في المائة منهن كن يعاسين الوجع وغيره من متروف الأذى أيام حيضهن . ويكتب الطبيب أمين نووك الذي هو محقق كبير في هذا الفرع من العلم :

وإن ما يُمهد في الحوائض عامة من الأمراض هي: الصداع والتصبب والخلج^(١) وضعف الأعصاب وتخلُّف المزاج واضطراب المثانة وسوء الهضم، والإمساك أحياناً، والفتيان وتموضع في بعض الحالات. وهناك نساء لا يستبان بعدد من يحسن في مدورهن وجسا خفيفاً، يشتد أحياناً فيشعرن به بضربات عنيفة. وفي بعضهن تنورم الغدة الدرقية في هذه الأيام، مما يسبب فيهن البُحَّة^(٢). وكثيراً ما يمتصن يتورم الهضم وتجد التنفس. ودلَّ الفحص الطبي الذي قام به الطبيب كرمو في عدد من النساء، أن كان نصفين يتعللن بسوء الهضم في أيام الحيض، وبالإمساك في أواخرها. ويقول الطبيب جب هارد: قلَّ من النساء من لا تمتلئ بيلة في الحاض، ووجدنا أكثرهن يشتكين الصداع والتصبب والوجع تحت الشرة وقلة الشهوة للطعام، ويصبحن شربسات الطباخ مائلات إلى البكاء. فنظراً لهذه الموارض كلها يصح القول: إن المرأة في محاضها تكون في الحلق مريضة. وبشبهها هذا المرض مرَّة في كل شهر وهذه التغيرات في جسم المرأة تؤثر لا محالة في قواها الذهنية وفي أمدك أعضائها. ففي سنة ١٩٠٩ م استنسخ الطبيب فواستشفسكي (Voiceshevsky) من مشاهداته الدقيقة أن المرأة تضمحل في قوة الجهد العقلي والتركيز الفكري أيام الحيض. واستخرج كذلك الاستناد

(١) الخلج: أن يفتكي المرء عظامه من طون عيب أو مقي.

(٢) البُحَّة: جحونة وغلظ في المروت.

كرشي سكفسكي (Krschnekevsky) من خبائراته النفسية أن المرأة
 يفتب فيها لمجموع المصبي في هذه الأيام ، ويولد الحس ويحتل ، ويضعف
 الاستعداد - وربما تعطل بامرة - لقبول الانطباعات المرئية ، حتى يضطرب
 في شعورها ما قد قرء فيه قبلاً من تلك الانطباعات المرئية ، كما يجعلها
 تتخلج حتى في أعمالها التي قد اعتادت في حياتها اليومية ، فتتل هذه المرأة
 إن كانت جارية في الترام ، أحضان في قطع التذاكر وارتبكت في عدد
 الكسور. وإن كانت سائقة سائق سيارتها ، بحذر بالموتعة ، وحارت عند
 كل منطف . وإن كانت سيدة كاتبة (Lady Typist) أخطأت في
 كتابتها الآلية وقوانن فيها . وفاتها الحرف على الرقعة منها ، ولم توفق
 في تركيب الجمل ، ولم تنصب الحرف المقصود بضربة أسبها . وإن كانت
 محمية طاقتها قوة حجاج وأخطأ فكرها وياتها في عرض قضيتها. وإن
 كانت قاضية ، تأثرت منكأ فها وقوة حكمها بهذه الحالة المرضية التي هي
 فيها . كذلك إن كانت الخائضة طيبة أسنان ، لم تشط في عملها ولم تجد
 آلاتها عند الطلب إلا بجهد منها . وإن كانت مننية ، فقدت محاسن لحنها
 ومقائص صوتها في أيامها تلك ، حتى إن الماهر في التلحين يعرف حالتها
 تلك بمجرد سمع لحنها . محصل القول أن الجهاز المصبي والذهبي في
 المرأة يسود في غالبه متراحياً غير منظم في هذه الأيام ، ولا تكون
 أعضاؤها تابعة لإرادتها تماماً ، بل تثبت من دخلها حركة اضطرابية تلك
 عليها إرادتها وتطل قوة حكمها واختيارها ، فتصدر منها الأفعال بغير

إرادة ، ولا يعود لها في أعمالها وتصرفاتها من حرية ، ولا هي تكون أهلاً للقيام بشئ أو مهمة .

ويكتب الأستاذ لابنسكي (Lapinsky) في كتابه : نشأة الشخصية في المرأة (The Development of Personality in Woman) أن مدة الحيض تحرم المرأة حريتها العملية ، فهي تكون في أثنائها تابعة لحركتها الاضطرابية ، وتقصر جداً قوة استعمال إرادتها للاقتداء على عمل أو تركه .

كل هذه التغيرات تحصل في امرأة سالمة ، وتتدرج فيها بسهولة إلى أن تكون مرضاً . وقد دون كثير من الحوادث التي تدل على أن المرأة في حالتها هذه تنكاد لتكون مجبونة ، تنور تأثرها لأدنى بذرة ، وترتكب لمخافات ووحشي الحركات . وليس من القريب الشاذ أن يفضي بها حصول الغضب حتى إلى الانتحار . يكتب الطبيب كراوت أينج (Krafft Ebing) : نشأ نجد في حياتنا اليومية أن النساء اللاتي يكن لهنات العريكة دمعات الأخلاق مستنح الأبدى ، تشير طباعهن بقتة من فور دخولهن في أيام الحيض ، وكأن هذه الأيام تمر بهن كمر السيف الزعرج يصعبن فيه متفجرات سلطات اللسان شديدت الغلصام ، يشكو سوء خلقهن كل من الخدم والأولاد والأرواح ، حتى الأجلب أيضاً لا يسلطون من سوء سامتين . وقد نهي البحث والتدقيق بأخرين من ذوي هذا الفن ، إلى أن معظم المراثم التي ترتكبها النساء يرتكبنها في حالة الحيض ، لأنهن لا يكن فيها تابعت لإرادتهن . ولا يستفيد من امرأة معروفة بالصلاح

أن ترتكب السرقة - مثلاً - في هذه الأيام ، ثم تقدم على فعلتها
حيث يدوي كتب الطبيب وينبرج (Weinberg) مستنداً إلى مشاهداته ،
إن الجنين في المائة من المشجرات التي نجحت أحوالهن ، كن قد
ارتكبن الجريمة في أيام الحيض . فيرى هذا الطبيب لذلك أن من الواجب
على المحاكم حين ترمي إليها قضايا النسوة الراحقات أن ترى وتثبت فيما
الحل إحداهن قد اقترعت الجريمة وهي حائض !

وأشدُّ على المرأة من مدة الحيض ، زمان الحمل . يكتب الطبيب
ريبريف (Reprev) : ربما كان خروج المضائات من جسم المرأة في
زمان حمل أملاً ، كما يكون في حالة العاقبة والمنسبة فلا تستطيع قولها في
هذا الزمان أن تنحصر من مشقة لجهد بدني والعقل ، ما تحصله في
عملة الأحوال . وإن عوارض الحمل إن عرضت لوجس أو امرأة غير
حامل ، لحكم عليه أو عليها بالمرض بدون شك . ففي هذه المدة يبقى
مجموعه العصبي مختلفاً على أشهر متعددة ، وبضطرب فيما الأثران الذهني
وتسود جميع عناصرها الروحية في حالة فوضى دائمة . وهي في أثناء ذلك
بين الصحة والمرض . وبكفي أدنى الأسباب في دمجها إلى المرض . ويقول
الطبيب هنر : إنه لا تسم حتى المرأة الصحيحة من الاضطراب الشديد
في زمان الحمل ، فتصاب في مزاجها بالتلون وفي أفكارها بالتشوش وفي
عقلها بالسرود . وتتخلف فيها ملكات الشعور والتفكير والتأمل والفهم
والاعتقل . ومما اتفق عليه هيولالك أيلس وألبرت مول وسواهما من
الاخصائيين : أن الشهر الأخير من أشهر الحمل لا يصح فيها البتة أن
تشكف امرأة جهداً بدنياً أو عقلياً .

أما عقب وضع الحمل فتكون المرأة مريضةً لأمراض متعددة تمر بها وتندو فيها . إذ تكون جروح نفسها مستتمة أبداً للتشميم . وتصحح أعضاؤها الجنسية في سرقة لتقلعها إلى حالتها الأصلية قبل الحمل . مما يحتل به نظام جسمها كله ، ويستغرق بضعة أسابيع في عودته إلى نصابه ، حتى وإن لم يعرض له في أثناء ذلك خطر . وكذلك تبقى المرأة مريضةً أو شبه مريضة مدة ستة أسابيع كاملة بعد قرار الحمل ، ولو بد قوة عملها نصف ما تكون في عامة الأحوال أو أقل منه .

ثم هناك مدة الرضاع التي لا تحيا المرأة فيها لنفسها . بل للودينة التي تستودعها الفطرة لإياها . فتتحول خلاصة جسمها إلى لبنٍ صائغٍ للولد . ومعنى الغذاء الذي تأكله ، لا يتكحل جسمها إلا باللبنة وأما سائر ما يجصرف في إزالة اللبن في صدرها . وتضيق الرضاع أيضاً يكون على المرأة أثر تنصرف عنايتها كلها إلى احتضان الولد وتربيته حقبة طويلة من الزمن . وقد حلوا مسألة الرضاع أخيراً باستبدال الأغذية الخارجية للطفل بآمن أمه ولكنه ليس بحلٍ مهيمن . إذ أنه لا عوض في هذه الدنيا للغذاء الذي قد وضته الفطرة للطفل في ثدي أمه ، وقد تفق الاختصاصيون على أنه ليس كل من الأم غذاء للطفل لنشأته الصحية فحاله منه لا شك ظلم وأثره بمقوثة . ثم إنهم قد اقترحوا لتربية الأولاد أيضاً دوراً للحضانة والتربية ، لكي تكفي الأمهات مؤتمتها ، فيفرض مشاغل خارج البيت . ولكن من غير الممكن أبداً أن يبدأ أن يربى الطفل الحنان الأموي في دار حضانة أو تربية للأطفال . وما كان لينشأ في قلوب المربيات ظمأ جوراً ذلك الحب والحنان ورقة الساطفة ، التي تتطلبها الطفولة وتتفر

الها في أوائل عهدها . وهذه الطرق لخدمة لتربية لأولاد لم تجرب
بعد تجربة كاملة ، إذ لم تخرج بعد الاجيال الناشئة من تلك المعامل
الجديدة للتربية ، ولم تظهر الدنيا على طباعهم وأخلاقهم وسلوكهم السلي ،
حتى يحكم على هذه التجربة الجديدة بالنجاح أو الفشل . ومن ثم لم يش
بعد لأصحابها أن يدعوا كونهم قد وجدوا في هذه الطرق الجديدة بدلا
صحيحا لمطبعة الأمومة ولا يزال من الحقيقة القاسية أن مشوي التربية
القطرية للولك هو حضن أمه ليس غير ،

ومن هذا البيان نستطيع أن نفهم كل شيء عقول سليم ، أن الرجل
والمرأة ، وإن فرض أنها متكافئان في القوة الجسدية والاستعداد الذهني ،
فلم تحمل الفطرة عليهما مع ذلك ، واجبات متساوية ، وذلك أن الرجل لم
يحمل عليه من خدمة بقاء النوع غير أن يلقى بذره في الحرب ، ثم يروح لسيده
حتى يمكن فيما يشاء من شعب الحياة . والمرأة - بخلاف ذلك - قد حُملت
معظم أعباء تلك الخدمة ، ولأنه فرض بهذه الأعباء هي تعد منذ تكون مضنة
حلم في بطن أمها ، ولهذا الفرض يقوم هيكلها الجسدي ، ولهذا - لا عبر -
تتأهب مدة شبابها وكهولتها فترات الحيض ، التي لا تدعها أهلا للقيام بقية
جسيمة أو مجهدة عقلي أو بدني ثلاثة أيام أو سبعة عشر من كل شهر .
ولهذا الفرض تنفسه تعاني المسكينة متاعب الحمل وما بعد الحمل طويلا سنة
كاملة تظل خلالها معلقة بين لصحة وأرض ، ثم لهذا كله قر عليها
سنة من الرضاغة ، تسقي فيها الزرع الانساني بدنها وثرويه من
يتبيع تدبيرها ، وتغضي بعد ذلك أعواما فوات مده ، في التربية الابتدائية
ولدها ، تحرم نفسها في أثنائها نومة الليل وراحة النهار ، وتؤثر الجيل

الآتي على راحتها ومتعتها وبهجتها ورغباتها وعلى كل ما يميز عليها . وإذا كان الواقع على ما وصفنا ، فافطر ماذا يقتضيه الإنصاف في أسرار المرأة ؟ هل من الانصاف اليها أن تطالب بالقيام بتلك الواجبات المعطلة التي لا يشاركها فيها الرجل بعبء ، ثم يحمل عليها فوق ذلك مثل ما يحمل على الرجل من واجبات التمدن ، التي قد أعفى هذا لأجل القيام بها عن جميع واجبات الفطرة ؟ فيعرض عليها أنت تتحمل كل تلك المصائب التي تتحسبها الفطرة ، ثم تخرج من البيت كالرجل الخافي مشقة التكسب ، وتكون مهم على قدم المساواة في القيام بأعمال السياسة والقضاء والصدقات والامن وتجارة والزراعة وإقامة الأمن والدفاع عن حوزة الوطن . وليس هذا لحسب ، بل يكون عليها بعد ذلك أن ترضى الخداع والنواصي ، فتجتمع الرجل بمرأته حالها وأقربها وتبني لهم أسباب الخلاعة والمجون والذلة والفساد ، أما واقعها فإنه ليس من الانصاف ، بل هو عين الظلم والعدوان وليس بمساواة بين الصنفين ، بل هو عبث صريح بالمساواة . وإنما الذي يقتضيه الانصاف ، هو أن الصنف الذي قد كلفته الفطرة أعباء جساماً ، لا يكلف من أعمال التمدن إلا ما هو خفيف الماحل ، وأن الذي لم تكلفه الفطرة بشيء عظيم ، يحمل عليه من واجبات التمدن ما هو أهم وأثقل وأدعى للجهد والتعب ، ويكون أيضاً قوَّاماً على الامرة برعاها وبربيها .

وليس تكليف المرأة بالواجبات الخارجية ظالماً لها لحسب ، بل حقيقة أنها ليست أهلاً لكل الأهلية للقيام بواجبات الرجال ، وإنما ينهض بها من الساعين من كانت قوة عملهم ثابتة لا تتغير ، وكانوا يستطيعون أن يؤدوا

واجباتهم بمقدرة سواء على القوام ، وكانت قوام لسقية والجسدية مما
يوثق به ويضمد عليه . وأما من كن مريضة في كل شهر لنويات الاذى
الذي يذهب كل قدرتهن وكفاءتهن ، أو يقفن منها جنداً ، وكانت
قوة عملهن في هبوط دون المستوى المطلوب مرة بعد أخرى ، وبهت أن
يستطعن النهوض بتلك الواجبات . ولقهن ذلك ثقل في خيالك جنداً أو
أسطولاً بصرياً من النساء ، يتزل مركبة ، وإذا رُبع الجنود كاد يتعطل
عن العمل لأذى المحاض ، وسدسها لا يستطيع الجهد والعمل اشق بسبب
الحمل ، وجانب غير قليل منه قد تزم القراش لآلام انفساس . فمدا ترى
هذا الجند يعمل في ميدان لقتال ، ولديك تفند هذا لثال بقولك : إن
خدمة المدافع والقتال لأريب أشق الخدمات ، ولا تقول إن المرأة لها
بكفء . ولكن قل لي بريك أي لأعمال من الشرطة والقضاء والإدارة
والسفرة والصناعة والمهنة والتجارة وأعمال سكك الحديد هيّن سهل
لا تستلزم قوته عمل ثابتة موثوقاً بها ؟ لذلك إن الذين يريدون أن
يقلدوا المرأة أعمال الرجال ، فكأنهم لا يريدون إلا إحدى ثلاث :
إما أن يعدلوا جميع النساء غير النساء فيقضوا على النوع قضاء ، أو
ينتقلوا جزءاً من طبقة الإناث في كل جيل ، فيجربوهن من طبيعة
الأنوثة ، أو يحصلوا من مستوى الجدارة والاهلية لمجيع شؤون
التمدن عامة :

ومما انتشرت من هذه الصور فلا شك في أن إعداد المرأة لوظائف
الرجال مما يناقض واسع الفطرة ومقتضاها ، ولا تفصح فيه للانسانية أو

للمرأة نفسها . ولأن المرأة قد خلقت لأجل الولادة والتربية بدلالة علم الحياة ، فقد حببتنا الفطرة في الناحية النفسية أيضاً تلك الملائكات التي هي ملائكة لوظيفتها تلك ، كالحب والحنان والرحمة والشفقة ورقة القلب وذكاء الحس ولطف العواطف . ثم لانه قد وضع الرجل في الحياة الجنسية موضع (العمل) ووضع المرأة موضع (الانفعال) فقد ركبت فيها - تالياً - تلك الصفات التي تعدها للعمل في جوانب الحياة الانفعالية . ففيها اللين والمرونة بدل الشدة والصلابة ، وفيها التأثير بدل التأثير ، والانفعال بدل الفعل ، وفيها الخضوع واستجابة بدل الثبات والمقاومة . وفيها الفرار والامتناع والإسجام بدل الجراءة والجسارة والإقدام . وهل يكون المخلوق المتصف بهذه الصفات أن يصلح للأعمال وينجح في دوائر الحياة التي تقتضي الشدة والتحكم وقوة المارضة وهذوء الأعصاب ، وتحتاج إلى قوة حكم عادلة رزينة ، بدل رقة قلب وسماحة عاطفة ، وإلى عزيم متصلب ورأي غير مجامل ، بدل قلب متطبل وسدر حان . . . ؟ ! الحق أن إقحام المرأة في مثل هذه الشعب لتمكين تضييع لها وتعرض لتلك الشعب نفسه للعصيان .

ثم إن قيم المرأة بذلك الاعمال ليس لها فيه ارتقاء ، بل هو مطقة هبوطها وسقوطها . إذ أن ارتقاء طبقة من الناس لا يكون بأن تنجح فيها المؤهلات الطبيعية ، وتستعاض منها على وجه التضيق ، مؤهلات أخرى لم تؤنها من قبل الفطرة ، بل ارتقاؤها في أن تستفي فيها المؤهلات الطبيعية وتهدب وتعتل ، وتتاح لها الفرص للعمل ، على أحسن وجه ممكن .

وليس المرأة في ذلك التصنع والتكلف نجاح أو فلاح ، بل هي أجدر فيه بالخلية والفشل . لأن جانبا من حائطي الحياة الانسانية يقوى فيه الرجال ويضعف النساء ، والخاص الآخر تقوى فيه النساء ويضعف الرجال فإذا أريد بالنساء أن يسايرن رجال في مضمار هن فيه أضعف منهم وأعجز فلا بد أن يؤدي ذلك إلى تأخر النساء عن الرجال وتخلفن وراءهم لأبد الأباد . وإذ كنت فيها حاولت واجتهدت ، فلن تجد من يصف الاناث لينة واحدة من أمثال أرسطو وابن سينا وكات وهيكل وشيكسبير والحيام والإسكندرية بلبيون وبسارك وصالح الدين الأيوبي ونظام الملك الطوسي ، كما أنه لا يمكن لرجال هذه الدنيا أجمعين - مهما احتلوا واجتهدوا أن يخرجوا من صنفهم أما واحدة من النمط البسيط .

وليس فيه منفعة لتعدن نفسه ، بل فيه له كبر الخسارة . لأن الحياة والحضارة الإنسانية حاجتها إلى اللطفة والشفقة والصلابة كمن حاجتها إلى الرقة واللين والمرونة ، واهتقارها إلى قواد البرعين والسيسة والادريين الحارمين كاهتقارها إلى الامهات المربيات والزوجات الوفيات والنساء الصنم المدرجات . فأيا واحدة من هاتين الطبقتين أسقطتها ومهملتها جرت على التمدن في كبر حال بالغ الضرر والخسارة .

بهذه قسمة عادلة قد شامتها الفطرة بين صفتي الانسان . ويدل على هذه القسمة ويؤيدها كل من علوم الاحياء والتشريح والنفس والعمران . وإن كون الولادة والتربية مقصورة على المرأة وحدها هو الحقيقة

الفصل التي تخص لها دائرة العمل في المدن ، وما كان لتدبير مصطنع
أن يبدل قضاء الفطرة هذا وإس التمدن الصالح الا الذي يقبل -أولاً-
حكم الفطرة كما هو ، ثم يضع المرأة موضعها الصحيح ، وينزلها منزلة ابن
والكرامة في الاجتماع ، ويقر لها حقوقها المدنية والاقتصادية الشرعية ،
ويجعل لها البيت وللرجل ماوراءه ، وإياه يجعل قواماً على الأسرة .
فكل تمدن يحمل هذه القسمة الطبيعية بين الصنفين أو يحوّلها عكساً ، قد
يظهر بعض المظاهر الخلابية من التمدن والرفق المادي حيناً من الزمان ،
ولكنه إلى الجوار ولعمارة لا محالة لأن المرأة إذا كلفت القيام بالتبنيات
الاقتصادية والمدنية مثل الرجل فلا بد أن تضع عن نفسها واجبات
الفطرة . وما ذلك خراب التمدن ، بل خراب الانسانية نفسها . ثم إن
المرأة إن خرجت على طبيعتها وفطرتها واجتهدت لأن تقوم بأعمال الرجل
كدها ، فإنها قد توفق فيه بعض التوفيق ولكن الرجل لا يمكنه بحال
من الأحوال أن يستأهل لولادة الاولاد وحضانتهم وتربيتهم .

وإذا روعيت هذه القسمة الطبيعية بين الصنفين ، كان تنظيم
الأسرة وتبين وظائف الرجل والمرأة في الحياة على ما يأتي من
الاصول لاجالة :

١ - إلى الرجل تكون عمالة الأسرة ورعايتها وحمايتها ، والقيام
بما هو عسير شاق من خدمات المدن فيكون تعليمه وتربيته على النحو
الذي يجعله أنفع ما يكون لهذه المقاصد .

٣ — ولى المرأة تكون تربية الاولاد وواجبات البيت ، والعمل على جعل الحياة المنزلية مباحة أمن ودفعة وراحة . فتضلى بأحسن ما يكون من التربية والتصميم لاجل قيامها بهذه الخدمات .

٣ = ولاستبقاء نظام الاسرة ووقايته العوسى والشتات ، لا بد أن يجمع لأحد من افراد الاسرة الحكم والأمر على ماثوم ، في ضمن حدود القانون ، حتى لا تفقد الاسرة كقطيع من الغنم بلا راعي . وذلك لفرد الأمر لا يمكن أن يكون من غير صنف لرجال . لاث عضو الاسرة الذي تكون حالته العقلية والنفسية مرشحة للتفكير ، مرة بعد أخرى ، في أيام الحيض وفي زمان الحمل ، لا يصلح أبداً لاستعمال سلطة الحكم والأمر .

٤ — يجب أن تُقرر في نظام التمدن المحفوظات اللازمة لإدامة هذه القسمة والتنظيم في وظائف أفراد الاسرة ، حتى لا يستطيع السوء أن يخلطو بمهمتهم بين دوائر أعمال الرجل والمرأة ، فيدخلوا الفوضى على هذا لنظام التمدن في المصالح .

مَظَاهِرُ التَّقْصِيرِ الْإِنْسَانِيِّ

قد احتجنا في الفصل السابق أن نبين بالتحقيق العلمي الخالص والمشاهدات والتجارب العلمية ما، ينبغي أن نكون الأركان الرئيسية في حدود الشؤون الحسية في نظام معتدل للتمدن قائم على مراعاة مقتضيات فطرة الإنسان ودلالات وضعه الذهني وتكوينه الخلقي. ولم يذكر في هذا البحث شيء من قبيل التشابهات أو مما يكون قاتل في مقادير كل ما قيل فيه هو من مُحْكَمَاتِ العلم والحكمة، ونما يعرفه أولوا العلم والالباب، ولكن من عجائب المعجزات الأفساني أن كل ما وضعه الإنسان نفسه من نظم للتمدن، لم يُراعَ فيه دلالات الفطرة الموروثة المعروفة هذه، على وجه الاستقصاء والتناسل المُرَضي، وظاهر أن الإنسان لا يجهد مقتضيات فطرته نفسه، ولا تسمى عليه أو شاعه الدهنية وخصائصه الحسية. إلا أن الله من الواضح اليقين مع ذلك، أنه لم يؤثّق إلى الآن لوضع نظام معتدل للتمدن، مَرَرَهُ في عبادته ومنهجيه كل تلك المقتضيات والخصائص، وكل المصالح والمقاصد والتوازنات كمال.

السبب الحقيقي لهذا التفسير

والسبب في هذا لتفسير هو الذي قد أشرنا إليه في أول الكتاب ، وذلك أن من الصف الطبيعي في الإنسان أنه إذا فطر في مسألة من المسائل ، فلا يستطيع أن يشمل بظفره جميع فواحيها حيلة واحدة . بل فتشويه أبداً ناحية منها "كثيراً من غيرها" ، وتجديه إلى نفسها دون سواها . فإذا هو مال إلى جانب ، "عمي" عليه ، عداه من الحوائج ، أو أعفها عن عمد . وهذا الصف الإنساني يدر حتى في شؤون حياته الحزنية والفردية ، فكيف يمكن أن تنجو من أثره مسائل التمثل والحضارة الواسعة العميقة ، التي كل واحدة منها ذات نواح متعددة ، ظاهرة وخبية . ولا ريب أن الإنسان قد شرف عواطف العقل والعلم ، ولكن الحق أنه لا يهديه مجرد التفكير ، في عمية شؤون حياته ، بل تجذب به عواطفه ونزعاته إلى جانب بعينه . فإذا مال إليه وآثره على غيره يمد إلى العقل يستدل به ، وإلى ليل يستميت . وهكذا إلى آراء عمه هو حو نب المسألة الأخرى ، وبه عقله هو على ميلانه إلى شيء دون آخر ، لم يندعن بخطئه ولم يمين بتصحيحه . بل عاد بكرة العلم والعقل على أن يرواه بالحجج والتأويلات لتبرير روعته تلك ،

بعض أمثلة بارزة

وهذا الصف الإنساني - في ميله إلى الشق الواحد - يظهر على

أتمّ إعراطه وتفريطه في المسألة الاجتماعية التي نحن بصدد البحث فيها الآن :

ففرّق مال إلى جانب الاخلاق والروحانية، وغلافه إلى أن جعل العلاقة الجنسية بين الصنفين في ذاتها شيئاً يحاب ويُزدري ، وهذا الانحراف عن المقصد تجلّد في ديانة (بودا) والصرافية وفي بعض الديانات الهندكية ، ومن تأثيره ما يُوجّه في جزء كبير من هذا العلم من اعتقاد أن العلاقة الجنسية بداتها إثم ، سواء كانت في دائرة الزواج أو خارجها تماماً كانت نتيجة ؟ كانت النتيجة أن جعل حياة الرهبنة ، المنزلة غير المتدخلة ، علة الاخلاق ومقصود التزكية النفسية ! وأضاع كثير من أفراد النوع الانساني - رجالاً ونساء - مواهبهم العقلية وقواهم الحسية في مجانبة المطرقة ، بين في محاربتها ونضالها ، والذين استجابوا منهم لدواعي الفطرة ، ومارسوا العلاقة الجنسية فيما بينهم ، لم يفسدوا إلا " متحرّجين " ، كمن يتقضي لنفسه حاجة مستفجرة على كثره منه . ومن البديهي أن مثل هذه العلاقة لا يمكن أن تكون بين الصنفين رابطة المودة والتعاون ، ولا هي حديرة بإنشاء قدن - المع ماض إلى الرقي . وليس هذا فقط ، بل هذا التصور الخلفي هو الذي أدّى إلى حط منزلة المرأة في نظام الاجتماع ، إذ حاش عشاق الرهبانية يحكمون على التزعة الجنسية بأنها وسوسة الشياطين ، وعلى عرك هذه التزعة - وهي المرأة - بأنها حيالة إبليس . وحلوه ، مخلوقاً شجياً يجب أن يحتقره كل من يحب نفسه التزكي والطهارة . وهذا التصور

لمنزلة المرأة هو انساب ، في آداب النصرانية والبوذية والهندوكية .
وتستطيع أن 'تقدّر' عما عسى أن يكون من مكانة المرأة في النظام الاجتماعي
الذي يُشاد على هذا التصوّر .

ودربق ، على عكس ذلك ، راعى للإنسان دواعيه الجسدية ،
وعلا فيه غلواً . حمله يندى مقتضيات الطبع الحيواني فضلاً عن طبع
الإنساني . وقد اتضح هذا الاقتران في التمدن الغربي وضوحاً لا يمكن
منه ستره ، مما حاول المحاولون . طارنى ليس بجريرة في قانونه ، وإنما
الجريرة هي ما كان منه إكراه أو تدخل في حق شرعي لشخص آخر .
وأما إذا كان الزنى لا يقترب بأحدى هاتين الجريمتين ، فإنه ليس في
دنه جريرة تستوجب العقاب ، وليس حتى ببار خطي يستجيب منه . ولو
وقف التمدن الغربي عند هذا الحد ، لكان ذلك منه وقوفاً عند حدود
الفطرة الحيوانية ، ولكنه تجاوز إلى أن أبطل المقصد الحيواني أيضاً
من العلاقة الجنسية ، وهو التناسل وبقاء النوع ، بما اتخذ هذه العلاقة
أداة المنة والذة الجسدية . وما بلغ الاقتران بالإنسان إلى هذا الحد ،
عاد هذا الخلق الذي خلق في أحسن تقويم مردوداً أسفل سافلين .
فانحرف أولاً عن فطرته الانسانية ، فاستوسل في العلاقة الجنسية المطلقه
كأنه تكون في الحيوانات ، ولا يمكن أن تكون أساساً للتمدن . ثم
انحرف عن فطرته الحيوانية أيضاً فحذف بين العلاقة ونتيجتها الطبيعية
- وهي التوليد - حتى لا ينشأ في العالم أجيال مختلفة وتبقى من بعده نوعه .
وقوم ثالث استثمروا بظنورة الاسيرة ، فظلموها بقيود وحدود .

جملت كل فرد من أفرادها كالأسير المخلول، ولم يرهوا الموازنة بين الحقوق والواجبات . ومن أمثلة ذلك البارزة ، نظام الأسرة الهندكي ، الذي لا حرية فيه المرأة في إرادتها أو عملها ولا حتى لها في التمدين والمعيش ، وهي خادمة في كل حال ، بنتاً أو زوجة أو أماً ، وإذا كانت أياً فهي أسطشاًناً وأسرّاً حطاً من الخادم ، وكأنها حي ميت ، عليها كل واجب وأيس لها أي حق . فصاروا القوم في هذا النظام الاجتماعي أن يجعلوا المرأة من يدهم نشأتها نوعاً من مهمة ، لأنهم ، حتى لا ينشأ في نفسها الشعور بذاتها أصلاً ولا ريب أنهم أحكموا بذلك أركان الأسرة ، وأصبح نشور المرأة معه من استعيل ، ولكن هذا الظلم بما حط وسفر من شأن النصف الكامل من جماعة الإنسان ، قد أقام في سبيل نهوضه وارتفاعه عقبة جسيمة ومفسدة هائلة ، هذا الهنادك بأنفسهم يحسون سوء عواقبهم ومضارها .

وجماعة أخرى ، قاموا لرفع مكانة المرأة ، ومنهم . الحرية في لارادة والعمل ، ففعلوا في ذلك إلى أن أسدوا . نظام الأسرة . فمادت الزوجة حرة مختارة ، والنسب مطلقاً لعتان والابن غلى له في الرهان ، والعائلة كالقطيع اشارد ، « لاراع بذود ولا حظيرة تؤوي » ، ولا سبيل لأحد أفرادها على الآخر . فليس للزوج أن يسأل زوجته أين بانت البارحة ؟ ولا للاب أن يحاسب أمته على القراء الذين تخاطبهم أو الامكنة التي تختلف إليها . والزوجان في حقيقة الامر شريكان سويان يؤلمان الأسرة على شروط متساوية بينها ، ومنزلة الاولاد في هذه (الشركه) كمنزلة

الاعضاء الصغار . وقد يند نظام هذه الاسرة المتألفاً أدنى خلاف في التصالح والامزجة ، تلجأ هذه الجماعة من عنصر الطاعة الذي هو لازم لصون كلى نظام من التثبث . وهذا هو مثل الاجتماع القري الحديث ، ذلك الاجتماع الذي يدعي حامو لوائه أنهم رسل الهدى في شؤون المدن واسمران . ولكنك إن شئت أن تكشف عما وراء (رسالتهم) هذه . فانظر في تقرير من تقارير إحدى محاكم الزواج والطلاق أو إحدى محاكم جنابات الاطفال (Juvenile Courts) في أوربة وأميركا ، تصح لك جليلة أمرهم . فهذه لارقام التي قد نشرها أخيراً مكتب الوزارة الداخلية بانكلترا تنقيد أن الحرائم إلى الزيادة كل يوم في صفار الأبناء والبنات . ومن أسبابها الحصة ارتفاع النظام التأديبي في الاسرة . (١)

إن غريزة الخشعة والحياء التي ركب في الإنسان ولا سيما في فطرة المرأة ، ولم يصيب في أي تمدن إنساني في القديم أو الحديث ، ولا وفق لرعاية مقتضياتها في اللباس وفي اساليب الحياة الاجتماعية . ومع أن هذا الحياء قد عد من أحسن فضائل الإنسان ولا سيما المرأة ، لم يظهر قط في لباس الإنسان ومظاهر اجتماعه بصورة قاعدة مطردة أو طريق عقلي . ولم يسن أحد بتعيين الحدود الصحيحة لستر الدورات ولا بمراعاتها بصورة .. ولا قد حددت صور مراعاة الحياء في أزياء الذكور ولا في أزياء الإناث . وفي آدابهم وعاداتهم بحسب مبدأ أو ضاعلة . ولم تضبط حدود الكشف

(١) انظر : Blue Book of Crime Statistics for 1934

والسترين رجل ورجل - وبين امرأة وأخرى ، وبين رجل وامرأة ،
على وجه معقول متناسب . وعلى قدر ما كان هذا الامر خطيراً من جهة
الشهيد والثقافة والاخلاق العامة ، كانوا في عتلة عنه وإهمال له ما حالوا جانباً
منه على العرف والتقاليد ، والحال أن التقاليد تبدل بتبدل الأوضاع الاجتماعية
ووقفوا الخائب الآخر على زعمت الافراد الشخصية واختيارهم . والواقع أن
الاشخاص ولافراد لا يتسلوون في غريزة الحياء والأدب ، ولا أتوني كل
منهم من سلامة اللزوق وإصابة الاختيار بما يؤمله لان يجتاز بنفسه طريقاً
يلائم غريزته تلك . وكان من جريرة ذلك أن أصبح يوجد في لباس
الجماعات المختلفة وطرق اجتماعهم خلط عجيب من الوفاة والحياء ، يتخلو
من كل مناسبة عقلية ومن كل نسق وأطراء ، كما يتخلو من التزام أي
مبدأ من مبادئ الاخلاق . أما السرقة فبقي الامر فيه مقصوراً على تنافر
الازياء وعدم تناسبها ، ولكنه لما طغى هذا النعصر من الوفاة والابتذل
في أهل الغرب . فسخر آية الحياء من أخلاقهم سخرًا وجعلوه اسماً بلا
مضى . وأصبح من نظريتهم الحديثة المبتكرة ان الحياء ليس بفرزة طبيعية
في الانسان ، بل هو شيء ناتج عن اعتياده الستر باللباس ، وليس لستر
المورات ومراعاة الحياء من صلة بالشهيد والاخلاق أصلاً . بل هو في
الحقيقة عامل من العوامل المحركة لفرزة الشهوة في الانسان^(١) . ومن

(١) هذه بالحرف هي الفكرة التي عبر عنها الأستاذ ويستر ملرك (Wester
marck) في كتابه : « الزواج الانساني » « The History of Human
« Marriage

اللعافى السلبية لهذه الفلسفة الداجنة ما يرى عتدم اليوم من الازياء العارضة
ومباريات الجندك والرقص المزيان، والصور المكشوفة والمرضى المسرحي
القاحش . وللدعوة النامية إلى التجرد : (Nudism) ورجعة الانسان
إلى البهيمية الخالصة .

ومثل هذا الانحراف عن نقطة الاعتدال نجده أيضاً في الجوانب
الاخرى لهذه المسألة :

فالذين عظموا شأن اسفة والاخلاق ، ما حفظوا الرأى باعتبارها
وجوداً حيوانياً ذى عقل وشعور ، بل حفظوها كحفظ الجناد من امثاس
والاعلاف . فجعلوا أمر تعليمها وتربيتها وراء ظهر انهم ، مع أن
أهمية المرأة لا تقل عن أهمية للرجل ، بلصحة الحضارة
والتمدن . والذين اهتموا بخلاف ذلك بتربيتها ، أهملوا العفة والاخلاق
كل الاممال ، ومهدوا أسباب التمدن والحضارة من جهة أخرى .

وأما الذين راعوا لقسمة الطليمية في وظائف الجنسين ، فما كلموا
المرأة من واجبات التمدن والاجتماع إلا تربية الاولاد وتسيير المنزل ،
وحلوا على الرجل أمباء الكسب والعمى ولكنهم ما استطاعوا التزام
التوازن في هذه القسمة العادلة . فسلخوا المرأة جميع حقوقها
الاقتصادية ، ولم يجعلوا لها حقاً في الميراث ، وإنما حصروا كل حقوق
الملك في الرجل وحده . وبذلك جعلوا المرأة عاجزة قبيدة من الجهة

الاقتصادية، وأزلوها من الرجل منزلة الخادم من سيدها . وقام بإزاء هذه الطائفة طائفة أخرى أرادت أن تتدأرك هذا الخيف والظلم وترد إلى المرأة حقوقها المدنية والاقتصادية ، ولكن هؤلاء وقعوا في خطأ آخر ، وهو أنهم ، أغلبوا المادية على أذهانهم ، زعموا أن إلقاء المرأة من الاستعباد التمدني والاقتصادي ، من شأنه أن يجعلها أيضاً - كالرجل - عضواً كاملاً في الأسرة ، وتشاركه في القيام بجميع واجبات التمدن . وكاف هذه الطريقة رافضة جذابة من الوجهة المادية ، لأنها لم تخفف من أعباء الرجل وكفى بل ضاعفت أسباب المعيشة واكتساب الثروة ، لاشتراك المرأة مع الرجل في الكسب ، وفوق ذلك هيأت لتسيير حياة المعيشة والتمران القومي شعبي الأيدي والأذهان العاملة ، مما زاد في سيرة ارتقاء التمدن ثقافة ، وبدل مشيه خيباً . ولكن كان من المأقبة المضمومة لهذا الرجحان لغرط إلى الجانب المادي والاقتصادي أن حيث عليهم الجواب الأخرى التي لم تكن أقل خطورة من هذا . مطووا الكشح عن كثير من النواحي عن عمد . وحالفوا قانون الفطرة عن بيئة وعلم ، وهو ما يشهد به تحقيقهم هم ، ثم ادعوا بإنصاف المرأة وسحب حقوقها الواجبة ولكنهم في الحقيقة ظلّموا وجاروا عليها وهذا ما تدل عليه تجاربهم ومشاهداتهم . وأرادوا أن يساووا بينها وبين الرجل ولكنهم في الواقع أخطؤوا المساواة وأمسدوا بينها الميزان ، ومضاد ذلك علومهم وفنونهم أنفسهم . ونشدوا ، بيد ذلك لمصالح التمدن والتمران ، بيد أنهم هيؤوا في نفس الأمر أسباباً حائلة لخراجه مما تلم تفاصيله من الأحداث والأرقام التي قد سجلوها

بأنفسهم . ومن الطبيعي أنهم ما كانوا وليسوا يجعلون هذه الحقائق كلها . بل الأمر كما ذكرنا آنفاً ، أن من المصنف الانساني أنه إن تصدى لوصف قانون حياته ، لا يستطيع أن يراعي جميع المصالح مردعة معتدلة متزنة ، لأنه يجرفه تيار أهوائه ورغباته إلى جانب من جوانب الأمر ط . وإذا هو مال إلى جانب واحد ، فكثير من الجوانب تسمى عليه ، وكثير من المصالح والحقائق يتمضى هو نفسه عنها ، عينه ؛ وليس أدل على هذا التعمى والاعمال المتعمد من شهادة أعمى من أنفسهم . لهذا لعالم الطبيعي الروسي المتأثر انطون نيميلوف Anton Nemilov الذي هو شيوعي خالص العقيدة ، يسود مثنى صفحة من كتابه (The Biological Tragedy of Woman) لاثبات عدم المساواة الفطرية بين الرجل والمرأة بتجارب العلوم الطبيعية ومشاهداتها ، ثم يتقّب بنفسه على كل هذا التحقيق العلمي بقوله : « إذا قيل في هذه الأيام : إن المرأة يجب أن تمنح في دائرة التمدن حقوقاً محدودة ، لم يؤيدهم الرجال إلا الأقل . ونحن بأنفسنا نحن نحالفون هذا الرأي . ولكن ينبغي ألا نخدم أنفسنا بزعم أن إقامة الرجل والمرأة في الحياة العملية أمر هين ميسور . الحق أنه لم يجتهد أحد في الدنيا لتحقيق هذه المساواة بين الصنعين ، مثل ما اجتهدنا في روسيا السوفيتية ولم يوضع في العلم من القوانين السمجة البريئة من التصب ، في هذا الباب مثل ما وضع عندنا . ولكن الحق ، مع ذلك كله ، أن منزلة المرأة

(١) نشرت ترجمة هذا الكتاب باللغة الانجليزية في لندن سنة ١٩٣٣ م

قلبا تبدلت في الاسرة ... (الصفحة : ٧٦) ولا في الاسرة فحسب ، بل انه تبدلت في المجتمع أيضاً . يقول في مكان آخر :

« لا يزال تصور عدم مساواة الرجل والمرأة - ذلك التصور العميق - راسخاً ، لا في قلوب الطبقات ذات المستوى الذهني البسيط ، بل في قلوب الطبقات السوفيتية المتأدبة أيضاً . بل النساء أنفسهن قد بلغ من تأثير هذا التصور في نفوسهن ، أنهن إذا عوملن معاملة المساواة الكاملة مع الرجال ، يستدن ذلك خطأ من مكافة أولئك ، ويجدن لهم فيه عيباً انتحضت . ولو أنك تتابع في هذا الامر أسيكار علم طبيعي أو مصنف أو طابع أو تاجر أو شيوعى خلاص العقيدة ، لا تكشف لك عن غير سدى . أنه لا يرى المرأة كفتاة أو نداء يائسه ، وكذلك إن نظرنا في رواية من الروايات المضرة ، مما كان يبلغ كاتبها من حرية الفكر ، فلا بد أن تقع فيها على عبارات تم على هذا التصور بشأن المرأة . (الصفحة : ١٩٥-١٩٥) . وما السبب في ذلك ؟

«السبب في ذلك أن المبادئ الانطلاقية تعظم في هذا المقام بأمر واقع هام ، هو أنه لا مساواة بين الجنسين باعتبار علم الاحياء (Biology) ولم تكنها الخطوة بأعباء سواء » (الصفحة : ٧٧) . ودونك عبارة أخرى تساعدك على استنباط الحقيقة :

« الحق أن جميع العمال (Workers) قد بدت قيم أعراض الفوضى الجنسية (Sexual Anarchy) . وهذه حالة جد خطيرة تهدد النظام

«الاشتراكي بالدمر» فيجب أن تحارب بكل ما أمكن من الطرق ، لأن
المحاربة في هذه الحمة ذات مشاكل وضوابط. ولي أن أدلكم على آلاف
من الأحداث، يعلم منها أن الإباحية الجنسية (Sexual Licentiousness)
قد سرت عدواها، لا في الجهل الأغرار فحسب ، بل في الأفراد المتقنين
من طبقة المهل أيضاً » (الصفحة ٣ - ٣ - ٢) .

فانظر ما آيين شهادة هذه العبارات وما أوضحها . هم بجانب يترمون
بأن الرجل والمرأة لم تحط بالقطرة نفسها متساويين ولم تنجح المساعي
المبذولة لتحقيق تلك المساواة بينها في الحياة المسمية ؛ وأما قدر أقيم بينها
من هذه المساواة على الرغم من مقتضيات القطرة ، كان من عواقبه أن
اندفع تيار الفواحش ، وأمسى نظام المجتمع بأسره في خطر منه مريب .
وبجانب آخر يدعون ألا تتحدد حقوق المرأة في نظام الاجتماعي بمحدود ،
وأنه إن فعل ذلك ليخالفه . فاي دليل أقوى من ذلك على كون
الإنسان البصر البصير ، لا الجاهل التي قد بلغ من اتباعه هواه وزناته
أن يكذب حقيقة هو ، ويحدد مشاهداته نفسه . يخصص عينيه عن كل
الحقائق ويميل هواه إلى جانب يسره فيوغل فيه إلى نهايته ، مما كان من
قوة الخبيث التي تقدمها علومه ، ومن غلبة الأحداث التي تسممها أذهانه
وعبر النتائج التي تشهدا عيانه . في التنديد بأفراطه ذلك ، « أقرأيت
من اتخذ له هواه وأضلته » الله على علمه وختم على سمعه

وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ مِشَاوَةً ۚ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ يَدْرِ اللَّهِ ۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۚ (الجناتية : ٢٣) .

ميزة الاعتدال في قانون الاستمرار

وهناك في هذا العالم الثامن بين الإفراط والتفريط ، نظام تمدني
وحيد ، يتميز ببناء التوازن والاعتدال ، ويراعي كل ناحية - مهما دقت
وصغرت - من نواحي العطرة الانسانية ، ويستند إلى المعرفة التفصيلية
الكاملة بتكوين الانسان وجبلته الحيوانية وطبيعته الانسانية وخصائصه
النفسية ودواعيه العاطفية ، ويحقق مقصود العطرة من خلق كل شيء من
ذلك تحقيقاً تاماً لا يفوت حتى أحدهم المقاصد وأبسطها . ثم تمهد فيه هذه
المقاصد جميعاً وتساوون على تحقيق ذلك المقصد الرئيسي الأعلى الذي هو
غاية حياة الانسان نفسه . ويبلغ هذا الاعتدال والاعتدال والتناسب ببلغاً
من الكمال ، ليس في وضع الانسان الذي يخرجه بمقله أو جهله . أما لو
يكون القانون من وضع الانسان ثم لا يوجد في ناحية من نواحيه ميلان
أو رجحان ، فلما لم يمكن قطرون يمكن أبداً . وذلك أن الانسان العامي
لا يستطيع حتى أن يفهم كل الفهم مصالح هذا القانون المعتدل المتزن
الحكيم ، فضلاً عن أن يفهم على وضعه ، بل لم يكن أوتي طبياً سليماً
وما لم يكتسب العلوم ، ويمارس التجارب في ذلك القانون مدته من السنين ،
ثم يطل أعواماً متوالية بمكرهه ويتأمل ، وإني لا أمدح هذا القانون

لكوني قد آمنتم بالإسلام . بل الامر أني ما آمنتم بهذا الدين إلا
لأنني وجدت فيه كمال التوازن والتناسب وحسن الملازمة للتوازن
القطرة ، مما قد جعل قلبي يشهد بأن واضح هذا القانون هو الذي قد
فطر السموات والارض ، وهو عالم الغيب والشهادة . ومن الحق أن
لا يهدي لانسائه التائه في مجاهل الضلال ، إلى طريق لقصد الاعتدال ،
إلا هو سبحانه . **وَقُلِ السَّجُودُ لِلَّهِ فَاطِيعُوا أَمْرَهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ صَلِيمٌ**
الغيب والشهادة. أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فَبِمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
(زمر : ٤٦) ،

★ ★ ★

نظام الاجتماع الإسلامي

النظريات الأساسية

من مزايا الاسلام أنه لا يأتي بقانون إلا " ويُنشئ بنفسه إلى حكمته
أيضاً . فالقانون الذي قد جاء به لتبسط العلاقات بين الرجل والمرأة في
الاجتماع ، قد يسن نفسه ما ورائه من صفات الفطرة وأصول الحكمة .

المفهوم الأساسي للزوجة :

وأولى الحقائق التي يكشف عن وجهها السر في هذا الصدد هي :
« وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا ذَوْجَيْنِ » . (المائدة : ٤٩) فتشير
الآية إلى مفهوم القانون الزوجي (Law of Sex) وشموله ، ويعلن
صانع هذا الكون مهاسراً صناعته ، فيقول إنه خلق هذا المفضل
الكوني على قاعدة الزوجية ، أي أن جميع آلائه وما كنهاته قد خلقت
أرواحاً ، وكل ما يرى من بدائع الصنع في هذه الخليقة ، هو راجع إلى
تلك الزوجية بين الأشياء .

ولنتدبر ما هي الزوجية : إن الزوجية في الحقيقة عبارة عن أنه

يكون شيء متصفاً بالفعل وآخر متصفاً بالقبول والانعزال، ويكون في أحدهما التأثير وفي الآخر التأثير، وفي هذا المقاد وفي ذلك الامتداد. وهذا العمل والانعزال والتأثير والتأثر والمقد والامتداد بين الشئين هو علاقة الزوجية بينهما. وهذه العلاقة هي أساس تركيب الأشياء في هذا العالم : وعلى هذا، التركيب يجري نظام هذا الكون، فكل شيء في هذا الكون قد خلق زوجين وصنفين في طبقته. وكل زوجين من الأزواج يرتبطان - من حيث المبدأ والأصل - بهذه العلاقة الزوجية التي يكون أحدهما فيه قاعلاً والآخر قابلاً ومتفعلاً، ولا ريب أنه تختلف كيفية هذه العلاقة باختلاف طبقات المخلوقات : فمن أنواع المزاوجة ما يوجد بين الناصر والجواهر، ومنها ما يكون بين المركبات غير النامية، وآخر تراه بين الاجسام النامية، ونوع تراه في أنواع الحيوان، وكل هذه الأنواع من المزاوجة تختلف في نوعيتها وكيفية، ومقاصدها الفطرية، ولكنها تتفق في أصل الزوجية وجوهرها. ولتحقيق مقصود الفطرة الرئيسي - وهو حصول التركيب وحداثته الهيئة المركبة - في كل نوع من أنواع هذا الوجود : منها كانت طاقته، لا بد أن يكون أحد زوجيه متصفاً بقوة الفعل والآخر بقوة الانفعال.

وإذا تقرر هذا المفهوم للأمة المذكورة آنفاً، فيستنبط منه لباحث ثلاثة مبادئ أولية للقانون الزوجي :

أولها أن الدستور الذي قد خلق الله تعالى عليه الكون ، والطريق الذي جعله سبيل السير لنظامه هذا ، لا يمكن أن يكون غسماً مكروهاً ، بل هو - من حيث أصله وجوهره - نظيفٌ محترم . وهكذا ينبغي أن يكون . وقد يخالفه أعداء هذا النظام ويحتنبونه زاعمين إنشاء شيئاً بشياً محموقاً ، ولكن باري هذا النظام ومالكه لم يكن ليريد أن يقف دولابه وتمطّل حركته . وإنما مشيئته أن يبق مفعلة هذا جارية في عمله وتبقى آلاته كلها تأتي بوظائفها فيه .

والثاني أن صفى الفعل والأفعال كلها لازم لتسيير هذا النظام . ولوجود الماعل والمنفعل أهمية سواء في هذا الكون . ولا فضيلة للفاعل من حيث هو فاعل ، ولا قيمة للمنفعل في انفعاله . وكإل الفاعل ، أن تكون فيه قوة الفعل والصفات الفاعلية على أمها حتى يستطيع القيام بواجب الخدمة الفعلية من الزوجية . وكإل المنفعل أن تكون فيه قوة الانفعال وكيفية على أكلها لكي يحسن القيام بالواجب القبولي والانفعالي لازوجية . وكإل أن أول جزء آمن أجزاء ما كنة صغيرة عن موضعه ، وأردت أن تستخدمه لأمر آخر لم يصنع له ، ما كنت في رأي الناس ألا صغراً أخرق ، وكنت حرباً - أولاً - بأن لا تصحح في محاولتك هذه ، وإن لم يستجب وجهت في الأمر جهداً ، عازدت على أن تكسر الماكنة كسراً ، كذلك حال ما كنة هذا الوجود الضخمة . فإن أهل المساعدة والمخرق قد تحذرتهم أنفسهم بأن يضمنوا الجزء الفاعل منها مكاناً

الجزء المتفعل ، أو يوضعوا الجزء المتفعل مكان المفعول ، ثم قد 'يخنون في حماقتهم إلى أن يقوموا بسفوف لتحقيق ذلك ويؤملوا النجاح في سببهم هذا . ولكن سابع هذه الماكنة ما كان ليفعل مثل منهم . وإغنا شأنه أن يضع الجزء الفاعل موضع الفعل أبداً ويربّيه حسب ذلك ويضع الجزء المتفعل موضع الافعال أبداً ويربّي فيه المسكنة لافعالية ليس غير .

والثالث أنه مما لا شك فيه ان الفعل نوعاً من الفعالية على القول والافعال . ولكن ليس من معاني هذه الفعالية ان يكون مع الفعل الزم مع الافعال لذلك . وإغنا هذه الفعالية من حيث القوة والغلبة والتأثير . فأبداً شيء يفعل فعلاً في شيء آخر ، فأبداً يفعله لكونه غالباً عليه وأقوى منه ولأن له قوة على التأثير فيه . والشيء الذي يقبل فعله ويتفعل به ، فاعلة قبوله وانفعاله إلا كونه متغلباً وضعيفاً ومستهدفاً للتأثير به . وكما ان حصول النفس يستلزم وجود الفاعل والمتفعل على السواء كذلك من اللازم ان يكون الفاعل متغلباً بالغلبة وقوة التأثير والمتفعل بالضعف والقابلية للتأثر . ذلك انه إن كان كلاهما يسوي الآخر قوة ، ولم تكن لاحدهما على الآخر غلبة ، لم يتأثر أحدهما بالآخر وانفق حصول الفعل . فالتأثير ، ان كان فيه من الصلابة والقوة مافي الأبره ، لم يكن فعل الخياطة ، والأرض ، إن لم يكن فيها من اللين والدمامة ما يقبل به من الرقش والمحراث فيها ، لم تمكن الزراعة والبناء . ومحصل القول ان كل ما يقع في هذه الدنيا من الافعال ، لا يمكن أن يتم أحد منها

لو لم يكن إزاء كل فاعل منفرد ، ولو لم تكن في المنفرد قابلية للتأثر بفعل الفاعل. لذلك من مقتضى الطبيعة في الزوج الفاعل - من الزوجين - أن تكون فيه القبة والشدّة والتحكم ، كما يعبر عنه بالذكورة والرحولية ، لأنه لا بد له منه لأجل القيام بوظيفته من حيث هو أداة فاعلة . وعلى العكس من ذلك ، من مقتضى الطبع الانفعالي في الزوج المنفرد أن يكون فيه اللين والرفقة والنعومة وتأثر ، كما يقال له الأنوثة والطبع النسوي . وذلك لأن هذه الصفات هي التي تمكّنه من النجاح في الجانب الانفعالي من الزوجية . فالذين لا يسمعون هذا السر هم فريقان الثنائ ، فريق بحسب قضية الفاعل الذاتية بمثابة المزّ والكرامة ، فيصدّ المنفرد في ذاته ذليلاً محتقناً ، وآخر يشكر بالمرّة تلك الفضيلة المخصوصة بالفاعل ، فيريد أن يحدث في المنفرد أيضاً تلك الصفات التي يجب أن تكون في الفاعل ولكن الصانع الحكيم الذي قد صنع الحزّين ، ينصب في ما كنته على نحو يضمن لها المساواة في الكرامة والمزّ وفي لسانة واسترية ، ويضمن لها مع ذلك أن تنشأ منها صفتا القابلية والنفوسية اللتان يقتضيهما الطبع الفاعل والمفعول في الزوجين ، لتتحقّق غاية المزاوجة بينهما ، لا أن يكونا كحجرين متساويين في الشدّة والصلابة ، قد يحدث أحدهما بالآخر ، ولكن لا يمكن أن يحصل بينهما امتزاج ، ويحدث بامتزاجها تركيب .

هذه المبادئ التي تستخرج من مفهوم الزوجية الابتدائي وإن هجرنا كون لرجل والمرأة زوجين باعتبارهما وجوداً مادياً ، يقتضي أن نراعي

هذه ابيادى، فيها بينها من الصلات . وستتم فيما يأتي ان القانون الاجتماعى
الذى قد وضعه فاطر السماوات والارض، قد رُوِجَتْ فيه هذه المبادئ
الثلاثة مراعاةً كاملةً

الفطرة الحيوانية في الانسان ومقتضاياتها

وتعال الآن تقدم خطوةً في البحث . إن وجود المرأة والرجل ليس
وجوداً مادياً لحسب، بل هو أيضاً وجود حيوانى ، ولننظر ما هو
مقتضى كونها زوجين بهذا الاعتبار . فيقول الخالق عز وجل : «جَعَلَ
لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوْكُمْ
فِيهِ» (الشورى : ١٦) ويقول : «نَسَاؤُكُمْ حَرْثُكُمْ» (البقرة : ٢٢٣).

ففي الآية الاولى قد ذكر الله تعالى خلق الانسان والحيوان كليهما
أزواجاً . ويثبت لناية المشتركة بينهما من ذلك بقوله : «يَذُرُّوْكُمْ فِيهِ» أي
أن تحري ببلاقتها الزوجية سلسلة التناسل . ثم أفرقة النوع الإنسانى
عن سائر الأنواع في الآية الثانية ويثبت ان علاقة ما بين الزوجين من
هذه النوع دون سائر الأنواع الحيوانية ، كالعلاقة بين الحرت والحرث .
وهذه حقيقة أحيائية (Biological Fact) وأحسن تشبيه لصلة
المرأة والرجل من وجهة نظر علم الاحياء . ويشتبط اباحت من هاتين
الآيتين مبادئ ثلاثة أخرى هي :

١ - أن الله قد خلق الأزواج الانسانية كالأزواج الحيوانية ، لكي يجري بعلاقتهم الجنسية النسل الانساني ويبقى النوع . وهذا من مقتضيات الطبع الحيواني في الإنسان ، مما تجب مراعاته . فإله تعالى لم يخلق النوع الانساني لأجل ان يمتنع بعض أفراده أنفسهم بتناع هذه الحياة ثم يموتوا وينقضوا ، بل هو سبحانه يريد أن يبقى هذا النوع في الأرض إلى أجل مسمى ، وماركيب الميلاق الجنسي في فطرته الحيوانية إلا حفرزاً لأزواجه على التواصل والتناسل ليمعروا بذلك أرض الله . فكل قانون ينزل من عند الله ليس من شأنه ان يكبت هذا الميلاق الجنسي أو يقصي عليه ، ولا أن يدعو إلى استناده واجتنابه ، بل لابد أن يكون فيه مجال لتمكين المرء من الاستجابة لحجته الفطرية هذه .

٢ - وقد بين الله تعالى بتشبيه المرأة والرجل بالحرث والحارث ان العلاقة بين الزوجين الإنسانيين تختلف عن التي تكون بين الزوجين الحيوانيين . وقد ركبت أجسامها من الوجهة الحيوانية أيضاً - دع عنك الوجهة الإنسانية - تركيباً يستلزم لملاقاتها ذلك الثبات والدوام الذي يكون لعلاقة الحارث بحرثه . فكما ان الحارث لا ينتهي عمله في الحرث بمجرد إلقاء البذر فيه ، بل يكون من واجبه بعد ذلك ان يستدبه ويسقيه ويرعاه ويسهر عليه ، كذلك ليست المرأة مجردة بلقي فيها من بحر بها بذرة كيفما اتفق ، فتنبث شجرة برية . بل هي إذا حملت ، تحتاج إلى حارثها برعايتها وكفالتها .

٣ - إن ما بين الزوجين الانسانيين من المأذبة الجنسية ، هو اعتبار علم الأحياء (Biologically) من نفس النوع الذي يوجد في سائر أنواع الحيوان . فكل فرد من جنس واحد يميل ميلاً حيوانياً إلى كل فرد من الجنس الآخر . وما رُكِّب في طباعهم من النزعة القوية إلى التماسك ، يجنب جميع أفراد المصنفين ، الذين يسلطون له صلاً ، بعضهم إلى بعض . فالتانون الذي وضعه فاطر هذا الكون ما كان لينقل عن هذا الجانب الضيق من صطرة لائنسان الحيوانية ، لأنه يكمن فيه ميلان شديد إلى الفوضى الجنسية (Sexual Anarchy) لا يمكن ضبطه وتحديدته إلا بالتدابير الخاصة من التحفظ والاحتياط . وإن انفلت هذا الميلان من قيد مره ، فلا يمنع الانسان شيء من تحويله إلى الحيوان بل إلى أسفل أنواعه . ولقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . (التين : ٤ - ٦) .

الفطرة الانسانية ومقتضاها

إن الطبع الحيواني - كما أسلفنا - كالفرش والاساس في خلقية الانسان ، وعليها رُفئت قواعد إنسانيته . لذلك كان كل ما يحتاج إليه الانسان لبقاء وجوده الفردي ووجوده النوعي ، قد ركب الله في طبيعته الحيوانية التزوج اليه والرغبة فيه والاستعداد لتحصيله . وليس

من مشيئة الفطرة ألا تفضي أية رغبة من تلك الرغبات، أو يُبطل جانب من جوانب ذلك الاستعداد، لأن هذه كلها أيضاً لازمة للإنسان، وبدونها لا يمكن أن يعيش ويبقى نوعه. وإذ تريد الفطرة ألا يتجاوز الإنسان في قضاء تلك الرغبات واستخدام ذلك الاستعداد نحواً حيوانياً محضاً، بل يجب أن يكون طريقه في ذلك إنسانياً بحسب ما يقتضيه طبيعته الانسانية من الأمور، وبرعاية ما جسد في نفسه طلبه من المقاصد فوق الحيوانية. ولهذا الغرض قد وضع الله تعالى حدوداً شرعية، كي تضبط أعمال الإنسان مضاطعة. ثم حذر به إن تسمى تلك الحدود، مثلاً إلى الإفراط أو التفريط، لئلا يبدى إلى الهلكة. «وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» (البقرة: ٢٩). ولتطر الآن أي خصائص الفطرة الإنسانية وهي مقتضياتها في الشؤون الجنسية هي التي يُشير إليها القرآن الكريم:

١ - الذي أودعته الفطرة الإنسانية من نوع العلاقة بين الحسنيين، يفصله القرآن بما يأتي: «وَحَدَّثَ إِلَيْكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً» (الروم: ٣١) وبآية: «هُنَّ لِيَنَاسِرُنَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَنَاسِرُنَّ لَهُنَّ» (البقرة: ١٨٧).

فالآية السابقة في الصفحات الماضية، التي ذكرت كون الإنسان والحيوان مما خلقا أزواجاً، جعلت المقصود بتحقيق الزوجين بقائه النسل

وحده . فالآن قد أفرد الانسان عن الحيوان وذكر من خاصته أنه له من وراء الزوجية مقصداً أسمى وأجل وهو أنه يجب ألا تكون بين زوجيه علاقة شهوة فحسب ، بل تكون بينهما علاقة حب ومودة وأنس ، وعلاقة تألف بها القلوب وتتصل الأرواح ، ويكون أحدهما موضع مبرر للآخر وشريكه في البؤس والرخاء ، ويكون بينهما من الملازمة والاتصال الابدي ما يكون بين الجسد والتوب . هذه العلاقة بين الصنمين - كما سبق أن فصلنا فيه - افقود - هي الصخرة الأساسية لبناء التمدن الانساني . ثم أشهر بقول (لتسكنوا اليها) في الآية ، لي أن المرأة موضع الراحة والسكنى للرجل . وإستوطنتها لفطرية إلا أن تنهي للرجل زاوية امن وسكون وراحة في هذه القريب الملوحة بالمتاعب والمشاق . وهذه الزاوية هي حياة المرء العائيلة التي قد تهاون مآمرها أهل القرب لأجل المنافع الدنيئة . ولحال أن لهذه الشعبة من حياة المرء من التطورة والأهمية ما لساخر شعب التمدن وامرئان . وهذه أيضاً لازمة للحياة التمدنية كلزوم مآثر التصب لها .

٢ - وهذه العلاقة الجنسية لا تقتضي العودة بها إلى الزوجين فحسب ، بل تقتضي مع ذلك أن تكون لكلهما صلة ووحية حميمة بالولد الذي ينتج عن تلك العلاقة الودية بينها . لذلك قد جمعت الفطرة في تكوين الانسان وفي تكوين المرأة طريقة حملها ورعايتها على الاخص ، مما هو كفيء بأن يلا شطاب قلبها بحب الأولاد . فيقول عز من قائل « حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين » (لقمان : ١٤) . ويقول في موضع آخر :

« تَحْلِفُهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ
ثَلَاثُونَ شَهْرًا » (الاحقاف : ١٥) وكذلك حال الرجل ، وإت
كان دون المرأة في حب الاولاد . « ذُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّيْوَآتِ
مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ » (آل عمران : ١٤) . وهذه الهمة والحنان
الطبري تقيم أو صر الصبر والنسب بين أفراد الانساب ، ومن تلك
الاولى تنشأ الاسر والمائلات . ومن هذه تألف القبائل والشعوب
ومن روابط هذه الشعوب والقبائل ينتج التمدن « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَتَجَمَّعَ نَسَبًا وَصِهْرًا » (انقران : ٥٤) « يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا » (الحجرات : ١٣) .

فقرابات الرحم وأواصر الصبر والانساب هي في الحقيقة
مؤسسات بدائية طبيعية للتمدن الانساني ، ويتوقف قيامها على
أن يكون الاولاد من الآباء المبروقين المعلومين ، وتتحفظ الانساب
من الغلط والزيف .

جـ- ومن مقتضى الفطرة الانسانية أيضاً أنه إن تركل الإنسان من
ورائه شيئاً كسبه بكدر بيته ومرض جبينه ، يتركه لأولاده وأقاربه
الذين بقي طول حياته مرتبطاً بهم بقرابات الرحم والدم . « وَأُولُو
الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ » (الأنفال : ٧٥) .
« وَمَا جَعَلْ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ » (الاحزاب : ٥) . ويؤخذ
من ذلك أن حفظ الانساب مما يمتلئ به قصة الميراث أيضاً .

٤. إن غريزة الحياء في الإنسان غريزة طبيعية . ففي جسده أعضاء وأجزاء قد جعلها الله على الرغبة في سترها وإخفائها ، وهذه الرغبة هي التي ما زالت تحض "الإنسان" منذ لأرك على أن يتخذ جسده نوعاً من أنواع النيس . وفي هذا الباب يرد القرآن النظرية الجديدة رداً باتناً يقول :
 "إن أجزاء الجسد الانساني التي قد وضعت فيها الجاذبية الجنسية للرجل والمرأة ، تقتضي الطرة الانسانية أن يعني المرء بسترها ويستحيي من كشفها ، ولكن الشيطان لا يربى يريده على أن يبرزها ."
 "فَوَسْوَسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا ... فَلَمَّا ذُقَا الشَّجَرَةَ بُدِيَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَيْنِ عَلَيْهِ مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ " . (الاعراف ٢٠ - ٢٢) . ثم يقول لقرآن إن الله قد أنزل عليكم الناس لتتخذوه سائرًا لموراثكم وورثةً لأجسامكم . ولكن هذا لستر للموراث ليس كل شيء ، بل يجب مع ذلك أن يستمر تقوى الله قلوبكم . "فَعَدَّ اثْرَانَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَازِي سَوْآتِيكُمْ وَرِيشًا . وَلِبَاسُ التَّقْوَى ، ذَلِكَ خَيْرٌ " . (الاعراف : ٣٦) .

هذه هي التصورات الاسامية لنظام الاجتماع الاسلامي . فاحتميا على ذكره منك ، ثم ادرس الصورة التفصيلية للنظام الاجتماعي الذي قد أسس على هذه التصورات . وعليك في أثناء دراستك هذه ، أن تتحرى بالنظر العميق مبعغ الوحدة والتساقف والمطابقة والارتباط المنطقي الذي يراعيه الاسلام في تطبيق النظريات التي يهدها أساساً لقانونه

على تفصيل الحياة وجزئيتها الممبسة ، الحق أن كل ما عمدها من لقوانين
التي وضمها الانسان ، من نفسها البار المشترك أنها إذا طُتقت في
الحياة ، لا يبقى بين نظريتها الاساسية وتفاصيلها الممبسة ارتباط منطقي
كامل ، متمارض الاسول والفروع ، وتأتي الكليات المدروسة في
الكتب ، مختلفاً مزاجها عن المزاج الذي يتكون للجزئيات المقررة للعمل
والتنفيذ . وربما خلقت العقول في هذه الجبال ، فجاءت بنظرية رائدة
أخسدة ، ولكنها إذا هبطت من عالم التصور والخيال إلى دنيا الحقيقة
والعمل ، وأرادت أن تنفذ نظريتها في الحياة ، فإنها تصار في مساند
هذه الدنيا العملية حيرة تدعها هي نفسها عن نظريتها تلك ، وهذا
الضعف والخلل لا يخلو منه أي قانون من القوانين الوضعية . فهل
الآن ، واضراً بكل ما شادت لك نفسك من الدقة والتفحص في هذا
القانون الذي عرشه على العالم راجع أمي نشأ في قفار العرب ، وما استشار
في وضعه مجلساً تشريعياً أو لجنة مختارة ، هل ترى فيه أثراً لتناقض ،
أو عليه مسحة من عدم الارتباط المنطقي ؟

★ ★ ★

الأصول والأركان

إن أم ما يواجه من المسائل في تنظيم الاجتماع ، هو - كما أسلفناه ذكره في موضع آخر - منح الميلان الجنسي عن الفوضى والبطيان ، وضبطه بضابطة . لأنه لا يمكن بدونه تأليف نظام للمدن . وإت هو أسف بدونه على فرض الحال ، فما هناك من سبيل إلى صون هذا النظام من التبعثر وصون الانسان من لانهطاط الخلقى والفكرى اشديد . من أجل ذلك قد قيد الاسلام علائق الرجل والمرأة بقيود شتى ، وضبطها بهذا لتدبير إلى مركز واحد .

المحرمات :

فالقانون الاسلامي يبدأ - من صنف الذكور والاناث - بالافراد الذين هم مضطرون بطبيعة الحال إلى أن يتشاوروا في مكان واحد ، أو يرتبطوا بعلاقات قريبة ، فيحرم بعضهم على بعض جميعاً ، كالأم والولاء والاب والابنة ، والاخ والاخت ، والعمة وابن الأخ ، واسم و بنت الأخ ، والخال وابن لاخت ، والخال و بنت الاخت ، وزوج الأم وبنت الزوجة ،

وزوجة الأب وابن الزوج ، والحمة ولصهر ، والجد والكنة ، وأخت
 الزوجة وزوج الأخت (في حياة الأخت) والأقارب الرضاعين (سورة
 النساء : ٢٣ - ٢٤) . فؤلاء جميعاً حرّم أحدهم على الآخر ونزّهت
 علاقتهم عن النزعة الجنسية فزعمها لا يكاد أي فرد منهم يتصور منه أن
 يميل إلى الآخر ميلاً جنسياً ، اللهم إلا الاندك البهائم الذين لا تحصى
 يومئذهم لأي ضابط خلقي .

تحريم الزنا

وقد حرّم على الرجل ، بعد هذا التحديد ، جميع النساء اللاتي
 هنّ في عقد غيره من الرجال والمحصّنات من النساء
 (النساء : ٢٤) .

وأما منّ عبدا هؤلاء من النساء ، فقد حرّم عليه أن يتعلّق بهن
 بملافة جنسية مطلقة من كل قيد . « ولا تقربوا الزنا إنّه كان
 فاحشة ومساءً مسيئلاً » (الإبراء : ٢٢) !

النكاح

هذه الحدود والقيود سبّدت على المرء جميع أبواب الموضي الجنسية ،
 ولكنه كان من اللازم لتحقيق مطالب طبيعته الحيواني ، ولإبقاء الطريق
 المعطري المقرر لهذا الكون ، أن يُفتح له بابٌ يمتطي منه حاجته المعطرية .

ففتح له ذلك الباب بصورة النكاح . وأُبيح له أن يقضي حاجته تلك ، ولكن من غير طريق العوض والإباحية ، وفي غير حال التمشرو والخفاء ، بل يفعل ذلك بإعلان منه وتصريح ، حتى يكون من المعلوم المستترف به في المجتمع أن فلاناً وفلاناً قد مضيا في عقد المشرقة واقترنا . «وأُجيب لكم ما وراء ذلك أن : «تَبْتَغُوا بِأَمِّ وَالْبِكْمُ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ... فَتَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ» ... مُحْصِنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَحْبَادٍ » (النساء : ٢٤ - ٢٥) ..

فانظر هذه لاسلام في تحريم الاجتهاد ، إن لملاقة الجنسية التي كانت محرمة ومُستثنى خارج دائرة النكاح عادت في دائرة الزواج مباحة ومُستحسنة ، بل عملاً صالحاً يُؤمر به ويُشكر احتسابه . وليس هذا فحسب ، بل يصح مثل هذه العلاقة بين الزوجين عبادة ، حتى إن المرأة إن سمعت النغمة أو دخلت في الصلاة أو التلاوة فرأى من قضاء حاجة نفسها الشرعية ، كانت آثمة ولم تقبل منها تلك العبادة . ودونك بعض ما رُوِيَ عن النبي ﷺ في هذا الباب : «عليكم بالباهة وإمائه أغصن» البصر وأحصن للفرج ، فمن لم يستصع منكم الباهة فليطيه بالصوم ، فإن الصوم له وجاء ، «والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له . لكي أسوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأنزوج النساء . فمن رغب عن

(١) الترمذي في كتاب النكاح . وفي هذا المعنى حديث في كتابه النكاح

ليجاري .

منشي فليس في (٢١) . « لا تعوم المرأة وعلها شاهد ، إلا » يادته (٢٢) .
 وإذا باقت المرأة مهاجرة فراش زوجها ، اغتبا الملائكة حتى ترجع (٢٣) .
 « إذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهلته » فإن منها مثل
 الذي معها (٢٤) .

وغاية الشرع من كل هذه الوصايا والأحكام أن تُسد أبواب لقوض
 الجنسية كلها ، وتُحصّر العلاقات الزوجية في دائرة الزواج وألا تكون
 خارج هذه الدائرة . ما يمكن - عمر - كانت جنسية من أي نوع . وأما
 المحيطان الذي ينشأ عن مقتضى الفطرة أو عن الأحداث المصادفة ، فيكون
 نهديته وتسكينه ملجأ يلجأ إليه وهو الزوج للزوج حتى يتمكن الإنسان
 من خدمة النظام الاجتماعي بقوة مدخرة مجمعة (Conserved Energy)
 ونفس هادئة سليمة من كل الحركات المضطربة غير الطبيعية ، يستخدم
 عنصر الحب والفرقة الجنسية - الذي قد ركبته الله في كل رجل وامرأة
 لتسيير هذا النظام الكوني - لتشكيل الأسرة وإحكام أركانها . فالزواج
 في الإسلام هو مرفوض من جميع الوجوه لأنه في مجملها الفطرة
 الانسانية والحيوانية كليهما ومحقق مقصود القانون الإلهي . واجتناب الزواج
 محفوت من جميع الاعتبارات لأنه لابد أن يضمن إحدى الميشتين :
 إما أن يجنب الإنسان به تحقيق غاية القانون الطبيعي ، فيضيع قواه في

(١) البخاري : كتاب النكاح

(٢) البخاري : باب صوم المرأة باذن زوجها

(٣) البخاري : كتاب النكاح

(٤) الترمذي : باب ما جاء في الرجل يرى المرأة تصبه .

محاربة الفطرة أو ككتاب عليه مطالب طبعه الحيواني فتكرهه على أن يقضي شهواته باعتراف المحرمة المحاطة .

تنظيم الأسرة

وبعد أن يقرر الإسلام الميكان الجسدي في الإنسان وسيلة لتشكيل الأسرة وإحكامها ، يقيم على تنظيم الأسرة ، ويراعي في هذا التنظيم أيضاً كل ناحية من نواحي قانون الفطرة ، التي قد مر ذكرها ، بآثرها كاملاً . وإن الدرجة السامية من العدل والإنصاف ، التي يلاحظها الإسلام في تعيين حقوق الرجل والمرأة قد سردت تفصيلها في كتاب لي آخر بعنوان (حقوق الزوجين) وبها نعلم أن الإسلام قد أقام بين الصنفين من المساواة ما كان يمكن أن يكون . ولكنه لا يرضى من مساواتها ما يخالف قانون الفطرة . فليمرأة من الحقوق مثل ما للرجل ، من حيث هي إنسان . "دولحن" ميثن "اللندي كسبين" (القرة: ٢٢٨) . ولكن المصيلة لتوعية - بمعنى القوة والتقدم ، لا بمعنى الكرامة والبر - التي هي الرجل من حيث هو زوج فاعل ، قد اعترف به الإسلام له بمقتضى الإنصاف . "دولحن" كسبين "درجة" (القرة: ٢٢٨) وكذلك بعد أن قرّر الإسلام بين الرجل والمرأة علاقة الفضل والمفضول بحسب فاموس الفطرة ، قد نظم الأسرة على ما يأتي من القواعد :

قواعد الرجل

إن الرجل قوام على الأسرة . أي هو حاكم الأسرة وراعيا

ومراقب أفعالها وشؤونها ، وواجب الطاعة لجميع أفرادها إلا أن يأمر بحصية الله ورسوله . ثم هو مكلف بمسألة الاسرة وتزويجها بحسب حاجاتها ، والرجال قوامون على النساء بما فضل الله بهنهم على بعض ووجبا أنفقوا من أموالهم . (النساء : ٣٤) .

والرجل راع على أهله وهو مسئول (١) . « لأصالحات كانت » حافظات الغيب بما تحفظ الله (النساء : ٣٤) .

قال النبي ﷺ : « إذا خرجت المرأة من بيتها وزوجها كاره لعلها كل ملك في السماء وكل شيء مرث عليه غير الجن والإانس حتى ترجع » (٢) « واللاتي يحدقون شؤنهن فيعطونهن » واهجروهن في المتعاصير واضربوهن . فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً » (النساء : ٣٤) وقال النبي ﷺ : « لا طاعة لمن لم يسمع الله » (٣) « ولا طاعة في معصية الله » (٤) « إنما الطاعة بالمعروف » (٥) « ووصيتنا الانساب بأهل بيوتهم حسناً . وإن جاهدك لإشراك في ما ليس لك به علم فلا تطيعها » . (النكاح : ٨)

وهكذا نظمت الاسرة على أن يكون لها راع ومالك أمرها طامح .

(١) البخاري : (باب قوا أنفسكم وأهليكم قاراً) من (كتاب النكاح)

(٢) كشف الغطاء

(٣) رواه أحمد من حديث معاذ .

(٤) رواه أحمد من حديث عمران بن حصين .

(٥) البخاري : كتاب الاحكام .

ومن حاول أن يخل بتنظيم الأسرة هذا فهو عند النبي ﷺ بقوله :
« من أفسد امرأة على زوجها فليس منّا » (١) .

دائرة عمل المرأة

وقد جُمعت المرأة في هذا التنظيم ربة البيت ، وإذا كان على زوجها
كسب لاموال فسيأى تلك لاموال لتدير شؤون المنزل ، والمرأة
رعاية على بيت زوجها وهي مسئولة (٢) ، وقد وضع عنها جميع الواجبات
التي تتعلق بخارج البيت ، فلا تجب عليها - مثلاً - صلاة الجمعة (٣) ، ولا
يجب عليها الجهاد ، وإن كان يجوز لها أن تخرج لخدمة المهادين في ميدان
الحرب ، إذا اقتضت الضرورة ، كما سنذكر ، مما يأتي بشيء من التحقيق .
وأيضاً لا تجب عليها تشييع الخائف ، بل هي قد نهيت عنه (٤) ولم تفرض
عليها صلاة الجماعة ولا حضور المساجد . ولئن كان قد رخص لها في
حضور المساجد بمعنى القيود ، فإنه لم يستحسن منها قط (٥) ، ثم لم يؤذن
لها بالسفر إلا مع أحد محارمها (٦) .

(١) كشف الغطاء للسراني .

(٢) البخاري : باب قوا أنفسكم وأهليكم نوا .

(٣) انظر سنن أبي داود بلب الجمعة للسلوك والمرأة .

(٤) البخاري : باب اتباع النساء للرجال .

(٥) أبو داود : بلب ما جاء في خروج النساء إلى المساجد .

(٦) الترمذي : باب ما جاء في كراهية أن تسافر امرأة وحدها . وأبو داود .

باب في المرأة تخرج غير محرم .

صفوة القول أن خروج المرأة من البيت لم يحدد في حال من الأحوال . وخير المحدثي لها في الإسلام أن تلتزم بيها ، كما تدل عليه آية . « وَفَرَّقَ فِي بُيُوتِكُنَّ » ، دلالة واضحة (١) . ولكنه لم يشدد الإسلام في هذا الباب تشديداً لكون خروج المرأة من بيتها

(١) قد ذهب بعض الناس إلى أن هذا الأمر خاص بالأزواج التي صلى الله عليه وسلم ، لابتداء الآية بخطابه : يا أيها النبي . ولكننا نقول : أي وصية من الوصايا الواردة في هذه الآية مضمومة بأحكام المؤمنين دون سائر الناس فقد قيل فيها : « إِنْ أَهْبَيْتُمْ فَلَا تَخْشَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي لِبَاسٍ مَرْسُومٍ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا . وَفَرَّقَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَمَرَحْنَ بِرِجَالِكُنَّ الْمَهْلِكَةِ الْأُولَى . وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَحْسِنْنَ الْقَوْلَ » . وقد ورد في قوله : « فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي لِبَاسٍ مَرْسُومٍ » . أي أمر منها لا يصل جامعة النساء المسلمات ؟ وهل النساء المسلمات لا يجب عليهن أن يهبن ؟ أو قد أيسر لهم أن يهبن بالقول ويكلمن الرجال كلاماً يهينهم ويشتبههم ؟ أو يجوز لهن أن يهجن ريج الماهلية ؟ ثم هل ينبغي لهن أن يركن الصلاة والزكاة ويهجن من طاعة الله ورسوله أو هل يريد الله أن يركن في الرحمن وإذا كانت كل هذه الأوامر والأرشادات صفة لجميع المسلمات في الميراث فلهي كلمة « وَفَرَّقَ فِي بُيُوتِكُنَّ » وحدها بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

إن مصدر الهمم الخاطيء في الحقيقة هو مبتدأ الآية : « يا أيها النبي » ليس كأحد من النساء . ولكن هذا الأسلوب لا يختلف - مثلاً - عن قولك لولد غيب : يا بني لست كأحد من عائلة الأولاد حتى تطوف في الفوارع وتأكل بما لا يليق من الحركات صلبك بالادب واللياقة . فقولك هذا لا يعني أن سائر الأولاد يحدد فيهم طوائف الفوارح ويتبان الحركات السيئة ، ولا يطلب منهم الادب واللياقة . بل المراد بمثل قولك هذا تحديد مظهر الحسن الأخلاق وفضائلها ، لكي يحبو إليها كل ولد يريد أن يعيش =

قد يكون من اللازم في بعض الاحوال ، كأن لا يكون لها قيم من الرجال أو تضرر إلى العمل خارج البيت لخصاصة قيم الأسرة أو ضالة ماشه أو مرضه أو عجزه أو سبب آخر من هذا القبيل . فكل هذه الاوضاع والاحوال قد جعل لها في القانون مندوحة ومُتَسِمِحٌ ، وجاء في الحديث : «قد أدن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن»^(١) ولكن مثل هذا الاذن قد منحته المرأة مراعاةً للاحوال والضرورات فصعبٌ ، لا يغير شيئاً من القاعدة الرئيسية في نظام الاجتماع الاسلامي ، وهي أن دائرة عمل المرأة هي البيت . وليس الاذن بخروجهن منه إلا "رخصة" وتيسيراً ، فيجب ألا يحمل على غير معانيه ومقاصده .

— كتحريم الاولاد في بؤعه . وقد اختار القرآن هذه الطريقة لتوجيه النساء لأن نساء العرب في الجاهلية كن على مثل الحرية التي توجد في نساء الغرب في هذا الزمان وكان العمل يدوراً على مبادئهم الحضارة الاسلامية شيء من التبريع ، وتعيين حدود الاحلاق وقيود الضابط الاجتماعي على يد النبي صلى الله عليه وسلم . هي تلك الاحوال التي الاسلام ينظم بنسق حياة أمهات المؤمنين بضابطة هي وجه خاص ، حتى يكن لأسوة لسائر النساء وتتبع طريقتين وعادتين في بيوت عامة المسلمين .

هذا الرأي قد أبداه العلامة أبو بكر الجصاص في كتابه : «أحكام القرآن» فيكتب : « وهذا الحکم وإن أذن عاماً في النبي صلى الله عليه وسلم وأتوابعه ، فلهذا عام فيه وفي غيره . إذ كنا مأدورين بشريعة والافتد به ، إلا ما خصه الله به دون أمته » (الجزء الثالث : الصفحة ٤٥٠) .

(١) البخاري : باب خروج النساء لحوائجهم . وفي هذا المعنى حديث في المسلم باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الانسان .

التجود المزمع

وقد مكنت المرأة البالغة كثيراً من الحرية في شؤونها الشخصية . ولكنها لم تُمنح حرية الإرادة والاختيار مثل ما أعطيه الرجل البالغ . فللرجل - مثلاً - أن يخرج في السفر إلى حيث يشاء وأذى يشاء . ولكن المرأة - بكراً كانت أم متروكة أم أرملة - يجب أن يصاحبها في السفر محرم . ولا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسفرةً بكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا "ومها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو حرمة منها" . وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : " لا تسافر المرأة مسيرة يوم وليلة إلا "ومها محرم" (١) . وعن أبي هريرة أيضاً أنه ﷺ قال : " لا يحل لامرأة مسلة تسافر مسيرة ليلة إلا ومها رجل ذو حرمة منها " (٢) .

أما الاختلاف في تعيين مقدار السفر في هذه الروايات ، يدل على أن الأهمية ليست لمدة اليوم أو اليومين ، بل الأهمية كلها لثلاث ليالٍ للمرأة من حرية التنقل والسفر ما يؤدي إلى الفتنة . لذلك ما اهتم النبي ﷺ بتعيين مقدار لهذا السفر بل قال فيه أقوالاً مختلفة مراعاة للوقت والمناجبة في مختلف أحوال السائلين .

ولم ير له كل الحرية في أمر نكاحه . فله أن ينكح ما يطلب له من

(١) الترمذي : باب ما جاء في كراهية أن تسافر المرأة وحدها .

(٢) أبو داود : باب في المرأة تخرج بغير محرم .

الاسلمة أو من نساء أهل الكتاب . وله أيضاً أن يتمتع بأمتته . ولكن
 المرأة لم يجعل لها كل هذه الحرية والاختيار . فلا يجوز لها أن تنكح رجلاً
 من غير المسلمين . « لَاهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ » .
 (الممتحنة : ١٠) وكذلك لا يجوز لها التمتع ببيدها . ولم يخص لها القرآن
 من التمتع بملك اليمين مثل ما رخصه للرجل . وحدث في زمان عمر
 رضي الله عنه أن امرأة "أخطأت" تأويل الآية « مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » ،
 فتمتعت ببيدها . فلما بلغ ذلك عمر ، عرض الأمر على مجلس شورى من
 الصحابة ، فأجمعوا على الإفتاء عابها بقولهم : « قُبِضَ اللَّهُ تَائِبًا » كتاب
 الله غير تأويله . « وامرأة أخرى استأذنت عمر في مثل ذالك ، فشدد
 عقوبتها ، وقال : « لَنْ تَزَالَ الْحَرْبُ بِخَيْرٍ مَا مَنَعَتْ نِسَاءُهَا » (١) .

وأما إذا استثنى الكافر والمبدع ، فالمرأة لها الحرية في انتخاب زوجها
 من أحرار المسلمين ، ولكنه يجب عليها في هذا الأمر أيضاً أن تراعي
 رأي أبي وجدها وأخوها ومائت أوليائها . ولا ريب أنه ليس بالأولياء أن
 يُنكحوها أحداً بغير رضاها لقول النبي ﷺ : « الْإِثْمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهِ مِنْ
 وَلِيِّهَا » . ولا تُنكح البكر حتى تستأذن . ولكنه لا يُلَاقِ بالمرأة كذلك
 أن تنكح من تشاء من الرجال بغير رضا الرجال المسؤولين من أسرتها .
 لأجل هذا قد استعمل القرآن الباب الثلاثي من صك تنكح ينكح كلها
 تكلم عن الرجال فقال : « وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرَكَاتِ » (البقرة : ٢٢١)

(١) كشف الغنة الصوفي

هو «فَانكِحُوهُنَّ بِوَدَنِ اَهْلِيهِنَّ» (النساء: ٢٥) ولكنه استعمل باب الإفعال من هذا الفعل حتى كان الكلام في النساء فقال : «وَأَنْكِحُوا الْأَبْنَاءَ مِنْكُمْ» (النور: ٣٣) «وَلَا تُنْكِحُوا الْأَخْصَانِ حَتَّىٰ يَتُومَيَا» (البقرة: ٢٢١).

ومعنى ذلك أنه كما أن المرأة المتزوجة تابعة لبلعها ، كذلك الرجل تابعة للرجال المسؤولين من أسرته. وليست هذه التبعية مصادرة لعدم الخبرة لها في شأنها . بل أراد بها أنه لا كان الرجل هو المسؤول عن حفظ النظام الاجتماعي من اذوى والاختلال وسبب أخلاق الأسرة وشؤونها عن الفتن الداخلية والخارجية ، فقد عُرض على المرأة - حفظاً لهذا النظام - أن تطيع الرجل الذي هو مسؤول عنها سواء كان ذلك الرجل بلعاً أو أباً أو أخاً .

حقوق المرأة

وكذلك حينما سئِمَ الاسلام بقول : «مَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ» (حقيقة طبيعية ، فقد قرأ منه على وجه الصحة واليقين أن للرجال عليهن درجة. فهو يترق بالفرق الذي يوجد بين المرأة والرجل بدلالة علم الأحياء وعلم النفس ، وبراعته وبقي عليه مقدار الصحيح ، ثم يحدد وظائف الصنفين ودرجاتهما بحسب نوعية ذلك الفرق وكيفيته.

ونأتي بعد ذلك مسألة هامة هي تقرير حقوق المرأة . والاسلام قد
لاحظ في تقرير هذه الحقوق أموراً ثلاثة :

أولها منع الرجل أن يُسيء استعمال ماخوذ من صلاحيات
الحكم والامور على الاسرة لاجل حفظ نظامها فحسب . فيتمتعها أداة
نظم المرأة ، حتى تمود علاقة الناج والتبوع بين المرأة والرجل كملاقة
الخدام والمالك فعلاً .

والثاني أنه يجب أن يتاح للمرأة كل الفرص التي تستطيع بها
أن تنمي كفاءاتها ومواهبها العقلية ، في حدود النظم الاجتماعي ،
بأكبر ما أمكنها ، وتقوم بتصويبها من العمل لتتمتع التمدن على أحسن
وجه ممكن .

والثالث أنه يجب أن يكون من الممكن الميسور لها أن تبلغ أعلى
مدرج النجاح والرفق ، ويجب مع ذلك أن يكون كل رغبها ونجاحها من
حيث هي امرأة ، إذ ليست محكتها بالرجال من حقوقها الواجبة . وليس
بما يرفع التمدن أو المرأة نفسها أن تنأى وتعد لتعيش حياة الرجال ، ولاهي
تستطيع أن تمتع في ذلك النمط من الحياة .

فالذي قد منح الاسلام المرأة من الحقوق المدنية والاقتصادية الواسعة
مراعياً هذه الامور الثلاثة مراعاة تامة وما خولها من درجات المن
والكرامة العالية ، ثم منهيها لها في أحكامه الخلقية والقانونية من الضمانات

الثابتة الدائمة لحفظ هذه الحقوق والدرجات ، لاشك أنه لا يوجد لكن ذلك ظير في أي نظام اجتماعي قديم أو جديد في العالم .

الحقوق الاقتصادية

إن أم وألزم ما نتحقق به منزلة الانسان في التمدن ، وما يحفظ به الانسان منزلته تلك ، هو استحكام حالته الاقتصادية والحق أن جميع القوانين في هذا العالم - منفلا لإسلام - قد وضعت المرأة من الجهة الاقتصادية . وقد كان هذا السجر الاقتصادي في المرأة أكبر أسباب عيوديتها . وأرادت أوروبا في العهد القريب أن تبدل هذه الحالة ، ولكن بأن تجعل المرأة عضواً كاسباً في المجتمع . فادى الامر إلى مفسدة أخرى أكبر من الاولى ، أما الاسلام فقد اتخذ بينها طريقاً وسطاً . وذلك أنه حول المرأة حقوقاً واسعة في الميراث . فهي تراث أبها وزوجها وأولادها وغيرهم من أقاربها (١) ثم جعل لها أن تأخذ من زوجها المهر . وكل ما يجتمع لديها من هذه الوسائل من الاموال ، قد منحها فيها كل حقوق الملكية والقبض والصرف . ولم يميز لأبها أو زوجها أو أحد آخر أن

(١) قد جعل للمرأة في الميراث نصف حظ الرجل . والسبب فيه أن المرأة خوى النفقة والمهر التي ليست للرجل . ولا تحب غفلتها عن زوجها صعب ، بل تحب كمالها على أبيها أو أخيها أو ابنها أو ولي لها آخر إذا كانت بكر أو أماً فلما كانت للمرأة براء من تلك التبعات التي قد تكلف بها الرجل ، فمن الاصفاء أن لا يكون لها في الميراث مثل نصيب الرجل .

يتدخل في شيء منها . وفوق ذلك أنها إن كسبت ثروة بتسخير أموالها
بالتجارة أو بمجدها وعملها الشخصي ، فهي مالكة لها أبصاً عن كل الوجوه
ومع هذا كله يجب على زوجها أن يؤدي إليها نفقتها في كل حال . .
ومما كانت الزوجة عليه من الفنى و الثروة ، فمن ذلك لا يبرئ زوجها
من أداء نفقتها . وهكذا قد أحكمت في الاسلام حالة المرأة الاقتصادية
بحكاماً ربما تكون به أصلح حالا من الرجل .

المفروق التمهيدية

١ - قد تحمل المرأة كل الحق لاختخاب زوجها ، ولا يجوز لأحد
أن يتكبحها بشير رساها أو يدون إذنها ، وإن هي تكبت مسلماً حراً
بغيب خاطرها . فليس لأحد أن يمنها من ذلك اللهم إلا ان تختار نفسها
رجلاً من طبقة لا تُكافى سرتها في المكانة الاجتماعية ، بحيث لاولينها
عندئذ أن يعترضوا على اختيارها .

٢ - وقد خولت المرأة حقوقاً واسعة في طلب العلم و التسخير والتفريق
باز - زوجها إن كان بيضاً او غلاماً او عتيقاً .

٣ - وقد أوصى الرجل بالتزام السباحة والمساواة . لحسنة ، في استعماله
السلطة التي قد حباها الاسلام له على المرأة . فيقول الله تعالى :
« وَعَشِيرَتُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ » (النساء : ١٩) « وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَمْرَ
الَّذِي يَتَّبِعُكُمْ » (البقرة : ٢٣٧) . ومن أقوال النبي ﷺ : « خيركم خيركم
لنساءه وألطفكم بأهله » وليس ما قيل في هذا الصدد هو من باب الوصايا

الاخلاقية فحسب بل الأمر أن الرجل إن ظلم وجار في استعمال تلك السلطة ، كان للمرأة أن تستعين عليه بالقانون .

٤ - قد جعل الأرملة والمطلقة والتي فُسخ نكاحها بالقانون أو مرضي بينها وبين زوجها ، حق النكاح الثاني بلا قيد أو شرط وقد صرح بأنه لا يرق عليها زوجها السابق أو لأحد من أقاربها من مسيل ، بعد ذلك ، وهذان الحقوق التي لم تعطها المرأة حتى في أكثر ممالك أوروبا وأميركا إلى يومنا هذا .

٥ - قد أقيمت المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في القوانين المدنية والجنائية . ولا يفرق القانون الإسلامي بينها في حفظ الآلئس والأموال والأعراض .

تعليم المرأة

إن الإسلام لم يكنف بأن أجاز تعليم المرأة العلوم الدينية والمدنية ، بل هو قد حدث عليها وجعل تعليمها وتربيتها لازماً كالزومة للرجال . فكانت النساء على عهد النبي ﷺ يتلن منه الدين والأخلاق كالرجال وكان لني قد جعل لمن موعداً كن يحضرنه فيه للتعلم . ثم كات أرواجه المطهرات ولا سيما عائشة رضي الله عنها ملحات يأخذ عنهن الرجال كما تأخذ عنهن النساء . وكان كبار الصحابة والتامين يتلقون عنهن الحديث والتفسير والفقه ولم يقف هذا الأمر على الأحرار والاشراف وحدهم ، بل كان

النبي ﷺ أمر حتى بالإماء أن يُمتحن . فمن حديثه : أيا رجل كانت عنده وليدة فليهدى فأحسن تعليمها وأحبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها ونزوجه .
قله أجزائ (١)

ويتضح من ذلك أن التعليم والتربية في ذاته لم يميز فيه الإسلام بين الرجل والمرأة ، ولكنه لا يرب يفرق بينهما من حيث نوعيته . فأصبح التعليم والتربية للمرأة من وجهة نظر الإسلام هو الذي يجعلها زوجة مثالية وأماً وقوماً وربة بيت مديرة وإذا كان مجال نشاط المرأة هو البيت ، فيجب أن تُعلم المرأة على وجه خاص ، ثبت العلوم التي تجعلها نافعة إلى أسد حد ممكن في هذا المجال . وتلزم لها ، بعد ذلك ، تلك العلوم التي تعم المرأة الإنسانية وتهدب من أخلاقه وتوسع من آفاق نظره . فمن الواجب على كل مسلمة أن تتحلى بهذه العلوم وهذه التربية ، ثم إذا كانت امرأة قد آتتها الله من ذلك عقلاً خصباً وفكر أعير عادي ، فصبغت نفسها إلى أن تتعلم ما بعد ذلك من العلوم واقتنوه ، فالإسلام لا يمرض سبيلها دونه مادامت لا تتعدى الحدود التي وضعها الشرع لئلا تفسد نفسها .

تحرير المرأة بالمعنى الصحيح (Emanicipation)

هذا ما يطلق بحقوق المرأة فصيح . ولكنه لا يقدر منه ذلك إلا حصلاً . العظيم الذي قد أولاه ، للإسلام المرأة . فهذا تاريخ الاجتماع الإنساني شاهد كله بأن وجود المرأة في هذه الدنيا كان عنوان القوة والخصوبة والإتم . فكان من الضرر والفتنة للأب أن تولد له بنته . وكانت قرابات الخلق تُعد

(١) البخاري : كتاب النكاح

حين القرايات الساخنة الرملة. وفي لفتنا الارضية لا تزال كلتا (لحوي) والخن) تستعملان إلى هذا اليوم بمناحي الشتم واسببه تبعاً لذلك التصور الجاهلي. وكثير من الامم راج فيها وأد البسات تقديماً من هذا المار^(١). وتد ظل العلماء وزعماء الديانات - مع الجلاء - يستحثون ويتناقشون، على طول القرون، في أن امرأة هل هي إنسان أو غير إنسان؟ وهل قد حدها في روجاً أم لا؟ وكانت الفريضة الهندكية قد سدت أبواب تسليم (الويد) على المرأة، والديانة البوذية لم يكن فيها سبيل للتجاة لمن اتصل بامرأة. وأما النصرانية واليهودية، فكانت امرأة هي مصدر الاثم ومرجعه فيها. وكذلك اليونان لم يكن لثبات الخدر عديم علم ولا حضارة ولا ثقافة ولا حقوق مدنية. وكانت المرأة التي تتمتع بكل ذلك في المجتمع هي ابوسة ليس غير. وعلى مثله كانت الحال في الروم وفارس والصين ومصر وما عداها من مراكز الحضارة الانسانية. فكانت اليهودية والحكومية والمقت العام الذي كان قد لارم المرأة على طول القرون، قد عا من نفسها الشعور بالكرامة وعز النفس. فكانت هي بنفسها قد نسبت ان لها في الدين حقاً تستحقه أو مكانة اجتماعية لها أن تتمتع بها. بل كان الرجل يمد من حقه أن يظلم المرأة وهي تمد من وجبها أن تصبر على ظلمه. وكان قد ركز في نفسها من شعور اليهودية بما يجملها تفشخراً بأن تدعو نفسها (داسي)

(١) يذكر القرآن هذه العلة الجاهلية بأسلوبه البليغ: «وإذا بهر احدكم بالاشي ظل وجهه مبرداً وهو كظلمه يتوارى من القوم من سوء ما بهر به، أجهكه على هوذا أم يدسه في التراب» (النمل: ٥٨ - ٥٩)

أي أمة زوجها ، وتؤمن ، (بني ورتا) أي اتحاد المرأة زوجها ، مسموداً لها وإلها (١) .

فالذي جاء وأحدث في هذه الأوضاع انقلاباً عظيماً ، لا من الجهة القانونية والعملية فحسب ، بل من الجهة الفكرية أيضاً ، هو الدين الإسلامي الخفيف . هو الذي أصلح من عقلية الصنفين - الرجل والمرأة - كليهما . ثم هو الذي بث في الق ذهن الانساني تصور عز المرأة وكرامتها وحقوقها . فكل ما تسمع به اليوم من كلمات : حقوق المرأة وتعليم الابات ونهضة النساء ، هو دوي لصدى الاسلام الانقلابي الذي صدم به النبي محمد ﷺ ، والذي بدّل من مجرى الفكر الانساني للأبد . فهذا نبي هو الذي علّم الدنيا أن امرأة انسان كارجي . وختلفكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، (النساء : ١) وأنه لا فرق بين المرأة والرجل عند الله تعالى ولا يرجل نفسيهما ككثنيوا وللبساء نصيب مما اكتسبن ، (النساء : ٣٤) وأن درجات الارتقاء الروحي التي يستطيع أن يهاها الرجل بالآية والعمل الصالح ، هي ميسورة للمرأة أيضاً . وإذا كان الرجل يستطيع أن يرتقي إلى مقام (ابراهيم ن آدم) ، فلا شيء يمنع امرأة أيضاً من أن تبلغ في الكمال الروحي مسرع (الزوجة البصرية) : فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى . بمصنكم من بعض .

(١) تصورن من تصورات الخصب الهندكي . والعظيمة مرفوعة فيه في اليوم .

(آل عمران : ١٩٥) . «وَمَنْ يَحْمِلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ» ، «وَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا» (النساء : ١٢٤) .

ثم إن محمداً ﷺ هو الذي نبه الرجل ، وفي الوقت نفسه أشعر المرأة بأن المرأة على الرجل مثل ما للرجل على المرأة ، «وَأَلْهَمْنِي مِثْلَ الَّذِي عَلَّمْنِي» (البقرة : ٢٢٨) وهو الذي أنقض المرأة من قرار الفلقة وأما ودفعها إلى مقام العز ، وهو الذي أكد الوالد بأن وجود الابنة في بيتك ليس بضر أو عجز لك ، بل أنت إداريتها وعرفت لها حقها ، استحققت الحجة ، فقال ﷺ : «من عال جارين حتى يبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو ، وضم أصابعه» (١) و «من ابتلي من النساء شيئا فاحسن اليهن» كمن له ستر من النار» (٢) . وكذلك هو الذي علم الزوج أن الزوجة الصالحة أكرم نعم الله عليك في هذه الدنيا . «خير متاع الدنيا المرأة الصالحة» (٣) «حبيب إلي من الدنيا النساء والطيب» وحظت قرة عيني في الصلاة» (٤) «ليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة» (٥) . ثم هو الذي وصي الآن بأن أحق خلق الله بالإكرامه

(١) مسلم : كتاب البر والصلة والآداب

(٢) مسلم : كتاب البر أيضا

(٣) الترمذي : كتاب النكاح

(٤) الترمذي : كتاب تهفة النساء

(٥) ابن ماجه : كتاب النكاح

وتنظيمه وحسن ممالكه بئد الله والرسول هو أمه . . . سأله رجل :
يا رسول الله من أحق بحسن صحابي ؟ قال أمك . قال ثم مني ؟ قال :
أمك . قال ثم من قال : أمك . قال : ثم مني ؟ قال : أبوك . (١) . إن
لله حرم عليكم عقوف الأمانات . (٢) .

وأيضاً هذا النبي ﷺ هو الذي بين للإنسان أن شدة المواقف
ورقة الاحساس والازوم إلى التطرف ، كل ذلك من فطرة المرأة التي قد
خطر بباله عليها ، وليس ذلك بطريق لألوة بل هو ميزتها وجعلها ، وكل
ما يمكن أن تصيبه منها من فقر ، فليس بمعيه ، لا بأن تدعو على طرتها
فلك . وإذا حاولت أن تجعل حيلة مستقيمة كالرجل كسرتها ، المرأة
كالضلع إن اقتها كسرتها ، وإن استمتعت بها ، استمتعت بها وفيها عوج^(١٣) .

وكذلك فإن محمدًا ^{صلى الله عليه وسلم} هو المصلح الأول - وفي الحقيقة المصلح الآخر - الذي بدل من عقيدة الرجل، بل من عقيدة المرأة نفسها، بالنسبة للمرأة، وست فيهم مكان عقليتهم الجاهلية عقلية يستندة صحيحة، لا تصدر عن السواطط، بل تقوم على العلم والعقل النضج. ثم إنه ^{صلى الله عليه وسلم} لم يكف بالاصلاح الداخلي بل مهد لاسباب المحافظة على حقوق المرأة، ومنع عدوان الرجال عيّن بقوة القانون. وأحدث فيهن من الوعي ما يرقن به حقوقهن الشرعية ويستمن بالقانون على الجاهل عليا.

(۱) لیخاری : کتاب الادب

(٧) البحاري : كتاب الادب

(٣) البحري : قام بمباراة النساء

وفي ذات النبي ﷺ كانت النساء قد وجدن لانهن نصيراً مشفقاً
 وملجأً كن يشكين اليه أدنى اعتداء الرجال عليهن بلا حرج .
 وكان أزواجهن يحذرون أن يبدن منهم اليهن ما يشكينه إلى النبي ، وقد
 روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال : « كنا نتقي الكلام والانبساط
 إلى نساءنا على عهد النبي ﷺ هبة أن ينزل فينا شيء » . فلما توفي النبي ﷺ
 شكمتا وانبطنا » (١) .

وقد ورد في سنن ابن ماجه أن كان النبي ﷺ قد أمر أن لا تصروا
 إماء الله . فجاء عمر إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله : قد ذهبت
 النساء على أزواجهن فخرن النبي في ضربهن وكان الرجال عالمًا كظلموا
 الميظ في أنفسهم ، فضربت ذلك اليوم سبعون امرأة في بيوتهن . فلما
 كان الغد اوردحت النساء على باب النبي ﷺ ، فمدت اليهن فخطب : « لقد
 طاف الليلة بآله محمد سبعون امرأة ، كل امرأة تشكي زوجها ، فلا
 تجدون أوائلك خياركم » (٢) .

هذا الاصلاح اخيقي والقانوني هو الذي قالت (أراءه) بفضلها في المجتمع
 الاسلامي مكانة سامية يتلوه من تطورها على مجتمع آخر في هذا العالم .
 فالمرأة المسلمة ميسورة أن تسمو في النواحي المادية والعقلية والروحية
 إلى أعلى مدرج المزي والرفي ، التي يستطيع أن يمنح الرجل ، في الدين

(١) البخاري : باب الوصاة بالنساء

(٢) ابو داود وابن ماجه والدارمي

والدنيا . وليس كونها امرأة ليحول بينها وبين ثبوتها أي مرتبة من مراتب الشرف . وإن الدنيا تنخفض وراء الاسلام في هذا الامر ، حتى في هذا القرن العشرين . ولم يرتق الفكر الانساني بعد إلى ما ارتقى إليه الاسلام ، فكل ما قد أعطاه القرب للمرأة لم يعطه إلاه من حيث هي امرأة ، بل كل ذلك بعد أن جردها من الطبع الانثوي ، وصيرها رجلاً أو شبه رجل . أما المرأة بذاتها ، فلا تزال في عينه خلقاً مهيناً في الخيمة ، شأنها في عصور الجاهلية الأولى . فليس لومة لبيت وزوجة الرجل وأم الاولاد وكلمة أخرى ليس للمرأة ابنافية على طبيعتها وحقيقتها من عز أو شرف عنده حتى في هذا الزمان . وإعنا الشرف والكرامة كلها لذلك (الرجل) المؤنث الذي يكون في فئة جده «مرأة» وفي وضعية عقله وفكره رجلاً ، ويعمل للتمدن والاجتماع عمل الرجال ، فيدعي أنه ليس ذلك منهم تكريماً للأفئدة ، بل هو تكريم للرجولة . ومن البرهان الواضح على شعور المرأة النفسي في القرب بنقصها وتخلّفها (Inferiorty Complex) أنها تلبس لباس الرجال بكل فخر على حين لا يخطر ببال أحد من الرجال أن يخرج من بيته في لباس المرأة . ومن السبب والعار عند ملايين النساء أن تكون إحداهن زوجة ، بينما لا يتجمل رجل من كونه زوجاً ، وأن النساء يعتزون بمحاولة أعمال الرجال ، ولا يعتز أحد من الرجال بأعمال نسوية خالصة كتدبير المنزل وتربية الاطفال . لذلك من الحق الذي لا يمكن أن يرد أو يكابر فيه أن القرب لم يكرم المرأة من حيث هي امرأة .

وليس غير الاسلام هو الذي قد أكرمها وعظم شأنها واهتموا بموضعها
انطوي ، ورفع بذلك مقام الأنوثة بالمعنى الصحيح . فالتعدي لاسلامي
يصح كلا الصنفين موضع الطيبي - الرجل موضع الرجل والمرأة مكان
المرأة - ويستعظمه للأهمل التي قد أعدته الفعارة لها . ثم يهيئ له فرص
المرز والرق والتجاح على حد سواء واضعاً إياها في مكانه . وذلك أن
الذكورة والأنوثة عند الاسلام من الاجزاء اللازمة للانسانية ، وسواء
أهميتها لتعمير التمدن . وكل ما يؤيدان من الخدمات في دائرته ، هو مفيد
لتمدن على سواء ، وجدير بالتقدير نفسه . ولا فضيلة للذكورة ، ولا
ذل في الأنوثة . وكما أن عز الرجل ورقية ونجاحه ، هو في أن ينقي على
رجوليته ويقوم بواجبات الرجال ، كذلك عز المرأة ورقية ونجاحها في
أن تظل امرأة وتؤدي واجبات النساء . ومن شأن التمدن الصالح أن
يضع المرأة في دائرة عملها الطبيعية ثم يعطيها كل الحقوق ، ويكرمها ويمظم
شأنها ويشجع مواهبها الكاملة بالترقية والتأهيل ويضع أمامها سبل الرقي
والنجاح في دائرة عملها تلك .

التَّحْفُظَات

هذه صيغة كاملة لنظام الاجتماع الاسلامي ، قدمرضاها في المصححات
الماضية . وهنا ، قبل أن يتقدم القارئ في البحث يتحسَّن به أن يبيد
النظر في الخصائص البارزة لهذه الصيغة ، فمما يروم هذا النظام
الاجتماعي :

١ - أن يظهر الوَسَط الاجتماعي من كل محرّكات الشهوة وعوامل
إعرائها وتبيجها بقدر الإمكان ، حتى يكون لقوى الإنسان الفكرية
والجسدية أن تنشأ وترقي في جوّ هاديّ مطهر ، ويتمكّن الإنسان
من أن يقوم بنصيبه من العمل لتميز التمدّن بقوة موهورة مدّخرة .

٢ - أن تكون العلاقات الجنسية محدودة في دائرة الزواج أما
خارج هذه الدائرة ، فلا يُسدّ فيه باب اقوضى لعملية تعصب ، بل باب
التحرود الفكري أيضاً ما أمكن .

٣ - أن تكون دائرة عمل الرجل منفصلة عن دائرة عمل المرأة
ويكلف كل منها بخدمات تدنيّة مختلفة وفقاً لطبيعته ومقدرته الجسدية

والمقلىة . ثم ننظم علاقتها نظماً يجعلها متوازنة ، ونبين متعاضدين في حدود الشرع . ولا يكون لأحد منها أن يتجاوز تلك الحدود ، فيتدخل في شؤون الآخر .

٤ - أن تكون منزلة الرجل في الأسرة منزلة القوام ، ويكون جميع أفراد الأسرة مطيعين لرب البيت .

٥ - وأن يتمتع كل من الرجل والمرأة بالحقوق الإنسانية الكاملة ، ويبتاع له أحسن القُرَاس للتقدم والرفق ، بدون أن يتجاوز الحدود المرسومة له في نظام الاجتماع .

وإن النظام الاجتماعي الذي قد شيدت أركانه على هذه السبعة ، يحتاج إلى تحفظات ، تضمن لحياته البقاء بخصائمه جيدة . والذي يتخذ من الإسلام من هذه التحفظات ، هو من أنواع ثلاثة :

١ - إصلاح الباطن .

٢ - قوانين العقوبات .

٣ - التدابير الوقائية .

وهذه التحفظات الثلاثة قد اقتُرحت كلها مراعاة للاهتمام التامة لمزاج النظام الاجتماعي ومقاصده . فهي تحفظه وتقوي أمره بفاعلهاماً .
فإصلاح الباطن يربّي الإنسان نزيهةً فعمله على إطاعة هذا النظام

الاجتماعي من تلقاء نفسه ، سواء أكان هناك في خارجه قوة تذكره
على الإطاعة ، أم لم تكن .

وقانون العقوبات يوجد باب الجرائم التي تقض هذا النظام
وتهدم أركانه .

وبالتدبير الوقائية تروج في الحياة الاجتماعية عادات وظرفيات تظهر
بيئة المجتمع من المنغريات المتصنعة والمحرمة كانت غير الطبيعية . وتقلل من
إمكان القوض الجنسية إلى أبعد مدى . فالذين لا يتم إصلاح باطنهم
بالصميم الخلقي ، ثم لا يخضعون لقانون العقوبات ، تقيم هذه الطرق
الاجتماعية في سبيلهم من العقبات ما يصعب عليهم الإقدام العملي على
القوض الجنسية ، برغم كونهم سائين . إنما ، ثم هذه الطرق هي التي نفوق
بين دائرتي خمس المرأة ورجل يا فقل ، وتقيم نظام لأسرة على صورتها
الإسلامية الصحيحة ، وتحافظ على الحدود التي قد رسمها للتمييز بين
حياة النساء وحياة الرجال .

إصلاح الباطن

إن الإطاعة في الاسلام قد بُنيت كلها على الايمان . فالذي يؤمن بالله
وبكتبه ورسله ، هو وسعته المكلف في الحقيقة بأوامر الشرع ونواهيه .
وبكفيه لعله على اقتناع بأوامره واجتناب نواهيه ، عنه بأن الله قد أمره
بكذا ، ونهاه عن كذا . فالرجل المؤمن إذا علم من كتاب الله ، أن الله

سبحانه ينهى عن الفحشاء والمنكر ، يقتضيه إيمانه أن يتجنبه ولا يميل إليه حتى في قلبه ، وكذلك إذا علمت مؤمنة ما قد قرّر لها الله ورسوله من المنزلة في المجتمع ، فما يقتضيها إلا أنها أن تقبل تلك المنزلة طائفة راضية ولا تمدّي حدودها ، وبذلك بتوقّف اتباع المرء للإسلام اتباعاً كاملاً صحيحاً في دائرة الأخلاق والاجتماع أيضاً ، كسائر شعوب الحياة ، على الإيمان وحده . ومن هذا ترى الإسلام قبل أن يوصي الناس في الأخلاق والاجتماع ، يدعوهم إلى الإيمان ويمنّي بتثبيتته في قلوبهم .

وأما هذا هو المدير الاسامي الذي يشجّه الإسلام لإصلاح الباطن وهو لا يتعلّق بشؤون الأخلاق فمصعب بل بالنظام الاسلامي بأجمعه . ثم إن الإسلام قد شجّع في دائرة الأخلاق على وجه خاص ، طريقة التربية والتعليم جدّة حكيمة ورشيّدة ، فذكرها بما يلي (إيجاز) :

الحياء

قد أُلْمنا فيما سبق إلى أن أنزف ولسرقة والكذب وغيره من المصاوي التي يرتكبها الإنسان بدافع من الطبع الحيواني فيه ، كماها مخالفة لفطرة الانسانية ، فيجترعها القرآن بكلمة (الشكر) ومعناه : الشيء الذي يُجْهِل ولا يُعرف . فالمراد بتسمية تلك الافعال كلها بالمنكر ما تُنكره العطرة الانسانية ولا تألفه . ومن الظاهر أنه إذا لم تكن تألفه فطرة المرء ، وكان المرء ، إذا ارتكبها باستيلاء الطبع الحيواني عليه ، وإكراهه

له على الامر ، فلا بد أن يكون في فطرة الانسان نفسه شيء قد أومأ
اليه الشارع الحكيم ، وسماه (الحياء) .

إن الحياء يُراد به في الاسلام ذلك الشعور من تلجلج الفدي يشعر
به الانسان في نفسه أمام فطرته وأمام الله تعالى حينما يبذل إلى منكر
وهذا الحياء هو القوة التي تكف الانسان عن الامداد عن الفحشاء
والمنكر . فهو ان ارتكب سيئة بدافع جبلته الحيوانية ، حز في نفسه هذا
الحياء ونفّس عليه عيشه ، وجماع التصيم و التربية الخلقية في الاسلام أنه
يتمشى هذه الفريضة المدفونة في الفطرة الإنسانية ، فينفضها وينميها
بضياء العلم والفهم والشعور ، حتى يجعلها حاسة خلقية قوية ، يقبضها في
نفس الانسان كالأمر وهذا ما فسره النبي ﷺ قوله «ولكل دين خلق
وخلق الإسلام الحياء» ، تفسيراً مطبقاً . وهو أيضاً ما يؤيده الحديث
الذي قال فيه النبي ﷺ : « ان لم تمتنع ، فاصنع ما شئت » ومعناه أنك إن
فقدت الحياء ، عيبك الموهى الذي مصدره الجبلة الحيوانية . ولم يعد
المنكر في نظرك منكراً .

والحياء الفطري في الانسان كالمواد الخام لم تفرغ في قالب . فهو ،
وإن كان يتألف من جميع المنكرات بالطبع ، إلا أنه لا فهم له ولا إدراك
فهو لا يعلم السبب لكرهيته لفتل منكر بيته . وهذا الجبل يصنف فيه
شعور الكراهية رويداً رويداً حتى يأخذ نوره في ارتكاب المنكر بدافع
الحيوانية وعلتها عليه . وتكراره لارتكابه يطل فيه حاسة الحياء آخر

الأمر . وعاية التلميم الخلقى فى الاسلام ورفع ' هذا الجهد والعمر من غريزة الحياة . فهو لا يسر "فما للثكرات الظاهرة البارزة بحسب" بل يوضح لها أيضاً ميثاق النبوة والارادة والاماني المكنونة فى تضاعيف النفس " ويثبتها إلى مفاصل كل منها " لكي تكرر لها كراهية بصيرة . وتأني بعد ذلك التربية الخلقية " فتتمش فى هذا الحياة الخارج بالتلميم " من قوة الحس وشدة أن لا يخفى عليه أدنى ميلان فى نفس المرء إلى منكر ولا يقتصر فى تنبيه النفس الانسانية عند أدنى زلة فى نيتها أو إرادتها .

وقد بلغ من سعة نطاق الحياة فى التمديم الخلقية الاسلامية أن لا تخلو منه شعبة من شعب الحياة . وقد استخدمه الاسلام حتى لإصلاح الاخلاق فى شعبة التمدين والاحتياج التي تتعلق بحياة الانسان الحسية . فهو ينبه على أخفى مداخل الرية فى النفس الانسانية ، ويجعله رقيقاً عليها ، ولأن هذا المقام لا يتسع للتبسط والتفصيل ، نكتفي ببيان الأمر بأمثلة معدودة .

جائنة القلوب

إن القانون إذاً يطلق حكم الزنى على الاتصال الجسدى بحسب " ولكن نظام الاخلاق يعد كل ميلان إلى الجنس المخالف " خارج دائرة الزواج ، في حكم الزنى من جهة اسية والارادة . فتتمتع العين بمجال الاجنبى وتلذذ المسامح بحسن موته ، وتلوي الانسان فى محادثته ، وتحرك الأقدام إلى لقائه كل أولئك من مقدمات الزنى بل هي زنى بيمينه باعتبار معانيها وهذا الزنى المنهوي لا يمكن للقانون أن يؤاخذ عليه . وإذا هو خائنة القلوب ، فلا يقع

عليها إلا رقيب الضمير . ويشير إلى هذا الحديث اسوي بالكلمات الآتية:
 « الصنآن تزنيان وزناها النظر » واليدان تزنيان وزناها البطش والرجلان
 تزنيان وزناها المشي، وزنا اللسان المظلي، والنفوس تمني وتشتي، وامرج
 يصدق ذلك كله أو يكذبه .»

فتنة النظر

وأكبر خاتمة نفسية هي النظر. ولذلك يؤخذ عليها القرآن والحديث
 قبل كل شيء : « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَتَعْظَمُونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ
 وَيَتَحَفَظُونَ فُرُوجَهُمْ » ، ذلك أن كفى لهم إن الله خبير بما
 يتصنعون . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَتَحَفَظْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ
 وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ » . (نور - ٣١-٣٢) وفي الحديث: ابن آدم؛
 لك أول نظرة وإياك والثانية^(١) وقال النبي ﷺ لعلي كرم الله وجهه:
 « يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليس لك الآخرة^(٢) » وسأل
 جابر رضي الله عنه عن نظر الفجاءة ، فقال ﷺ: « وأعترف بصرك^(٣) » .

غريزة التبرجع والمظهرية التزيينية

ومن لواحق فتنة النظر هذه ما يحجب إلى المرأة أن يرى حسناتها وجمالها

(١) الجصاص

(٢) أبو داود حجب ما يؤمر به من عرض البصر

(٣) جرداود

وهذه الرغبة لا تكون جليلة بارزة أبداً . ولكن هذا النزوع إلى إظهار
 الرقة يكمن لا محالة في مطاوي النفس وهو الذي تظهر آثاره في رقة
 القياس وتجسيد الشعر واتخاذ الأزياء الرقيقة الجذابة وما إلى ذلك من
 الجزئيات الخفيفة التي لا يمكن حصرها وقد عثر القرآن عن كل ذلك
 بصطلح جامع هو (تبرج الجاهلية) . فكل رقة وكل جميل تقصد به
 المرأة أن تخلو في عين الأجانب ، يطلق عليه (تبرج الجاهلية) حتى الفناع
 الذي نستقر به المرأة ، إن اقتضت من الألوان الباردة والشكل الجذاب
 لكي نلذ به أعين الناظرين ، فهو أيضاً من مظاهر لتبرج الجاهلي . وليس
 في الامكان أن تضبط هذه المظاهر كلها بقانون ، بل الامر موكول في
 ذلك إلى ضمير المرأة نفسها فعلها أن تحاسب نفسها وتخصص فيما عليها
 يكمن في مطاويها هذا النزوع إلى التبرج . وإن وجدته ، فهي لأريب
 مخاطبة في الامر الإلهي : « ولا تلوحن تبرج الجاهلية الأولى »
 (الاحزاب : ٣٣) . وإن الرقة التي تخلو من كل فية فاسدة هي الرقة
 المبروعة في الاسلام . وأما التي نشوبها شائبة من فساد الفية فهي رقة الجاهلية .

فتنة اللسان :

ووكيل آخر لشيطان النفس هو اللسان ، وما أكثر الفتن التي
 يبعثها اللسان وينشرها . رجل وامرأة يتكلمان ، ولا يدوي حديثهما
 ما يشكك أو يريب . ولكن خائنة القلوب قد جعلت الصوت رخياً ،
 واللهجة مشوقة والمحدث عذياً . فيشير اليه القرآن بقوله : « إن

اتَّقِبَيْنُ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ، فَتَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ
مَرَضٌ . وَقَمْنِ أَمْوَالًا مَعْرُوفًا ، (الاحزاب : ٣٢) . ثم هذه
الخاتمة القلبية هي التي تلذ بحكاية أحوال الناس في علاقتهم الجنسية
المشروعة أو غير المشروعة ، كما تلذ باستماعها ولأجل هذه اللذة تختلق
قصص الحب والغرام من كل صحيح الخبر وموضوعه وتسرده في الوادي
والخافل ، فتنتشر منها في المجتمع انتشار النار في الهشيم . فنبه القرآن
على هذا أيضا بقوله : « إِنَّ الَّذِينَ يُبَيِّتُونَ أَنْ تَضِلَّ الْفَاحِشَةُ
فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .
(النور : ١٩) .

ولفتة اللسان شعب أخرى متعددة ، وفي كل شعبة منها تعمل خاتمة
من خوائن القلوب همها . وقد استقرأها الاسلام وفيه عليها ليس للمرأة
أن تصف أحوال غيرها من النساء وزوجها : ولا تباشر المرأة المرأة حتى
تصفها زوجها كأنه ينظر إليها (١) . والمرأة والرجل كلاهما قد نبه عن
أن ينشر سره للناس ، لأن ذلك يشيع الفاحشة ويفري بها القلوب (٢)
وإن أدرك الامام سهو في الصلاة ، أي وجب فيها تنبيه على شيء ،
فعل الرجل أن يقولوا : (سبحان الله) ولكن النساء أمرن بأن يصفقن
وليس لهن أن يجهرن بقول (٣) .

(١) الترمذي : باب ما جاء في كراهية مبشرة المرأة بالمرأة .

(٢) أبو داود : باب ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من إصابته أهله

(٣) أبو داود باب الصفيق في الصلاة . والبخاري : باب الصفيق للنساء .

فتنة الصوت

وربما سكنت اللسان . وقامت حركات أخرى تؤثر في جميع السمع بصوتها . وهذا أيضاً من باب فساد النية ، فيمنعه الإسلام بقوله : « وَلَا يَضْرِبَنَّ بِالْأَرْجُلَيْنِ لِيعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ دَرَجَاتٍ » (التور : ٣١) .

فتنة الطيب

والطيب أيضاً رسول من نفس شريرة إلى نفس شريرة أخرى . وهو من الطيف وسائل الخبارة والمراسلة ، تهافت به النظم الاخلاقية عامة ولكن الحياء الاسلامي يبلغ من رقة الاحساس أن لا يخطر على هذا العامل اللطيف من عوامل الاغراء . فلا يصح للمرأة المسلمة أن تمر بالطريق أو تنقش الخياش مستعطرة ، لأنها وإن استترت جمالها وزينتها ، ينتشر عطرها في الجو ويحرك المواطف . قال النبي ﷺ : « المرأة إذا استعطرت فمرت بالجلس ، فهي ككذبة زانية » (١) . وقال عليه السلام : « إذا شهدت أحداً كن المسجد ولا تمسن طيباً » (٢) . وطيب الرجل ما ظهر برحمته وخفي لونه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحهن » (٣) .

(١) الترمذي . باب ما جاء في كراهية خروج المستطرة

(٢) الموطأ ومسلم .

(٣) الترمذي . باب ما جاء في طيب الرجال والنساء . وأبو داود باب ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من أصله أهله .

فتنة العري

إن التعبير النفسي الكامل الصحيح الذي قد عبر به الإسلام عن غريزة الحياة الانساني في بابستر المورات ، لا مثيل له في حضارة من حضارات العالم . ومن حال أرقى أمم الأرض وأعلاها ثقافة ليوم . دع عنك غيرها . أن رجالها ونساءها لا يتخرجون من كشف أي جزء من أجزاء جسد . ولباس عتدم لغير الزينة ، لا للستر . ولكن الإسلام أكثر ما يهجه من الدين هو المتمدن دون الزينة . فهو يأس الرجل والمرأة أن يسترأ من جسدهما كل الأجزاء التي هي جاذبية للصنف الآخر . والعري عند الإسلام من الوقاحة وسوء الأدب الذي لا يكاد حياؤه يعبر عليه بحال من الأحوال . وماذا يقال في الجانب ، إن الإسلام لا يحب حتى للزوجين أن يتجرد أحدهم أمام الآخر . « وإذا أتى أحدكم أهله فليستر . ولا يتجردان تجرد المبرين » (١) . وقالت عائشة رضي الله عنها : « ما نظرت إلى فرج رسول الله ﷺ » (٢) . وأفضل درجة من الحياء أن لا يرضى الإسلام للمرأة أن يتجرد حتى في خلوة ، لأن الله أحق أن يستحي منه (٣) . وحدث في الحديث : « إيتاكم والعري ، فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وسجين يفضي الرجل إلى أهله ، فاستجبوا وأكرموا » (٤) .

(١) ابن ماجه : باب البستر عند الجماع .

(٢) شمائل الترمذي : باب ما جاء في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) الترمذي : باب حفظ لمورة .

(٤) الترمذي : باب ما جاء في الاستئذان عند الجماع .

وما لبس الذي يشغ عن الجسم ويضع أموراته ، لباس في نظر
الاسلام . قال رسول الله ﷺ : « نساء كاسيات عاريات مميلات
مائلات ، رؤوسهن كأسنمة الخنزير » لا يدخلن الجنة ولا يجدن
رجها ، (١) .

ولا قصد في هذا المقام منع جميع الأحكام الواردة في هذا الباب .
وإنما سقنا منها أمثلة معدودة ، ليتأملها القارئ ، ويقدّر منها مقياس
الاسلام العالي للأخلاق ، وروحه الخلق السامي . فالاسلام يريد أن
يطهر جو المجتمع ويحفظه من كل مفرات الفحشاء والمنكر . وهذه المفرات
مصدرها جميعاً الباطن الانساني . فبذلك قشاً جرائم كل منكر وفاحشة .
ومن هناك ابتدئ الهرجات الخبيثة التي ربما غفل عنها الانسان الجاهل
زاعماً أنها هتات لا تغبر ، ولكنها - في رأي الحكيم العليم - علة
الفساد وأصل الأمراض التي تدمر التمدن والأخلاق والاجتماع . ولذلك
يُريد لتعليم الخلق الاسلامي أن يعمق في باطن الانسان شعوراً نفسياً .
من الحياء ، يكون من القوة والشدة بحيث يدفعه على محاسبة نفسه بنفسه
على الخوايا ، حتى إذا آتس في حماها أدنى ميل إلى المنكر ، فتهربه بنفسه .
وقضى عليه قوة إرادته .

قانون المقويات

إن المبدأ الرئيسي لقانون العقوبات الاسلامي أن لا يشه المرء

(١) مسلم : باب النساء الكاسيات العاريات .

بوثاق السياسة إلا إذا ارتكب بالفعل عملاً غيراً للتمدن . فإذا فعل ، فلا ينبغي أن يُعَوِّد ارتكابه المآثم واحتمال العقوبات ، بمعاقبته على ذلك عقاباً هيئناً ، بل يجب أن يجعل الشرط اللازمة لاثبات الجرائم شديدة مستعصية ^(١) وأن يجنب الناس التعرض لمؤاخظة القانون ما أمكن ^(٢) . ولكنه إذا وقع أحدهم في بطشه ، وقامت البيئة عليه ، فليعاقب عقاباً لا يعجزه وحده عن إعادة تلك الجريمة ، بل يكون نكالا لألوف من أمثاله الذين ييلون إلى ارتكابها ، حتى يرهبوا ويحجموا عنها . وذلك أن غاية القانون هي تطهير المجتمع من الجرائم ، لا تعويد الناس إياها ، ومعاقبتهم عليها مرة بعد أخرى .

وامضئان القنان قد قرَّرها الاسلام من الجرائم المستلزمة للعقوبة ، حفظاً لنظام الاجتماع هما اثنتان : الزنى ولقدف .

عمر الزنى

قد ذكرنا في سبق عن الزنى ، أن هذه العملية نتيجة لامحطاط الإنسان

(١) إن الشرط اللازمة لاثبات الجرائم في قانون الشهادت الاسلامي ، شديدة جداً على الموم . ولكن المرافعة لاثبات جريمة الزنى قد جعلت أشد وأصعب من سائرهما فالقانون الاسلامي يكفي بشاهدين اثنين للقضاء في عامة شؤون الحياة . ولكنه يستلزم لاثبات الزنى أربعة شهداء على الأقل .

(٢) من قول النبي صلى الله عليه وسلم : ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج ، فخلوا سبيله . فإن الأدم يخطئ في المخرج من أن يخطئ في العقوبة . (انظر في : أبواب الحدود) .

إلى أسفل دركات الخلق . عالى يرتكبا ، يبرهن أن نفسه قد غلبتها
 البهيمية ' كل الغلبة ، فهو لا يصلح لأن يبيت في المجتمع كعضو صالح من
 أعضائه . وهذه الغلبة من وجهة نظر الاجتماع من أكبر السيئات التي
 تأتي التمدن الانساني من القواعد ، وطبقا قد قررها الاسلام في نفسها
 جريمة تستلزم العقوبة ، سواء أقررت بها جريمة أخرى كالنفس
 والاكرام ، والمصالح على حق الآخر ، أم لا . ولذا يأمر القرآن :
 « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا
 تأخذكم بهما رأفة في دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر .
 وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » . (النور : ٢)

وقد كبر ما بين القانون القرني والقانون لاسلامي من الاختلاف
 في هذا الباب . فالقانون القرني لا يعتبر الزنى في نفسه من الجرائم . وإنما
 يصير جريمة في عينه إذا كان إكراه ، أو إذا ارتكبه الفاعل بامرأة
 في عقد رجل آخر . وبعبارة أخرى ليست الجريمة في القانون القرني هي
 الزنى نفسه ، بل الجريمة هي الإكراه والاعتداء على حق الآخر .
 بخلاف الاسلام ، فإن الزنى في قانونه جريمة في ذاته ، وتضاف اليه
 جريمة أخرى ، إذا كان منه قسر وإكراه ، أو اعتداء على حقوق
 الآخرين . ولهذا الاختلاف الجوهرى في المفاهيم ، يختلف القانونان في
 أساليبها في باب العقوبة . فالقانون القرني يكتفي بالحبس عقوبة للزنى بامرأة
 ذات زوج ، ولا يعاقب عليها إلا بفرم يؤدي إلى زوجها . وهذه العقوبة

ليس من شأنها أن تضع الجريمة، بل هي حرية بأن تزيد الدس جراحة عليها
لأجل ذلك تجد سيطرة الزنى إلى الزيادة والانتشار في الأقطار العاملة بهذا
القانون . والقانون الاسلامي ، على عكس ذلك ، يعاقب على الزنى عقاباً
شديداً يطرأ المجتمع من هذه الجريمة ومرتكبها مدة طويلة من الزمن ،
فالأقطار التي عملت بقوة الاسلام لجريمة الزنى ، لم يتم فيها ارتكابها
قط . وذلك أن إقامة الحد على المذنب مرة واحدة ، تلقي في قلوب الأهلين
من الهيبة والروعة صلا يورد معه أحدهم يجترأ على الجريمة إلى سنين .
فكانت عملية جراحية نفسية ، تجري على ذهن المائلين إلى الجرائم .
فتنصح بها نفوسهم من تلقاها .

ولم الضمير الغربي يشمئز من عقوبة الجذلات المائة . والسبب في
ذلك لا يرجع إلى كونه لا يحب إيذاء الانسان في جسده . بل العيب
الحقيقي أنه لم تكتمل بعد نشأة شعوره الخفي . فهو فيما كان يعد الزنى
من قبل عيباً ومحنة ، إذا به الآن لا يعتبره إلا لعباً وسادة ، يلد به
شخصان نفسيهما ساعة من الزمن . فهو يريد لذلك أن يسمح في هذا
الفعل ولا يعاقب عليه ، إلا إذا أشعل الزنى بهيمة رجس آخر أو يجرى
من حقوقه القانونية . وحتى عند حصول هذا لا يحل أن لا يكون الزنى
عنده إلا من سفار الجرائم التي لا تأثير بها إلا حقوق شخص واحد ،
فيكفي لمعاقبة عليه بمقاب خفيف أو ترميم .

وبنهي أنه من كان هذا تصويره للزنى ، لا بد أن يرى حد المنة جليلة

عقوبة مظالمه جداً لهذا العمل. ولكنه إذا ارتقى شعوره الخلقى والاجتماعى وعلم أن الزنى سواء كان بالرضى أو بالإكراه، وكان بامرأة متزوجة أو بأكراه، حرية اجتماعية في كل حال تعود مضارها على المجتمع بأسره فإنه لابد أن تسدل نظريته في باب العقوبة، ويعترف بوجود صوت المجتمع من تلك المضار وبما أن العوامل المحركة للفرد على زنى متأصلة جداً في جبلته الحيوانية، وليس من الممكن قلع شأقتها بمجرد عقوبات الحبس والفرم، فلا مندوحة لقمة من استخدام التدابير الشديدة. وبما لا شك فيه أن وفاة ملايين من الناس بما لا يحصى من الضرر الخلقي والعمراية بإبداء شخص أو شخصين إبداء شديداً خير من رفع الأيدي عن الحياة وقريض الأمة كلها المضار لا تنحصر فيها، بل تنوارها أجيال القادمة أيضاً بلا ذنب لها.

وهناك سبب آخر لا نشارف حد المئة جلد من لعوبات الطاعة، يفتن له المرء بسهولة إذ، أضغ نظره في أسس الحضرة الغربية. وذلك أن حضارة القرب - كما أسلفنا - قد قامت على إعانة (الفرد) على (الجماعة). وتركبت عناصرها بتصور مغلو فيه للحقوق الفردية. لذلك سها كان من ظلم الفرد واعتدائه على المجموع، فلا ينكره أهل القرب، بل يحمونه عالياً بطيبة نفس. ولكنه كلما امتدت إلى الفرد يد القانون حفظاً لحقوق الجماعة، اقتشعت منه جلودم خوفاً وقرعاً وأصبح كل نصيحهم وتمسوم بحق الفرد دون الجماعة. ثم إن ميزة أبناء الجاهلية

الغربية - كأهل الجاهلية في كل زمان - أنهم يهتدون بالمحسوسات
أكثر من اهتمامهم بالمعقولات . ولهذا يستنطقون الضر الذي ينال
الفرد لكونه ماثلاً أمام أعينهم بصورة مرفوعة . ولكنهم لا يدركون
خطورة الضرر العظيم الذي يلحق المجتمع وأجياله القادمة جميعاً ،
على نطاق واسع لأنهم يكادون لا يحسون به لسمته وعمق آثاره .

هر القرف

ومثل مضار الزنى مضار القذف . فإن قذف عفيفة من النساء لا يجر
عليها وحدها سوء القالة والشبهة ، بل هو يشيع الفاحشة في المجتمع ،
ويفسد الملائق الزوجية ، وينشر المداوة في الأسر ، ويدخل الزينة في
الانساب ، ويدفع به شخص واحد عشرات من النفوس إلى اشتداد
ولحن عدد من السنين ، بمجرد ما يقوه به من كلمة بهتان . لذلك يؤخذ
عنه القرآن ، ويقرر له عقوبة شديدة : **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ
تَعْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَاتٍ ثَلَاثَ غَيْرٍ وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً . وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ (النور: ٤)**

التدابير الوقائية

وهكذا يأتي قانون العقوبات الإسلامي ، فيتمم - أولاً - الخلاعة
والفجور بقوة السياسية ، ويصون - ثانياً - الصالحين من أفراد المجتمع

من سوء مقال أهل الخبيث . وإذا كان تسليم الاسلام الخلقى يصلح المرء في بطلته ، حتى لا ينشأ فيه ميل إلى الإثم والمصيبة ، وكان قانون العقوبات الاسلامي بصدقه من الخارج ، يكبت بالضيق ما ينشأ في نفسه من زعات الفجور لنقص تربيته الخلقية ، ويمنع من أن تنتقل من القوة إلى الضعف فإن هناك بين هذين النوعين من التدابير ، تدابير أخرى قد اتخذها الاسلام ردها للتعليم الخلقى لإصلاح الباطن ، وأصلح نظام الاجتماع بهذه التدابير إصلاحاً لا يدع مواطن الضعف الخلقى ، التي تنبئ في أفراد الجماعة لنقص تربيتهم ، تنمو وتتحول من القوة إلى الضعف . وذلك لكي تقوم في المجتمع بيئة تخلو من كل ما يثير في المرء زعات السوء ، وتنتزه عن جميع المفريات ، وتقلل فيها أسباب الفوضى الخسيسة إلى أبعد حد ممكن ، ويوصد باب جميع صور السلوك الانساني التي قد تخذل بنظام التمدن . وهذا نحن نفصل القول في كل واحد من هذه التدابير :

أعظم اللباس وسر الموريات

لنا أول ما عني به الإسلام في سبيل إحكام الاجتماع هو إبطال المري ، وتبيين السورات للرجال والنساء . وإن الحال التي كانت عليها الجاهلية المريية في التهاون بالمري ، لا تختلف عنها حال الامم الميذبة الراقية اليوم اختلافاً يذكر فكان رجال من العرب يهرى بعضهم أمام

بعض بدون حياء أو تردد (٢٠) . وكانوا لا يروون لزوم الاستدراج عند
النسل أو قضاء الحاجة . وكانوا يطوفون بالكعبة مرارة ، ويستقدونه من
أفضل العبادات (٢١) . حتى النساء كن يتصرعن عند الطواف (٢٢) . وكن
يلبسن في عامة الأحوال لباساً يكشف عن بعض الصدر وعن جانب من
الذراعين والكشع والساقين (٢٣) ... وهي حالة توجد اليوم بينها في أوربة
وأمركا واليابان . وليس في أفطار الشرق أيضاً نظام اجتماعي - غير
الاسلام - فترت فيه حدود الكشف ولست على وجه المدينة والاهتمام .

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ بِالْأَسْلَامِ» النوع الانساني أول درس في الحضارة في هذا
اليد بقوله : « يَا نُوْحُ اذْهَبْ إِلَىٰ قَوْمِكَ فَأَعْلِيكَمْ لِبَاسًا يُوَازِي
سُرُوَاتِكُمْ وَرِيثًا » (الأعراف : ٢٦) . فترش بهذه الآية ستر

(١) قد أخرج مسلم في باب (الاعتناء بحضرة المودة) أنه أقبل سور بن حمزة
بحبر يحميه ثوبين ومعه لوزان حليف فالحل الزارء ومعه الطير لا يستطيع أن يمشى حتى
يلجأ به إلى موضعه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرجع إلى ثوبك فغلبه
ولاغفوا مرارة .

(٢) قد روي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير
الزهري وغيرهم أنهم قالوا : « كان رجال من العرب يطوفون بالبيت مرارة » (ان كثير :
ج ٢ ص ٢٩٠)

(٣) قد جاء في كتاب التفسير في صحيح مسلم أن كانت المرأة تطوف بالبيت
وهي عريضة فتقول : « يا ربني تطوفاً فحبه لي فرحاً وتقول :
(اليوم يبدو بصره أو سخطه) فما ينامسه فلا أحله »

وكان اعطاء الكسوة لئلا هذه السائلة يمد من البر .
(٤) انظر التفسير الكبير للرازي الآية : « ولا يصرون بحبر من على جبين »

والجسم على كل رجل وامرأة . وشدد النبي ﷺ في النهي عن كشف الصورة والنظر إليها . فقال : « ملعون من نظر إلى امرأة أخيه » (١) . « لا ينظر الرجل إلى عورة ارجل ولا ينظر المرأة إلى عورة المرأة » (٢) « لأن آخر من السماء فأقطع نصفين أحسن إلي من أن أنظر إلى عورة أحد أو ينظر إلى عورتى » (٣) . « إياكم والتعري » فإن معكم من لا يعارفكم إلا عند الحاجة وحين يقضي الرجل إلى أهله » (٤) . « إذا أتى أحدكم أهله فليستتر » ولا يتجرد تجرد المبرين » (٥) وخرج رسول الله ﷺ ذات مرة إلى إبل الصدقة فرأى راعيها تجرد في الشمس . فعزله وقال : « لا يعمل لنا من لا حياء له » (٦) .

حدود العورة للرجال

وبجانب هذه الأحكام قرر الاسلام حدوداً متناهية لصورات النساء والرجال ، والعورة في مصطلح الشرع هي ما يجب ستره من أعضاء الجسم . فقرر ما بين المرأة والرجل عورة للرجل ، وأمروا ألا يكشفوه لأحد ، ولا أن ينظروا إليه في غيرهم . عن أبي أيوب الانصاري عن النبي

(١) أحكام القرآن للجصاص

(٢) أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي - باب تحريم النظر إلى السورات

(٣) المبسوط - كتاب الاستحسان

(٤) الترمذي - باب ما جاء في الاستحار

(٥) ابن ماجه - باب التستر عند الجماع .

(٦) المبسوط - كتاب الاستحسان الجزء ٢ - الصفحة ١٥٥

عليه السلام : وما فوق الركبتين من العورة وأسفل من السرة من العورة^(١) .
وعورة الرجل مدين سرته إلى ركبته^(٢) . عن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم :
« لا تبرز غذك ولا تنظر إلى سفد سي ولا ميت »^(٣) . وهذا الحكم عام
لم يستثن منه إلا زوجة الرجل . فقد جاء في الحديث : « احفظ عورتك
إلا من زوجتك » أو ما ملكت يمينك^(٤) .

محدود العورة للنساء

أما حدود العورة للنساء فقد جلت أوسع من عورة الرجال فامر
أن يخفين كل جسمهن « غير الوجه واليدين » عن كل الناس « وفيهم
آبائهن وإخوتهن وسائر أقاربهن من الذكور ولم يستثن من ذلك إلا
أرواجهن : ولا يحمل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُفرض يديها إلا
إلى هذا » وقبض نصف الفراج^(٥) « انجارية إذا حاضت » لم يصلح
أن يرى منها إلا وجهها وبداها إلى المصبل^(٦) . وعن عائشة رضي الله
عنها قالت : خرجت لابن أخي عبد الله بن عوف لطفيل مزينة ، فكرهه النبي

(١) الدارطني

(٢) الدارطني والبيهقي

(٣) أبو داود وابن ماجة

(٤) مسلم وأبو داود والترمذي ويري ما به

(٥) ابن جرير الطبري

(٦) أبو داود

« قلت : إنه ابن أخي يارسول الله فقال : « إذا عرقت المرأة ، لم يحل لها أن تظهر إلا وجهها وإلا مادون هذا وقبض على فراع نفسه ، فترك بين قميصه وبين الكف مثل قبضة أخرى » . (١) وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أخت زوج النبي ﷺ . قد دخلت عليه ذات مرة في لباس رقيق يشف عن جسمها . فأمرض النبي عنها وقال : « يا أسماء ! إن المرأة إذا بلغت المحيض ، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفه » . (٢) ودخلت حفصة بنت عبد الرحمن على عائشة زوج النبي ﷺ وعلى حفصة خمار رقيق ، فشفت عائشة وكسحتها غليظاً . (٣) وقال النبي ﷺ : « لمن الله ابتكسيات الداريات » . وروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال : « لا تلبسوا نساءكم الكتان ولا القباطي . فإنها تصف ولا تشف » . (٤)

فيعلم من جميع هذه الروايات أن جسم المرأة كله ، إلا وجهها ويديها ، عورة يجب أن تسترها حتى عن أدنى أظفارها في البيت . ولا يجوز لها أن تكشف عورتها على أحد غير زوجها سواء كان أباً أو أخاً أو

(١) ابن جرير الطبري

(٢) أبو داود مرسل

(٣) الموطأ للإمام مالك

(٤) المبسوط - كتاب الاستحسان

ابن أخيها ، حتى ولا يحل لها أن تبس لباساً رقيقاً يشف عن عورتها أو يصفها .

على أن كل ماورد في هذا الباب من الأحكام ، هو للمرأة الشابة ، فتتخذ هذه الأحكام - في ستر المورة - مذ تقرب للمرأة البلوغ ، وتبقى نافذة عليها مادامت فيها جذبية جنسية ، فإذا جاوزت المرأة ذلك العمر وتقدمت في السن ، فإنها لا ريب تخفف منها ، في القرآن : « وَالتَّوَكَّاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً ، فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ . وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ » (انور : ٣٠) وفي الآية تصريح بعبء التخفيف والمرأة بدم الرجاء في النكاح هو أن تبلغ امرأة محرراً تقى فيه الشهوة الجنسية ولا توثق في المرأة جاذبية . على أن الله تعالى قد ألزمهن تزيين الحيلة أن لا يقصدن بوضع الثياب ابتداءً وزيهن وأما إذا كان في نفس المرأة آثار من الشهوة الجنسية ، فلا يجوز لها أن تخلع الثوب عن رأسها ، وإعاء التخفيف للمجائز الذي يجعلهن تقدم السن في حق عن ثمانية بلبسهن ، واللاتي يكاد لا ينظر إحد إلا ينظر الإجلال والاحترام وأمثال هؤلاء لا جناح عليهن أن يخلعن خمرهن في يومهن .

الزَّوْجَانِ

والحد الآخر الذي قد وضعه الإسلام بهذا الصدد ، هو أنه قد

منع الذكور من أهل البيت أن يدخلوا البيوت بغير استئذان ، حتى لا يروا نساءهم في حال لا ينبغي لهم رؤيتهن فيها ، وإدخال الأطفال منكم الحشم فكليستأذوا كما استأذن الذين من قبلهم » (نور : ٥٩) . وقد أشير في هذه الآية أيضاً إلى علة الأمر ، وهي طوع الأطفال الحشم ، أي نشأة الشعور الجنسي في نفوسهم . وإذا أدرك الأطفال هذه السن ، وقع عليهم تكليف هذا الحكم ، ولا لزوم لطلبهم الإذن قبل ذلك .

وبجانب هذا ، أمر الأجانب ألا يدخلوا بيتاً إلا بإذن أهله: «وَبِأُيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا» . (النور : ٢٧) والقصد بذلك وضع الحد الفاصل بين دخول البيت وخارجه ، حتى يكون للنساء ورجال في حياتهم المنزلية في مأمن من نظر الأجانب . وهذه الأحكام مكاتبت السرب تفهم علقتها بأدى ذي بده ، وربما كانوا يتطاولون إلى البيوت من الخارج . ووقع ذلك للنبي ﷺ نفسه ذات مرة ، إذ أطلع رجلاً من صحبه في سحر النبي ﷺ ، ومع النبي مذكرى بك بك رأسه . فقال : لو أعلم أنك تنظر أطلعت به في عينك . إننا جعل الاستئذان من أجل البصر » (١) وأعلن النبي ﷺ بذلك : « من أطلع في بيت قوم بغير إذنه ، فقد حل لهم أن يفقوا عينه » (٢) . ثم أمر الرجال الأجانب ألا يدخلوا البيوت

(١) البخاري - كتاب الاستئذان

(٢) مسلم - باب تحريم النظر في بيت غيره

بذ سألوا أهلها شيئاً ، هل يسألون من وراء حجاب : « وإذا
سألتهموهن متاعاً فاسألهن من وراء حجاب » . فدلكنهم
أطهر لقلوبكن وللبؤسين » (الاحزاب : ٥٣) وفي هذا المقام
أيضاً قد أشير إلى علة الحكم بكراهة : « ذكركم أطهر لقلوبكم وقلوبهن » ،
فالقصود الرئيسي هو تصفية النساء والرجال من النزعات والمحركات
الشهوانية ، وما وضعت هذه الحدود والقيود ، لا منعاً لاختلاط الرجال
والنساء وارتفاع الكلفة فيما بينهم .

وهذه الأحكام لا تقتصر على الأجانب وحدهم ، بل يطالب بها أيضاً
خدمة البيوت وخواتمها . فقد جاء في الآثار أن عائشة رضي الله عنها لما
ناولت أحد ابنتي هذلاً أو ألساً قال رأيت كفتاً - أي لم يبر وجهاً (١) -
ومن المعلوم أن كلا منها كان خادماً خاصاً للنبي ﷺ ، وكان يعيش عنده
كأحد أهله .

منع الخلوة والنس

ولحد الثالث الذي تدوذه الاسلام هو أنه لا يجوز لرجل أن يخلو
بامرأة إلا أن يكون زوجة ، ولا أن يمس جسمها ، وإن كان من أدنى
أقاربها . عن عقبه بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : « ولناكم والدخول
على النساء فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله : أفرأيت الخمر فقال : الخمر

(١) تكملة حج القدير ج ٨ ص ٩٨ .

«لوت» (١) . وقال ﷺ : « لا تلجوا على المغيبات ، فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم » (٢) . وعن عمرو بن العاص ، قال : « لما بعث رسول الله ﷺ أن ندخل على النساء بغير إذن أزواجهن » (٣) وقال ﷺ : « لا يدخلن رجل يسدي يوحى هذا على منية إلا ومعه رجل أو ثلثان » (٤) .

ومثل هذه الأحكام قد وردت في النص . فقال النبي ﷺ : « من مس امرأة ليس منها بسيد ، وضع على كفة حجرة يوم القيمة » (٥) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا بايع النساء ، يبايعن كلاماً ، ولا يأخذ أيديهن في يده . فقالت : « لا والله ما مست يده » . وبعثت امرأة قط في الجابية ، ما يبايعن إلا بقوله : قد بايعتك على ذلك » (٦) .

وعن أميمة بنت رقيقة قالت : أنبت رسول الله ﷺ في نسوة من الأنصار نياحه ، فقلنا : يا رسول الله : ببيعك على أن لا يشرك بالله شيئاً ولا تسرق ولا تزني ولا تأتي من كان نفقته بين أيدينا ورجلنا ، ولا نعصيك في معروف . قال : « فم استطعن » وأطعن . قالت : قلنا الله

(١) الترمذي : باب ما جاء في كراهية الدخول على الغيبات ، البخاري : باب لا تخول رجل بأسوأه إلا فهو محرم ، مسلم : باب تحريم الخلو بالاحتية .

(٢) الترمذي : باب كراهية الدخول على الغيبات .

(٣) الترمذي : باب في النبي عن الدخول على النساء إلا بأذن أزواجهن .

(٤) مسلم : باب تحريم الخلو بالاجبية .

(٥) تكملة فتح القدير ج ٨ ص ٩٨ .

(٦) البخاري : باب بيعه النساء ، ومسلم : باب كيفية بيعه النساء .

ورسوله أرجح هنا . هم "نبايك يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ :
 "إني لأصابع النساء . إني قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة (١) " .
 وهذه الأحكام أيضاً تخص "الثواب من النساء . وأما المجازر الثلاث
 قد طعن في السن " ، فتجاوز الخلوة بهن " ولا يجمع من لمس " . يروي
 عن أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يزور قبيلة كان قد ارتضع فيها ،
 فصابع المجازر من ذلك . لقيلة . وقيل عن عبد الله بن الزبير رضي الله
 عنه أنه استأجر عجوراً ، فمرقته وكانت تلمس رجله وتغلي رأسه (٢) .
 وهذا الفرق الذي جعل بين المجازر والثوب يند " بنفسه على أن المراد
 بكل هذه الأحكام هو أن يجمع بين استنفاذ من الاختلاط ما قد يكون
 سبباً للفتنة .

الفرق بين محارم المرأة وغيرهم

هذه من الأحكام التي تتناول كل الرجال إلا زوج المرأة . سواء
 كانوا ذوي عهرها أم لا . فالمرأة لا يجوز لها أن تظهر عورتها لأحد منهم
 أي تكشف لهم عما سوى وجهها وبسبب من أجزاء كذا أن المرء لا يجوز
 له أن يظهر عورته . أي يكشف ما بين سرته وركبته . لأحد . وجميع

(١) النسائي : باب بعة النساء وابن ماجه . باب بعة النساء .

(٢) حكمة فتح القدير ج ٨ ص ٩٨

الرجال يجب عليهم الاستئذان قبل أن يدخلوا البيوت، ولا يجوز لأحد منهم أن يخلو بامرأة أو يمس جسدها (١).

ثم يميز الإسلام بين محارم المرأة وعيهرم وقد فصل القول في القرآن والحديث عن مدارج الحرمة والتبسط التي يجوز للمرأة أن تمتنع بها مع محارم من رجال أسرتها، ولا يجوز لها ذلك مع غيرهم من الرجال. وهذه هو الذي يُعبر عنه بالحجاب في عرف الناس.

(١) هناك فرق بين ذوي الحرم وعيهرم في لمس جسم المرأة. ويجوز للأخ أن يمسك بيد أخته ويركبها خفية، ويديهبي أنه لا يخل ذلك لأحد من الرجال الأجانب. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اصرف من سفر، يحاقق فاطمة رضي الله عنها ويقبل رأسها، وكذلك كان أبو بكر رضي الله عنه يقبض رأس عائشة رضي الله عنها.

أحكام الحجاب

إن الآي القرآنية التي قد وردت فيها أحكام الحجاب مسرودة
في ما يلي :

« قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ
وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ،
وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ
إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ

مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي
 الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطُّفُلِ الَّذِينَ لَمْ
 يَنْظُرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ . وَلَا يُضْرَبْنَ
 بِأَرْجُلِهِنَّ لِمُعْلَمٍ مَا يُخْفَيْنَ مِنَ زِينَتِهِنَّ .
 (النور : ٣٠ - ٣١)

« يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ الْبِشْرُ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ .
 إِنْ انْتَقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
 الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ . وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا
 وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
 الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى . » (الأحزاب : ٣٢ - ٣٣)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ
 وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ، يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ
 جَلَابِيبِهِنَّ . ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِقْنَ فَلَا
 يُؤْذِينَ . (الأحزاب : ٥٩)

تأمل هذه الآيات . فإن الرجال إذا أمروا بها بأن يفتتوا من أبصارهم ، ويحفظوا من نفوأس اخلائهم . ولكن النساء قد أمرن - كالرجال - بهذين الأمرين ، وأوصين بعد ذلك بأمرين مزيدين في باب المباشرة والسلوك الحسن ، مما يدل صريحاً على أنه لا يكفي لصيانة أخلائهن العناية بنض البصر وحفظ الفروج ، بل لابد لذلك من ضوابط أخرى غير ذلك . وانرجع في هذا المقام إلى آثار النبي ﷺ وصحابة ورضوان لله عليهم ، لتفانهم كيف بقوا هذه الأحكام المضمنة في المجتمع الإسلامي ، وماذا يستنتج من أقوالهم وأفعالهم من التفصيل المنهية واسلمية لهذه الأحكام .

غض البصر

إن أول ما أمر به الرجال والنساء في هذا الباب هو الغض من أبصارهم . وترجم كلمة غض البصر إلى لغتنا الأردية عامة بمعنى خفض البصر وعدم رفعه من الأرض . ولكن ليس هذا المقصود الأمر الرافى بهذه الكلمة ، بل المقصود اجتناب ما قد عبّر عنه في الحديث بـ "النظر" ، فاللغة البرقية حول الاجتناب وزيتون هو مبحث الفتنة للرجال ، كما أن الصنوح بالبصر إلى الاجانب من رجال هو مصدر الفتنة للنساء ، من هنا يصدر الفساد طبعاً وعدة ، ولذلك قد سُدَّ بابُه أوّل ما سُدَّ من الاجواب ، وهذا هو المراد بنض النظر .

على أنه ظاهر أنه ما دام الإنسان فلاناً عينيه في هذه الدنيا ، فلا بد أن يضع بصره على كل ما حوله من الأشياء والأشخاص . وليس في الامكان أن لا يرى الرجل امرأة أبداً ، ولا ترى المرأة رجلاً بحال . فقول الشارع عليه السلام في مثل هذا : **النظر : أنه إن وقع فجأة** ، فلا إثم فيه . وإنما المخطوئ أن يسهو المرء نظره إلى حيث يستأنس الزينة والجمال ويجهله مريم عينيه ، عن جرير قال سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة ، فقال : **« اصرف بصرك »** . (١) وعن بريدة : قال رسول الله ﷺ **« يا علي لا تشبع النظرة النظرة »** . قلت : لك الأولى وليس لك الآخرة . (٢) وعن النبي ﷺ قال : **« من نظر إلى محاسن امرأة أجنبية عن شهوة صب في عينيه لا تكف (٣) يوم القيامة »** (٤) .

على أنه قد يكون هناك من لاحقين ما يستدعي النظر إلى امرأة أجنبية . كأن ينظر العايب إلى مريضة ، أو ينظر القاضي إلى امرأة تحضر بين يديه شاهدة أو فريقاً في قضية ، أو يحصر امرأة في حريم أو تقع في لجأة فتشرف على الذرقاء أو يكون مرضها أو نفسها عرضة لخطر . ففي كل هذه الحالات يجوز النظر إلى عورة امرأة فضلاً عن وجهها ، ويجوز كذلك لمسها . بل إن احتضانها أيضاً إذا كانت متعرصة للحرق أو

(١) أبو داود ما يورثه من غض البصر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) الآلة : الرصاص الداب .

(٤) تكملة فتح القدير ج ٨ ص ٩٢ .

والفرق - ليس من الجائز حسب ، بل هو واجب بالضرورة . وبأمر
 الشرع في هذه الأحوال أن يُخصص امرؤ نفسه من العباد ما استطاع ،
 ولكنه إن احتاجت في نفسه حاجة من الشهوة ، تقتضى الطبع البشري
 فيه ، فلا جدح عليه فيه ، لأن مثل هذا النظر وهذا اللمس ، دأبه
 بالضرورة ، وليس في مكنته . لا لسان مدح مقتضيات الفطرة بقية (١) .

وكذلك انظر إلى الأجنبية ، بل وسفاح النظر إليها بقصد اتزوج
 بها ، ليس بجائز حسب ، بل هو مكندب إليه في السنة ، وقد رأى النبي
 ﷺ نفسه امرأة بهذا القصد . وعن أنس بن مالك أنه حطب امرأة
 فقال النبي ﷺ : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » (٢) . وعن
 سهل بن سعد أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ : فقالت يا رسول
 الله جئت لأهبط لك نفسي . فنظر إليها رسول الله ﷺ ، فصعد المنظر
 إليها (٣) . وعن أبي هريرة ، قال : « كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل
 فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار . فقال له رسول الله ﷺ : أنظرت
 إليها ؟ قال : لا . قال : « فاهبط فانظر إليها ، فإن في أعين الأنصار

(١) راجع تفصيل هذا الموضوع في تفسير الرزي الآية « قل للمؤمنين يغضوا من
 أبصارهم » ، وبحكام المركان للبصائر في تفسير الآية المذكورة وبمكاملة فتح القدير -
 حصل في الوحدة والنظر واللمس ، والموسوط - كتاب الاستحسان .

(٢) الترمذي - ما جاء في النظر إلى المخطوبة

(٣) البخاري - باب النظر إلى المرأة قبل التزويج

شيئا ٢٧٠ . وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : «إذا
خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن لا ينظر إلى ما يدعو إلى
نكاحها فليفعل» ٢٧١

فيسلم من التأمل في هذه الحالات الاستثنائية أنه ليس مقصود
الشارع عليه السلام منع النظر مطلقاً ، بل المقصود سد فريضة الفتنة ،
ولذلك منع النظر الذي لا يدعو إليه حاجة ولا فيه لتمتدح منفعة ، ثم
فيه أسباب محرمة لترك الشهوة في الإنسان .

وهذا الحكم موجه إلى الرجال وإلى النساء على حد سواء فقد
أخرج الترمذي في سننه عن أم سمية رضي الله عنها أنها كانت عند رسول
الله ﷺ وميمونة ٢٧٢ . قالت : فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم ،
فدخل عليه ، وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ : «احتجبت
منه فقلت : يا رسول الله : أليس هو أعمى ، لا يبصرنا ولا نعرفه ؟
فقال رسول الله ﷺ : أعمى وإن أنا ؟ ألسنا بعمرائه» ٢٧٣

على أن هناك فرقاً دقيقاً بين نظر المرأة إلى الرجل ونظر الرجل
إلى النساء من حيث الخصائص النفسية لاهنئين . وذلك أن في طبيعة

(١) مسلم - باب يحد من أراد نكاح امرأة إلى أن ينظر إلى وجهها

(٢) أبو داود - باب في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها

(٣) وفي رواية عائشة رضي الله عنها

(٤) الترمذي - باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال

الرجل الاقدام فهو إذا أحب شيئاً ، يسمى في إحرازه والوصول اليه ، ولكن في طبيعة المرأة التمتع واغرازه وهي مادامت على فطرتها لم تتسلخ منها ، لا يمكن أن يكون لها من الجراحة والوقاحة والافدام ما تقدم به نفسها إلى شيء تحبه وتنجب به . وقد راعى الشارع عليه السلام هذا الفرق بين طبيعتي الصنفين . فلم يمتد في النهي عن نظر المرأة إلى الاجنبي تشديده في النهي عن نظر الرجل إلى الاجنبية . وقد اشتهر حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ رآها لمب حبيشة بحراهم في المسجد^(١) مما يفيد أنه ليس نظر النساء إلى الرجل محظور على الإطلاق ، وإما المكروه اجتماع النساء والرجال في مجلس وتحديد بعضهم إلى بعض . وبضاً لا يجوز من النظر ما ينفذ منه الفتنة . فذلك الصحابي - ابن أم مكتوم - الذي كان أمر النبي ﷺ زوجه أم سلمة بالاحتجاب منه ، أمر غاطمة بنت قيس بقضاء عدتها في بيته . وذلك أنه لما طلقها زوجها أمرها رسول

(١) هذا الحديث قد أخرجه البخاري ومسلم وإسنادي وأحد عن عائشة رضي الله عنها من طرق أربعة ، يزيد بعضهم على بعض . والله أعلم بهم في تأويله إلى أنه وقع عند في أيام كانت أم المؤمنين حديثه السن فيها ، وذلك قبل أن تزل آية الحجاب . إلا أنه صرح ابن حبان أنه وقع ذلك حينما قدم إلى المدينة وجد من الغيرة . وكان قصوه سنة سبع من الهجرة ، حبسها بذلك عليه التاريخ وعلى هذا كانت عائشة رضي الله عنها حينذاك بمحبة عمر أوسمة عمر . ثم ما رواه البخاري أن كان النبي صلى الله عليه وسلم يسترها بردائه وهو يريها ذلك العيب . فيضع منه أن الأحكام والحجاب كانت قد تركت حينذاك .

لقد ^{والتجسس} أن امتد في بيت أم شريك الامبارية . ثم قال : وان تلك
امرأة يشاها أسجاني ، اعتدي في بيت ابن أم مكتوم ، فانه رجل أعمى
تضمن ثيابك ^(١) فالتصود الحقيقى إذن من مثل هذه الاحكام هو التقيد
من مظن الذمة . ولذلك منع النبي فاطمة بنت قيس من أن تعيش في
بيت كان إمكان لفتنة فيه أكثر وأذن لها أن تقيم حيث كان سكنها آخر ،
والمرأة لم يكن لها بد من بيت تقيم فيه . ولكنه نهي النساء أن يجتمعن
برجل أجنبي ويرينه وجها لوجه حيث لا ضرورة تدعو إليه وتسلمه .

كل هذه المدارج من الاحكام صادرة عن الحكمة . ومن أدق من
البصر الناقد ما يدرك به مغزى الشرع لا يستطيع أن يفهم بكل سهولة
أي المصالح بنيت عليها أحكام غص البصر ، وعلى أي الامور يمت
التشديد والتخفيف في هذه الاحكام اعتباراً لتلك المصالح . فالتصود
الحقيقى عند الشارع عليه السلام إنما هو منع الناس من الفطرة الآثمة ،
وليس له على أعينهم من ثأر . فان هدم الاعين ربه نظرت بأذى ذي
بدن نظرات بريئة . وجاء شيطان النفس بحجج خادعة لتبريرها وتاجي
المرء أنه ليست نظراته تلك إلى انبيد الحمان إلا فوقاً للجهل قد أودعته
الفطرة إثماء ، وإذا كان من المباح له أن يحتل سائر مظاهر الجمال
الطبيعي ويجود فيها لذة ظاهرة ، فأى جناح عليه أن يتسع نظره بروية

(١) مسلم وأبو داود

الجمال الانساني ويستمد منه لذة روحية. ولكن هذا الشيطان يمضي برهبه
في نفس الانسان هذا التزوع الى شهوة والتلذذ ، حتى يموت التذوق
للجمال شوقاً الى الوصال. ومن ذا الذي يتكابر في ان كل ما قد حصل
في الدنيا الى هذا اليوم ، ولا يزال يحدث فيها من الفساده والفجور ،
باعثه الاول الاعظم هو فتنة النظر هذه ، ومن ذا يدعي بصدق انه يجد
في نفسه برؤية انشباب والجمال في الصنف الخلف ما يجده غير اى وردة
في لروض ، وإذا كان بين هذا وذاك فرق ، وكان لنظر الى الجمال
الانساني بخلاف النظر الى الجمال الطبيعي سببت الشهوة في النفوس ، فأشبه
بحق لأحد القول بضرورة الحرية في هذا النوع من التذوق للجمال مثل
الحرية الخاصة في ذلك . إن الشارح لا يريد أن يذهب عن نفوسكم هذا
التذوق الجمالي ، وانه هو يقول لكم أن اختاروا لانفسكم زوجاً ينحجكم
ويروكم ، ثم انصتوا وحدهم مركزاً لكل ما أوتيتهم من هذا الذوق
ومشعوا به انفسكم حبا شتم ، ولا يقلوا عنه الى سواء تتبهنونه العطر
الرضيب فانكم إن فتمت تلوثتم بالفواحش ، وإن لم تتلوثوا بأدناس الفوضى
لعملية لضبطكم نفوسكم او لموانع أخرى من حولكم ، لم تسلموا ولا شك
من ضلال الفكر وشروعه ، فيضيع معظم قوتكم من طريق نظركم ،
وتتدنس قوتكم بالاهف على كثير من المذات الآثمة التي تحجب فيها أمانيتكم ،
وتقومون في جبال الهوى مبهدين ومبهدين ، وتفضون كثيراً من
الليالي في الرقعة حاليين . ثم تجدون في انفسكم مثل الدغ الحية او مثل

حر المحرم من عشق كثير من الفيد العائقات، ويضع أكثر حيويكم في خفقان القلب وهيجان الدم ١ . وما غلبت هذه الخسارة ، أمانة هي + وهي لا تخرجها لكم ، على نفسك إلا بصرفك النظر عن مركزه الشرعي . لما أجدرتك إذا بأن تحذر من شرود باظريك وتحذر النظر بدون حاجة ، وتجنب النظرة التي تكون مظنة الفتنة . أما إن كانت هناك ضرورة تستلزم هذه النظرة ، أو كانت فيها منفعة تستلزم ، فهي مباحة على الرغم من إمكان الفتنة ، وأما إذا لم يكن هناك ضرورة تدعو إلى النظر ، ولكن لم يكن فيه ما ينجو منه وقوع الفتنة ، فستندب يجوز النظر المرأة إلى الرجل ، ولا يجوز نظر الرجل إلى المرأة ، إلا أن يكون نظر فجاءة .

منع إبراء الزينة وعروضها

كان حكم غرض البصر موحياً إلى كلا الصنفين - الرجل والمرأة - وهناك بعد ذلك أحكام تخص المرأة وحدها . وأولها أن تجنب إبداء الزينة إلا في دائرة معينة .

وقبل أن يتأمل القارئ مقاصد هذا الحكم وقصده ، يجدر به أن يستعرض في ذهنه تلك الأحكام التي قد مرت في باب اللباس وستر المودات ، فكل جسم المرأة إلا وجهها ويديها مغطاة لا يحل كشفها

حتى لأبيها أو عمتها أو أخيها أو أختها. ولا يجوز للمرأة أن تكشف عورتها حتى للمرأة مثلها (١). فإذا جمعت هذا جوعي منك ، فدونك الآن حدود إبداء الزينة :

١ - قد أبيع للمرأة أن تبدي زينتها للرجال الكثر من أقرابها : الزوج والاب والعم (أبو الزوج) . ولأبناء وأبناء الزوج ، والاخت والأخت.

٢ - وكذلك أبيع لها أن تبدي زينتها لما ملكت بين يدي عيبتها وإيمانها .

٣ - وأيضاً يجوز لها أن تخرج في زينتها أمام من هو تابع لها ونحو سيدتها من الرجال ، وليسوا ممن يملكون إلى النساء ميلاً شهوانياً (٢).

(١) حرام على المرأة النظر إلى ما بين السرة والركبة من المرأة الأخرى ، كما أنه حرام على الرجل النظر إلى ذلك من الرجل الآخر .

(٢) يكتب الحفاظ ابن كثير في تفسير الآية : « أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال » أي الأجراء والتابع الذين ليسوا بأحكامهم وهم مع ذلك في عقولهم وله . ولا ملأ إلى النساء ولا يشتهون (تفسير ابن كثير ٤ : ٣٨٥)

ولم يملأ إلى النساء في هؤلاء الرجال وجنان : أولها أن يكونوا فاقدي الشهوة تماماً ، كالشيخ المسن في السن ، أو ضعفاء القول واليه لو الخافى بالحلقه . والثاني أن تكون الصورة والميل الطبيعي إلى النساء موجوداً فيهم ، ولكنهم قد خضعوا لهم لا يتجرؤون على أن يملقوا بهم أو يملقوا بهم في البيت الذي هم فيه خدمة أو أجراء أو يدخلونه سائلين مسجدين . وكلا هذين النوعين يدخل تحت حكم

ع - ولما أن تبدي زيتها لاطفال لم يظاهروا على عورات النساء ، أي
الاطفال الذين لم يثبت فيهم الشعور الجنسي .

هـ - ويجوز لها أن تخرج في زيتها لبنات جنسها من النساء . ولم يقل

«الناجون غير أولي الآربة من الرجال» . ولكنه مما يجب ألا يقل عنه أن يكون جميع
أشخاص هؤلاء الذين يؤخذ للنساء بإبداء الزيتة لهم ، متصفين بصفين هما ولازما :
أولاهما أن يكونوا نساءً قليات الذي يدخلون على نسائه . والثانية أن لا يكون من
الممكن وقوع الزعة اليهودية في أنفسهم إلى نساء البيت . ولقوام الأسرة أن يظرفي
أمر للمأجور الذين قد أخذ لهم بالدخول على نسائه ، هل يجب عليهم طهارة التي طه في
يادى الأمر من كونهم غير أولي الآربة . وإن بداله منهم بعد الآدن الأول ما يدل
على أنهم من أولي الآربة ، منه أي بقي ذلك الآدن ، وأبقى النظائر في هذا الباب
أمر ذلك الطخت الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أذن له بالدخول على نساء البيوت
ولكنه بعد أمر بداء له منه ، منعه من دخول البيوت ، بل ناهى من المدينة . ومن أن
ذلك أن كان في المدينة رجل عثت يدخل على نساء المؤمنين . وبينما هو يوماً عند
لم سلبية رضي الله عنها يكلم أباها عبد الله ، إذ دخل النبي صلى الله عليه وسلم وسمعه
يقول له : إن فتح الله عليكم الطائف غداً ، عليك بإبداء نساء غيلان التي ، فأنها
إذا قبلت أقيمت أربعين يوماً ، وإذا أدبرت أدبرت ثمانين . ثم وصف عورتها بعد ذلك بكلمة جد
غيبية . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد غفلت النظر إليها يا عبد الله ! ثم قال
لأزواجه : ألا أرى هذا يعلم ما هممت فلا يدخلن عليكم هذا ، فجاءه من البيوت .
ثم لم يكتب بذلك ، بل أمره بالخروج من المدينة إلى المدينة . لأن الوصف الذي وصف
به عورة بنت غيلان ، أخذ منه النبي صلى الله عليه وسلم أن النساء يتسطن منه خنثته
ونأته ، كتسطن مع باب جسيم من النساء . وبذلك يطلع هذا على الأحوال
واسرارهن . ثم وصفها للرجال ، وذلك مما يخشى منه الفتنة . [أظفر بذلك المجهود (مخرج
أبي داود) ، كتاب أساليب - باب ما جاء في قوله تعالى غير أولي الآربة من الرجال] .

الله تعالى : (النساء) ، بل قال (نسائهن) . وظاهر أن المراد بهن " النساء
 العقيمات ، أو اللاتي هن من قبيلتها أو قرابتها أو مطبقته . وأما من سواهن
 من عامة النساء اللاتي تكون فيهن كل مجهولة الحال واليسارة ، وذات
 الرية واستمعة القبيصة ، فيخرجن عن مراد هذا الحكم ، لأن هؤلاء
 أيضاً قد يكنّ سبياً لافتنه ، ولهذا لما دخل المسلمون بلاد الشام وحملت
 نسائهم يخططن بنساء النصارى واليهود ، كتب عمر رضي الله عنه إلى
 أبي عبيدة بن الجراح والي الشام : أما بعد فقد بلغني أن نساء من نساء
 المسلمين يدخلن الحمامات وممن نساء أهل الكتاب . فامنع ذلك وحل
 دونه (١) . وقد صرح ابن عباس رضي الله عنه أنه ليس المسلمة أن
 تنجس بين نساء أهل الذممة . ولا أن تبدي للذكورة إلا ما تبدي
 للإناث (٢) . وهذا الحكم لا يقصد به التفريق بين النساء على اعتبار
 ديني . وإنما المقصود به صون المسلمات من مقاصد هترة النساء اللاتي لا
 يرق شيء من أخلاقهن وآدابهن . أو قد عرف منها ما لا يرضي الإسلام .
 وأما الشريكات وذوات اللفة والحياة من غير المسلمات ، فلا جرم أنهن
 يدخلن في حكم (نسائهن) من الآية المذكورة .

وبما أن هذه الحدود يستتبع المرء أمرين اثنين :

أولها : أن لزينة التي قد رخص للمرأة في إبدائها في دائرة معينة ،

(١) انظر هجر ابن كثير للآية المذكورة .

(٢) الصبر الكبير = الآية المذكورة .

هي ما سوى عورة المرأة . والمراد بها : نفس الحلي والتجمل باللباس ،
والكحل والتحجور وتحسين الشعر ، وما إليها من أنواع الزينة الأخرى
التي تتخذها النساء عادة في البيوت لأقتضاء أوثقهن .

والثاني : أنه قد رخص لمن في إبداء مثل هذه الزينة إما لرجال
البيت الذين قد حرمتهم الحرمة الأبدية عليهم ، أو لتأمين الذين ليس لهم
فيهم شبهة ولا في أخلاقهم من ربة . فلذلك من الشروط للداخلات
عليهن من النساء : أن يكن من (النساء) ولداخلين عليهن من الخول
والاتباع أن يكونوا (غير أولي الإرادة) وللاطفال أن يكونوا ممن (لم
يظهروا على عورت النساء) . كما يعلم منه أن مقصود الشارع هو تحديد
إبداء النساء لزيتهن في حقة لا يخفى فيها أن تمت زيتهن وجمالهن
عواطف سوء في انقلب أو نهى أسباباً للفوضى الجنسية .

وأما من هو خارج هذه الحقة من الرجال ، فقد ورد النهي عن أن
يبدن لهم زيتهن . بل قد حُظر عيّن حتى أن يضربن بأرجلهن في المني ،
لكي لا يظهر بالصوت ما خفي من زيتهن ، فتتوجه لاظار العين . وإن
الزينة التي قد أمرن بإحفاها عن الأجانب ، هي التي قد أحيرهن إبدائها
في دائرة محدودة ذكرت آنفاً . والمقصود بهذا كله واضح مستبين وهو
أن النساء إن ظهرن في زيتهن وجمالهن على الذين بهن الشهوة الجنسية ،
ولم تحوّل الحرمة الأبدية دواعي هذه الشهوة فيهم إلى اسواطف البرية
الطاهرة ، فلا بد أن يكون من عواقبه ما يقتضيه الطبع البشري . ولما

قول إن إبداء النساء زينتهن على هذا النحو سيجعل من كل امرأة هرة ومن كل رجل فاجراً ، إلا أنه لما لا يستطيع أحد أن ينكره أن في خروج النساء متبرجات ، وفي حضورهن النوادي والحفلات سافرات مالا يعد ولا يحصى من خسائر نفسية ومادية ، ظاهرة وخفية ، وهذا هو عين بديك - مثل النساء الأوروبيات والأميركيات اللاتي يهلكن اليوم معظم دخل أو واصلهن في زينتهن ، وإسرافهن هذا إلى الزيادة والتفاحش يوماً بعد يوم ، - حتى كادت تصفق عنه وسائل رزقهم (١) فهل في رأيك من باعث لهذا الجفون إلا تلك النظرات المنشوقة التي تستقبل النساء المتبرجات في الأسواق والسكك وحفلات المجتمع ؟ ثم تأمل ماهو السبب في انبعث هذا لشوق المرطبي النساء إلى التجميل والتأنيق ، والتأنيق بهن كالتأنيق الداء ولولياء آليس هو حرصهن على أن يحلن في أعين الرجال ويقعن منهم موقع الإعجاب ولاستحسان (٢) ؟ ولماذا هذا كله ؟ هن هي نزعته بريئة منزهة أو هل ليس في معاصيها الشهوات الجسدية لطاعة التي تكاد تتجاوز حدودها الطبيعية وتنتشر ، وتقاسمها في المنصف الآخر شهوات مثله تريد

(١) في العهد حقد عهد فريدريش لصانعي الأدوات الكفاوية ، - وعلم من بيانات الإحصائيين فيه أن بناء أكثرها تنفق عشرين مليون جنيه ، ولبناء أميركا مائة وخمسة وعشرين مليون جنيه على أدوات زينتهن كل سنة . وإن ٩٠ في المائة من النساء قد تودن نوعاً من أنواع الزخرفة والتجميل (Make up) .

(٢) وقد بلغ من هيام النساء بتكليف هذا الجمال أن قد عدن يفتلن في سبيله حتى أنهن ، بغاية ما تمتد إحداهن أن تكون هنيئاً مخصصة لا تتركب جسمها مضفة =

أن تستجيب لمطالبها. إنك إن أنكرت هذه الحقيقة فلنكافي بك تمكرك خذاً

— علم زائدة . وحاش من فناء اليوم إلا وهما أن تحيل تقطيع جسمها مطابقاً قد قررهم
الأخصائيون من المقاييس (Measurements) للصدر والحصر والساق والوركين .
كأن الضحية لا ترى لحياتها عارية ومغموداً سوى أن تموي في عين الذكور . وليعوج هذه
الضحية تنجوع سسكية ومحرم منها الفداء الشهي للمسيح وتختري بصير البسبون والقهوة
الارة وما شاكلها من الاغذية اللطيفة . تم تتضمن من المقاييس بدون مشورة طبيب ،
بل بخلاف مشورته ما يزلها ويصدرها . وقد جني ولا يزال يضي هذا الجنون بكثير
من النساء الى الهلاك . في يودايت ماتت الممثلة الشهيرة (جوسي لابس) عام
١٩٣٧ ، يولوف حركة فيها هبة . وقد التفتيح في امرها يد ، انها كانت
لا تزال تعيش عيفة اذاعة والدم مد أعوام . وكانت تتضمن المقاييس الموصفة
(Parent) لتخفيف الجسم ، حتى خلت قواها فانت . وتوالت في يودايت نفسها
ثلاثة احيات من هذا الصيل . يد ذهت (ماحدا برسيلي) التي كانت لشكالها
ذاتة الصيت في البحر ضحية لهذا الليم . وجدت للضحية (لويثا زاو) التي سارت
اعينها سير الشمس ، أن خرب صربية على مسرح وهي تكل أمام النظارة . وكانت
هذه تظل في جرن دائم على ان جسمها لا ينطبق على المقاييس الصربية للجمال ،
في كانت تتخذ التدابير المصنعة لحل مشكلاتها تلك ، حتى هضت من وزنها قدر ستين
وحالاً . وكان من نتائج ان ضفت قلبها جداً ، لتتقط برية لمتاني الجمال وتبتمها في
ذلك ممثلة أخرى (أيمولا) بالفت في التخفيف من جسمها بالتدابير المصنعة الى ان
أصيبت في عطلها بالخليل الدائم . فأخفت طريقها الى مستشفى الخفاين بدلاً من مصم
المسرح . وهؤلاء إما كن من الشخصيات البارزة ، فقرأنا أخبارهن في الجرائد
ومن يدري كآين . من التماس العمود يفضي عليها أو خرب صحتها هذا الخوف من
الجنس والصلاتي في أعين الرجال ؟ أقتل لي ربك ، عن هذه سكة حرية المرأة أو
عبوديتها ؟ وما هذه الحرية المزائفة التي قد زادت من استيلاء أهراء الرجال عليها .
ويقتلن باسمه قد حرمن من الحرية حتى في الاكل والشرب والتمتع بالصحة .
وعادت كل حياتهن ومهتمن مغموداً به الرجال ؟

أن يكون هناك في جوف البركان الذي يسمونه الدخان مادة نارية
نكاد تنفجر منه . إنك بأصاح حرّ في عملك ، مختار فيها تأخذ أو تترك .
ولكن ليس لك أن تنكر الحقائق . إن هذه الحقائق لم تعد مخفية ، بل
أصبحت معلومة مشروقة ينتجها التي تتجلى اليوم كالشمس ليس دونها
غمام . وقد يكون لك أن تهين هذه النتائج لنفسك ، بشعور منك أو
عدم شعور ، ولكن لا سلام يريد أن يجد منتها في إيمان نفوسها . لأنه
لا ينحصر نظره في مبدأ إبداء الزينة الذي يكون في ظاهره بريئاً من
الزينة ، بل يتعداه إلى منتها الذي لا يخلو من الزينة والفساد ، ويسمى لمتنع
بمثل طلعة يوم القيامة . « من الرائلة في الزينة كئس ظلمة يوم القيامة
لا نور لها » (١)

ويشأ ينهى القرآن عن إبداء الزينة للأحباب (إلا ما ظهر
منها) . والمراد به الزينة التي تظهر بنفسها على الرغم من إرادة المرء . وقد
حاول خلق من الناس أن يستخرجوا من هذا الاستثناء كثيراً من الفوائد .
ولكن المشكلة أن هذه الكلمات لا تتسع لكل ما تشتهى أنفسهم ، لأنها إنما
يريد به الشارع ، مخاطباً النساء ، أن لا يبدن زينتهن للأحباب عن قصد
وإرادة . وأن الذي يظهر منها بعد ذلك من نفسه ، أو يبقى ظاهراً لسواهم
الضرورة ، فلا جدح فيه عليهن . والمراد واضح كل الوضوح ، وهو
أن لا تكون زينتهن إبداء الزينة ولا يكون في أنفسهن أن تظهرن

(١) الترمذي - باب ما جاء في كراهية خروج النساء في الزينة .

عن سكن على الأجانب ، أو أن تستسلمهم إلى أنفسهم بوسواس الحلي
 الخفي ، إن لم يكن أكثر ، بل يجب أن تهمسك لإخفاء زينت
 ما وسكن الجهد ، ثم إن ظهر منها بعد ذلك شيء بداعية الضرورة ، فلا
 يؤخذ كن الله عليه . وذلك أن الثياب التي تستر بها زينتك لا بد
 أن تظهر ، وتظهر فيها أيضاً قدامتك وهندامكن ، كما لا بد أن تضطرون
 إلى أن تكشفن يديكن أو جزءاً من أجسامكن لغذاء حاجاتكن ،
 فكل ذلك لا جناح فيه عليكن ، لأنكن لم تستدنه بل اضطررن
 إليه . وإن كان هنك من شياطين الإيس من يتشع حتى بهذا الجزء
 اليسر الذي يظهر من ريشكن فلا تباليين به . إنه سيق وبال يفته
 الفاسدة بنفسه . أما أنتن فقد قمتن ، ما كان عليكن من واجب حفظ
 التمدن والأحلاق .

هذا هو المفهوم الصحيح لهذه الآية الكريمة . وإذا تأملت كل
 ما روي من الاختلاف بين المفسرين في هذا المفهوم علمت أن أقوالهم
 جميعاً لا تعيد على ما بينا من الخلاف . إلا ما قلناه آنفاً .

فقد ذهب ابن مسعود وإبراهيم النخعي والحسن البصري ، إلى
 أن المراد بالزينة الظاهرة هو الثياب التي تخفي بها الزينة الباطنة ،
 كالرداء والنقاب .

وقال ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن عمر وألس والضحاك وسعيد
 ابن جبير والأوزاعي ، وعمامة الخنمية أن المراد بها الوجه واليدان .

ويدخل في هذا الاستثناء أيضاً ما كان من الزينة في وجه المرأة ويدرجها
ككحل العين وحضاب الكف والحاتم .

وعن سعيد بن المسيب قال : وجهها مما (ظهر منها) ويروى عن
الحسن البصري قول يؤيده .

وتقبل عائشة زوج النبي ﷺ إلى إحياء الوجه . فتذهب إلى أن
المراد بالزينة الظاهرة هو اليدين وما فيهما من الزينة كالقلب والفتحة .

ويبيح مسنور بن غزوة وفائدة كشف اليدين بوضعهما كالخواتم
والقلبين أو السوارين . ولكنه يفهم من أقوالها في باب الوجه أنها
لا يجوز أن لا تكشف اليدين منه (١) .

وتدبر حقيفة هذا الاختلاف بين الفهرين إن هؤلاء جميعاً فهموا
من قول (إلا ما ظهر منها) أن الله تعالى قد أباح للمرأة إبداء زينة تظهر
على الرغم من إرادتها ، أو تدعو الضرورة إلى إبدائها . أما أن تعرض
المرأة وجهها ويدها عرضاً يستميل الأنظار ، فلم يرد أحد منهم . وإغاة
كلهم قد اجتهد أن يفهم ، حسب أوقفي من الفهم وحسب رتقاء من حاجات
النساء : أي شيء تدعو الحاجة إلى كشفه وإلى أي حد تستلزم كشفه ؟
وأي شيء قد يظهر بالضرورة ، أو هو يظهر أبدأ في عامة الأحوال ؟ وبحسب دلالة
أدلى برأيه في تفسير الآية . هي أننا نقول في هذا المقام أن لا نقبلوا استثناء (إلا)

(١) كل هذه الأقوال قد قلت من تفسير ابن جرير الطبري وأحكام القرآن الجصاص

ما ظهر منها) يأمر من تلك الأمور ، بل دعوا المرأة المؤمنة التي تريد أن تتبع أحكام الله تعالى ورسوله ، ولا ترضى الوقوع في الفتنة ، تحكم بنفسها بحسب أحوالها وحوائجها : هل تكشف الوجه أم تستره ؛ وإن كشفت في بعض الحالات ، فليكن تكشفه وحسب لا تكشفه ؛ ثم أي جزء منه تكشفه وفي جزء تخفيه ؛ إن الشارع لم يرد عنه في هذا الباب أحكام قاطبة صريحة ، ولا من مقتضى الحكمة ، نظراً لاختلاف الأحوال والحاجات ، أن توضع فيه أحكام قاطبة متصلة ، وذلك أن المرأة التي تضطر إلى الخروج لبعض شؤونها وللعسل خارج بيتها ، لا بد أن تحملها الضرورة على كشف اليدين وكشف الوجه أيضاً . ومثل هذه المرأة قد رخص لها في الأمر حسب ما تستوجبه حاجتها وضرورتها . وأما المرأة التي ليس بها شيء من تلك الحاجات ، فلا يصح لها أن تكشف شيئاً منها عمداً بلا حاجة .

لفقصد الشارع إذا أنه إن كشفت المرأة شيئاً من نفسها إظهاراً لحسن أحوالها ، فهو إثم . وإن ظهر منها شيء بنفسه بدون أن تستعمل ظمارة ، فلا جناح فيه عليها ، وإن دعت الحاجة الحقيقية إلى كشف شيء ، فحائز ومباح كشفه . وأما السؤال عن الوجه على الأخص ، - بصرف النظر عن اختلافه الاحوال - هل يجب الشارع كشفه أو لا يجب ؛ وهل يجوز إبداءه كضرورة لا مناص منها ، أم ليس الوجه عنده مما يجب

إخفاؤه من الأجانب : فتهدى في كل هذه الأسئلة آية الحبيب ،لأنية من سورة الأحزاب :

مكة

وَلَا يَهْدِيهِمْ إِلَى يَأْتِيهَا النَّاسُ قُلْ لَا أَتْلُو أَسْمَاءَ بَنَاتِكُمْ وَإِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ ، بَنَدِينَ عَلَى بَنِي مِنْ جَلِيلِينَ قَرِيبَ أَتَى أَنْ
يُغْرَقَ قَتْلًا يُؤْتِيهِمْ (الاحزاب : ٥٥) فِي رُتْلِ حَسَنَةٍ فِي سَفَرِ
الْوَجْهِ (وَالْجَلِيلِ) جَمْعُ جَلِيلٍ وَهُوَ الْقَوْبُ الْوَاسِعُ أَوْ الْخِجَارُ أَوْ الرِّدَاءُ
و (بَنَدِينَ) أَيُّ بَرَخِينَ . هُنَا الْآيَةُ بِالْحَرْفِ : أَنْ يُرَخِّينَ جَانِبًا مِنْ
خِجَرِهِنَّ أَوْ ثِيَابَهُنَّ عَلَى أَنْفُسِهِنَّ . وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ (ضَرْبِ الْخِجَارِ عَلَى
الْوَجْهِ) وَالْمَقْصُودُ بِهِ سَتْرُ الْوَجْهِ وَإِخْفَاؤُهُ ، سَوَاءٌ كَانَ بِضَرْبِ الْخِجَارِ أَوْ
بِلَبْسِ الثَّيَابِ ، أَوْ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى غَيْرِ . وَتَقَدَّرَتْ الْآيَةُ مِنْ مَصَالِحِهِ
إِنَّ الْمُسْلِمَاتِ إِذَا خَرَجْنَ مِنْ بَيْتِهِنَّ تَمَسَّكْنَ عَلَى هَذَا التَّعَدُّو ، عِلْمُ أَهْلِ
الرِّيَّةِ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُنَّ شَرِيفَاتٌ ، لَا إِمَاءَ وَلَا مُتَبَدِّلَاتٍ ، فَمِنْ يَضْرِبُ
لِحْنًا مِنْهُنَّ أَحَدٌ .

وجميع المفسرين قد ذهبوا بهذا المذهب في تفسير هذه الآية. فيروى عن ابن عباس رضي الله عنه قوله : « أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق بالجلابيب » (١) وعن

(١) تفسير ابن جرير الطبري - ج ٢٢ / ٢٩

ابن سيرين قال : « سألت عبيدة بن سفيان بن الخارث الحصري عن قوله تعالى : « قُلْ لَأَرْوِاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيسٍ » . قال فقال يشوبه » فقطش رأسه ووجهه وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه » . (١) ويقول العلامة ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية : « بأنها التي قل لأرواجك وبنااتك ونساء المؤمنين لا تشبهن بالاماء في لباسهن اذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن » فكشفن شعورهن ووجوههن » ولكن يدنين عليهن من جلابيبهن لئلا يفرص لهن ففس اذا علم انهن حرر ، ماذى من قول » . (٢) ويكتب العلامة أبو بكر الجصاص : « في هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأبورة بستر وجهها عن الاجنبيين وإظهار الستر واسفاف عند الخروج لئلا يطمع أهل الويب بهن » . (٣) وعن العلامة النيسابوري في تفسير هذه الآية : كانت النساء في أول الاسلام على حالتين في الجاهلية متبدلات يعرضن في درع وخمار من غير فصل بين الحرمة والامة . فأمرن بلبس الأردية وستر الرأس والوجوه . (ذلك) الإدناء (دنى) وأقرب الى (أن يفرقن) أنهن حرار ، أو أمهن لسن يزانيات ، فإن التي ستوت وجهها أولى بأن تستر عورتها . (٤) ويكتب الامام فخر الدين الرازي :

(١) تفسير الطبري ٢٢/٢٩ : احكام القرآن للجصاص - ٢٥٧/٣

(٢) تفسير الطبري - ٢٩/٢٩

(٣) احكام القرآن - ٤٥٨/٣

(٤) تفسير خيرات القرآن على حاشية ابن جرير الطبري ج ٣٢/٢٩

« وكان في الحاهلية تخرج الحرة والامة مكشوفات يتبعهن الزناة وتقع
 التهم . فأمر الله الحرائر بالتجلبب . وقوله تعالى (ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ
 يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ) قيل يُعرفن أنهم حرائر فلا يُتبعن . ويمكن
 أن يقال : المراد يُعرفن أنهم لا يزني . لأن من تستر وجهها مع أنه ليس
 بمورة (١) لا يطلع فيها أنه فكشف عورتها فيعرفن أنهم مستورات
 لا يمكن طلب الزنى منهن . (٢) ويكتب القاضي البضاوي : « يُؤذَيْنَ
 عُلَيَّيْنِ مِنْ جَلَّيْنِ » أي يتبعين وجوههن وأبدانهن بلا حجب ،
 إذا برزن لحاجة . و (مِنْ) تنبيه . فإن المرأة تُرخي بعض جلبابها
 وتشف بعض . ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ : يُميزن من الامة ولقيت .
 فلا يؤذين : فلا يؤذين أهل الرية بالتمرض لهن . (٣) .

ويشنع من هذه الأقوال جميعاً أنه من لدن عصر الصحابة لم يهون
 إلى القرن الثامن للهجرة ، حمل جميع أهل العلم هذه الآية على مفهوم واحد ،
 هو الذي قد فهمته من كلماتها . وإذا رجعنا بعد ذلك الأحاديث النبوية
 والآثار علمنا منها أيضاً أن النساء قد شرعن يلبسن اللقاب على العموم ،
 بعد نزول هذه الآية على العهد النبوي . ولكن لا يخرجن مفرات . فقد
 جاء في سنن أبي داود والترمذي والموطأ للإمام مالك وغيرها من كتب

(١) « المورة » في المصطلح الاسلامي ما يجب منه من البسمة على كل رجل و
 امرأة غير الزوج أو الزوجة . فما بين لسرة والركبة من الرجل أيضاً مورة
 بهذا المعنى .

(٢) القدير الكبير الرازي - ج ١/٦ .

(٣) مسير البضاوي ج ١/١٦٨ .

الاحاديث أن كان النبي ﷺ قد أمر أن : المحرمة لا تنقب ولا تلبس
 القفازين . و نهى النساء في إحرامهن عن القفازين والنقاب . وهذا
 صريح الدلالة على أن النساء في عهد النبوة قد شوهدن الانقباب وليس
 القفازين عامة ، فنهين عنه في الإحرام . ولم يكن المقصود بهذا الحكم
 أن تعرض الوجوه في موسم الحج مغطياً ، بل كان المقصود في الحقيقة
 أن لا يكون القناع جزءاً من هيئة الإحرام المتواضعة ، كما يكون جزءاً
 من لباسهن عادة . فقد ورد في الأحاديث الأخرى تعريضاً بأن
 أرواح النبي ﷺ وعدة الملمات كنَّ يحفين وجوههن عن الأجانب في
 حالة إحرامهن أيضاً . ففي سنن أبي داود : عن عائشة قالت : كان الركبان
 عرّون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات ، فإذا خاروا بنا سدلت
 إحداها جلبابها من رأسها على وجهها ، فإذا خاروا كشفناه (١) . وفي
 الموطأ للإمام مالك : عن فاطمة بنت المنذر قالت : كنا نختصر وجوهنا
 ونحن محرمات ونحن مع أسماء بنت أبي بكر الصديق ، فلا تنكره علينا (٢)
 وقد ورد في فتح الباري عن عائشة رضي الله عنها : تسدل المرأة جلبابها
 من فوق رأسها على وجهها (٣) .

النقاب

وكل من تأمل حكايات الآية وما مرها به أهل التفسير في جميع

(١) أبو داود - باب في المحرمة تنظي وجهها .

(٢) الموطأ - باب تحميم المحرم وبعده

(٣) فتح الباري - كتاب الحج

الازمان بالاتفاق ، وما تعامل عليه الناس على عهد النبي ﷺ ، لم ير فيه الامر مجالا للجهود بأن امرأة قد أسرها الفرس الإسلامي بستر وجهه عن الاجانب ، ما زال العمل جارياً عليه عند عهد النبي ﷺ إلى هذه اليوم . وأن النقاب مما قد اقترحه القرآن نفسه من حيث حقيقته ومعناه وإن لم يصطلح عليه لفظاً . وكانت نساء المسلمين قد اتخذته جزءاً من لباسهن لخارج البيت ، برأى من الذات النبوية التي رزى عليها القرآن ، وكان يسمى نقاباً في ذلك العهد أيضاً .

نعم ، هو هذا النقاب (Veil) الذي تمده أوربة عاية في الشدة والقبح . ويكاد الضمير الغربي يفتق حتى من تصوره ، ويستبره الغربيون عنوانه العلم وسيا الوحشية وضيق الفكر . وهو أول ما يقف عليه المختصر إذا ذكرت أمة شرقية بالجملة والتخفيف في طريق التمدن . وأما إذا وصفت أمة في الشرق بكونها سائرة في طريق الحضارة والتمدن ، فأول ما يذكر من شواهد بكل تبجح واقتدار ، هو كيون (النقاب) قد رال عن هذه الامة أو كاد . « يا غزيركم يا أصحابنا المجددين المستشرقين إذا تبين لكم أن هذا شيء لم يبتزع بعد زمان النبي بل نسج برده القرآن نفسه ، ووجهه النبي ﷺ في أمته في حياته . هي أن شعورك بهذا الغزير وإطراقكم بالندامة والخييل ليس ببالغكم شيئاً ، لأن النعمة إن كانت رأساً في اقرب لرؤية المبادئ ، فانه لا يطردها عنها المسائد ولا

ينفى وجوده ، كذلك إن أشحتم بوجوهكم عن الحقيقة ، لم تطل بسـ
 الحقيقة الناجية ولم تمنح آية القرآن ، وإن حاولتم أن نكتبوا هذه الوصية
 - كما ترونها - في تمدنكم من وراء حجب التأويل ، لم تزيدوها إلا وضوحاً
 وجلاءً . وإذا كنتم قد قررتم هذا النقاب عاراً على أنفسكم وشعاراً ، بيد
 إيمانكم بوحى القرب ، فليس إلى غيبه عن أنفسكم من سبيل غير أن
 تعلموا براءتكم من الدين لاسلامى الذى يأمر بالاشياء السمجة البشعة
 كلبس النقاب وإسدال الحار ومستر الوجوه . إنكم تقوم تشدون الرقي
 وتعلمون الحضارة فأنى لدين يمنع ذات الخدر أن تكون عطر المجالس ،
 ويوصيها بالمفة والحياء والاحتجاب ، ومنى ربة البيت أن تكون مرفوعة
 لكل غادر رائع ... أنى لدين مثل هذا أن يصلح في رأيكم للاتباع ؟
 وأن هو من الرقي ؟ ومن التذبذب والحضارة ؟ وإنما الرقي والحضارة
 يقتضيان الآكسة - إذا همت بالخروج من بيتها - أن تنفض يديها من كل
 عمل قبل ساعتين من موعد الخروج ، لتفرغ فيها إلى زيتنها وتجعلها -
 فسطر الجسم كله بالطيب ، وتلبس اللباس الجذاب الاخاذ ، وتبيض الوجه
 والذراعين بأنواع الساحيق ، وتلون الشفتين بقلم الدهان الاحمر Lip Stick
 وتجهز قوس الحاجبين وتضع للرمي سهم النظر ، حتى إذا خرجت من
 البيت راقدة في هذه الزخارف ، استهوى كل مظفر من مظاهر زيتنها
 وجمالها القلوب ، وجذب الانظار ، وفنن القول ، ثم لاتعلمثن نفس
 الآنة بعد هذا كله من التظاهر بالجل ، بل تكون أدوات الزينة والزخرفة

محمولة معها في عتيدها (١) ، حتى تتدارك بين حين وآخر كل ما نقص أو
ضاع من دقائق ريتها .

إن بين مقاصد الاسلام ومقصد الحضارة الغربية - كما ذكرناه غير
مرة فيما سبق - لبونا بعيداً وبعيداً شامساً جديداً ، ونحطى به بين الخطأ من
يريد أن يفسر أحكام الاسلام بوجهة نظر الغرب ، ذلك بأن ما عند الغرب
من المقياس لأقدار الأشياء ، وفيها ، يختلف عنه مقياس الاسلام كل
الاختلاف ، فالذي يكبره الغرب ويسده غلبة الحياة الانسانية ، هو في
عين الاسلام من التواضع والهنات ، وإن ما يهتم به الاسلام ويعظم شأنه هو
عند الغرب من سقط المتاع . لذلك كل من قال بمسحة المقياس الغربي ،
فلا بد أن يرى جميع مآقي الاسلام واجب الترميم والاصلاح . وإذا مضى
يفسر أحكام الاسلام ويشرحها ، جاء بها بحرفة عن معانيها ، ثم لم يوفق
في تطبيقها على الحياة العملية حتى في صورتها الحرفية ، لما بصر من سبيله
إلى ذلك من أحكام القرآن ونصوص السنة البينة . فإني بمن هذا الرجل
قبل أن ينظر في جزئيات المناهج العملية ، أن يتأمن لمقاصد التي قد اتخذت
للموصول إليها تلك المناهج ، وينظر هل هي صالحة للقبول أم لا . وإن هو
لم يكن موافق تلك المقاصد نفسها بأي غناء يضيئه لبحث في المناهج التي
تختار لتحقيق تلك المقاصد ، ولماذا يكلف نفسه مسيح تلك المناهج وتحريرها ؟
أليس من الأجدر به والاصح له أن يهجر الدين الذي يحطى بمقاصده ؟

(١) العتيقة : الوعاء الذي يكون فيه طيب المرائح وغيره من الأشياء . Purse .

وأما إذا كان يتفق مع تلك المقاصد ، فلا يبقى البحث بعد ذلك إلا فيما يتخذ لتحقيقها من المناهج ، هل هي صحيحة أم لا ؟ وهذا البحث يمكن طيه بكل سهولة . ولكن هذه الطريقة لا ينبغي إلا ذوقها المروعة ولكرمهم ، وهم فيلونها ، وأما المناقون الذين هم بطبيعتهم أحببوا ما خلق الله في هذا الكون ، فلا يركبهم إلا أن يدعوا إيمانهم بشيء ، ويؤمنوا في الحقيقة بشيء آخر .

فككل ما لا يزال هؤلاء يتخوضون فيه من المباحث حول الحجاب وانتقابه ، هو صدر في الحقيقة عن هذا النفاق . وقد استفدوا كل ما في طاقاتهم ووسمهم لإثبات أن هذا الوضع من الحجاب إنما كان رواجاً في أمم الجاهلية قبل الإسلام ، ثم نزل هذا الميراث الجاهلي إلى المسلمين في بعض الصور المتأخرة البعيدة عن عهد النبوة . ولماذا يتكلمون هذا البحث والتحقيق التاريخي بأراء النص القرآني الصريح ، والعمل الثابت في عهد النبوة ، وتفسير الصحابة والتابعين لفهوم الآية ؟ إنهم يتكلمونه لجرد أنه كان - ولا يزال - أصعب أعينهم من مقاصد الحياة ما هو مقبول شائع في الغرب . وأنه قد وسع في أهدافهم من تصورات الحضارة والرفق منازل إليهم من سمائه . ولما كان ليس الملاحة والانتقابه لا يلائم تلك التصورات بحال من الأحوال ، فقد جاؤوا بمول التحقيق التاريخي ، ليهدموا به ما هو ثابت في شرع الإسلام . وهذا النفاق البين الذي قد تناولوا به هذه المسألة مع غيرها من المسائل ، يرجع في أصله إلى ما سبق أن ذكرناه

فيهم من خفة العقل وفقد الجراحة الخلقية وعدم التمسك بالبدىء . ولولا ذلك ما سوت لهم أنفسهم أن يأتوا بالتاريخ شاهداً على القرآنت ، مع كونهم يدعون الاسلام وينتمون اليه . بل كانوا أحرىء - لو أرادوا أن يبقوا مسلمين - أن يستبدلوا المقاصد القرآنية بغير مدغم هم ، أو يملئوا انصرافهم عن الاسلام الذي يترضى سيلهم إلى التقدم والرفي حسب ما يهيمونه من معاني الرقي .

إن من يفهم مقاصد القرآن لاسلامي وله مع ذلك حظ من العقل البسيط (Common Sense) ، لا يصعب عليه أن يفهم أن إطلاق الحرية للنساء في الخروج سافرات الوجوه يختلف تلك المقاصد التي يهتم بها الاسلام كل هذا الاهتمام . وذلك بأن أكثر ما يؤثر في نفس المرأة من امرى آخر هو وجهه . وإن لوجهه هو ان يظهر الأكل للجمال الخلقي والطبيعي في الانسان . فهو أكثر مفاخر الجمال الانساني جذباً للأنظار واستواءاً لنزعاتهم هو العامل الأقوى للمجاذبة الجنسية بين الصنفين ، وفهم هذه الحقيقة لا يحتاج إلى تعمق في علم النفس ، بل يرجع في ذلك إلى ضميرك نفسك تطالب حكمة ، وإلى عينيك تستفيها ، وإلى فحار بك النعسية تستبسط منها النتائج ، وجنبت نفسك آفة النفاق ، قلت المناق إن رأى حتى وجود الشمس سدرأ بمقاصده ، لم يتردد في إنكاره بالمرّة في رائحة النهار ، بل لازم جانباً صدق فان فعلت ، لم تعبد بداً من الاعتراف بأن هذا الجمال الطبيعي الذي قد وضعه الله في وجه الانسان هو أكثر ما يستهوي الناظر ،

وهو أكبر عامل لتحريك الجنسي (Sex Appeal) . ثم هل رأيت أنك
إن كنت تريد أن تتزوج بثقة وأردت أن تلقي عليها نظرك قبل أن تعزم
على الأمر بصفة نهائية، فقد لي بالقدربك ! إلام تنظرها لتقبلها أو ترفضها؟
وهب أن لنظرك إلب صورتين اثنتين : أولاهما أن تخرج لك الفتاة في كل
ذبتها إلا وجهها . والثانية أن تريك وجهها وحده من نافذة دوت سائر
جسمها . فأني سورة من هاتين تختارها لانتخاب الفتاة لنفسك ؟ اسدني
بأنه ألا يكون جمال الوجه أثر وأرجح عندك من جمال سائر الجسم؟ .

وإذا تقررت هذه الحقيقة ، فليتمض في البحث قدماً . فنقول إنه
إن لم يكن منع الفوضى الجنسية ومنع الميخان الشهواني المتطرف في المجتمع
من المقصود المنشود ، فلتكن المرأة إدا في حل من الكشف عن نحرها
وذراعها وساقها ومخذيها ، دمع عنك وجهها وحده ، كما هو عليه الحال
في الحضارة الغربية هذه العهد . ولا حاجة لوضع تلك الحدود والقيود التي
قد مر ذكرها في مرمس قانون الحجاب الاسلامي . ولكنه إن كانت
المقصود هو سد هذا الطوفان ودفع غائلته عن المجتمع ، بأي سخافة
أكبر من أن توصد في وجهه صفار لناوند ويقطع له باب رئيسي كبيراً .

ولك أن تسأل في هذا المقام أنه إن كان الأمر كذلك ، فالاسلام
يبيح للمرأة أن تكشف وجهها عند الحاجة والضرورة ، كما قد ذكرت
بنفسك فيما مر ؟ فالجواب عليه أن القانون الاسلامي ليس بقانون مائل
الشك ، منحرف عن الاعتدال ، بل هو بينا براعي - بحسبان - مصالح

الاخلاق ، راعي - بالحجاب الآخر - ضرورات الانسان وحاجاته ، ويقم
 بينها الميزان بتأية القسط . انه يريد أن يسهل باب الفتن الخلقية ، ويريد
 مع ذلك أن لا يفرض على الانسان قيوداً لا يستطيع معها أن يقضي حوائجه
 الحقيقية . وهذا هو السبب لأنه لم يأمر المرأة في وجهها ويداها بحجب
 ، أمرها به فيستر السورة وإخفاء الزينة من الاحكام القطعية الصريحة .
 ذلك بأن ستر العورة وإخفاء الزينة لا يخل بقصد حاجات الحياة أبداً .
 ولكن المداومة على إخفاء الوجه واليدين قد ترهق المرأة من أمر القيام
 بحاجاتها سرراً . من ثم قد قررو الاسلام على وجه العموم أن تدعى
 النساء عليهن من جلايبهن . ثم أجاز لمن يقوله (إلا ما ظهر منها) أن
 يكشفن عن وجوههن إذا ما اقتضته الضرورة ، بشرط أن لا يقصد بذلك
 إظهار الجمال . بل يكون المقصود قضاء حاجة وحيدة ، وسد باب ذلك
 أبواب الفتنة من قبل الرجال بأن أمرهم أن يفضوا من أنصارهم . وذلك
 " أنه إن كشفت امرأة عفيفة عن وجهها مضطراً ، غص الرجال من
 أنصارهم عن النظر إليها ، ولم يصعدوا منها أنظارهم بما لا يليق .

إذ إن أتممت النظر في أحكام الحجاب هذه ، تبين لك أن الحجاب
 الاسلامي ليس يهيء من باب التقاليد الجاهلية بل هو قانون عقلي منطقي .
 إذ أنت التقيد الجاهلي يكون جامداً لا مرونة فيه أبداً . وأما طريقة
 راحت فيه وبأي سورة راجت ، فلا يمكن قط أن تمدك أو تبدل .
 وكل ما قضي فيه بالإخفاء ، فلاه يخفى ويستتر في كل زمان ، وعلى كل

حال ، وإن كان دونه هلاك الأنفس وضايح الاعراض . وأما القانون
 العقلي ، فيكون - على مكس ذلك - لدفاً مرناً ، يميل مع الضرورات
 الحقيقية ، ويتسع لكل من التشديد والتخفيف حسب مقتضى الاحوال .
 وتترك في قواعده العامة صور استثنائية لكل الاوضاع والامسيات فلا
 يشيع هذا القانون انبعاثاً عاماً . بل يجب لاتباعه الفهم والتمييز . ويكون
 للشيخ الماقل الفهم أن يقضي بنفسه : في أي الاحوال يجب أن يسمل
 بالقاعدة العامة ، وفي أيها غمته (الحاجة الحقيقية) من وجهة نظر القانون ،
 فيتمتع فيها برخصة الحكم الاستثنائي ، ثم يكون له بنفسه أن يحكم إلى
 أي حد ينبغي أن يتمتع بالرخصة وفي أي الماسبتة ، وكيف يراعي
 مقصد القانون الرئيسي في أثناء غمته بالرخصة ، وكل هذه الامور لا ينبغي
 فيها بالأمر الحق إلا " قلب المؤمن الصادق النية والايان . كما قال النبي
 ﷺ : " استفت قلبك ودع ما سلك في صدرك " . ومن هذا كله لا يمكن
 أن يشيع الاعلام اتباعاً صحيحاً بالجهالة وعدم الشهور . وإنما هو قانون
 عقلي يستلزم اتباعه الفهم والفطنة والشهور عند كل خطوة من خطوات العمل .

أحكام خروج المرأة من البيت

وآخر ما أمر الله به النساء ، بعد ما وصاهن في اللباس وفي حدود العورة ، هو ما يأتي : « وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى » (الأحزاب : ٣٣) « وَلَا يَصْرُخُنَّ يَارَ جُلِيبٌ لِيُخَالِسَنَا يَا يُحْشِقِينَ مِنْ رَبَّنَا » (النور : ٣١) « فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَلَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْمَرٌ » (الأحزاب : ٣٣) . وقد اختلفوا في قراءة (وَقَرْنَ) فقد قرأها طائفة قراء المدينة وبعض الكوفيين بفتح القاف ومصدرها قرار . ومعنى الآية بذلك : التزمي بيوتكن واستقرري بها . وقرأها طائفة قراء البصرة والكوفة (وَقَرْنَ) بكسر القاف ، وهي من قرَّ الرجلُ وقرَّ وقرَّ وقالاً . فمضى الآية إذاً : عيشن في بيوتكن بالسكينة والوقار . والتبرُّج معبراً : أحدهما إظهار الزينة والحاسن . والآخر : التبختر والاختيال ، والثلاثي والتأوُّد في المني . وكلا هذين المعنيين مراد في هذه الآية . وذلك أن النساء في الجاهلية الأولى ، كنساء هذه الجاهلية الجديدة ، كن يخرجن في أجود ربتن ويمشين مشية من الدلال تكاد لا تقع فيها أقدامهن

على الأرض، بل على قلب من ينظر إليهن . ويقول الناسى والمفسر الشهير قتادة بن دعامة : « كانت لهن مشية تكسرن وتفتحن ففاهن » الله عن ذلك . « وتصور كيفيتها لا نحتاج إلى بيان تاريخي ، بل اشهد مجلساً محضره أو انس من الطراز المصري الأورثي ، تمتثل لك مشية التبرج الذي اعتادته نساء الجاهلية الأولى . هي هي التي ينهى عنها الإسلام » ويقول : إن مقام المرأة ومستقرها هو البيت . وما وضعت هن واجبات خارج البيت إلا « ليلازمن » البيوت بالسكينة والوقار ويقمن بواجبات الحياة العائلية . أما إن كان هن « حاجة إلى الخروج ، فيجوز لهن أن يخرجن من البيت ، بشرط أن يراعى جانب العفة والحياء . فلا يكون في لباسهن برقع أو زخرفة أو جدية ، تجذب إليهن الانظار ، ولا في نفوسهن من حرص على إظهار ريشتهن ، يكشفن قارة عن وجوههن ، وأخرى عن أيديهن ، ولا في مشيتهن شيء يستهوي القلوب ، ولا يلبسن كذلك من الحلي ما يحلو وسوسه في السامع ، ولا يرفعن أصواتهن بقصد أن يسمعا الناس . نعم ، يجوز لهن التكلم في حاجتهن ، ولكنه يجب أن لا يكون في كلامهن لين وخضوع ولا في لمحن عذوبة وتشوين . كل هذه الضوابط والحدود إن راضتها النساء ، جاز لهن أن يخرجن لحوائجهن .

هذا في القرآن . وما الآن يرجع إلى السنة المطهرة ، ترى ما الذي كانت قرره النبي ﷺ من الطرق لسلوك نساء المسلمين في المجتمع ،

وضاً لهذا التسليم القرآني ، وكيف عمل به الصحابة والسُّوم رضي
الله عنهم .

الرفعة في خروج النساء لحوائجهم

قد ورد في الحديث أن عمر رضي الله عنه كان يود : قبل أن ينزل
الحجاب ، لو أن رسول الله ﷺ يأمر نساءه بالاحتجاب ، ودات مرة
خرجت أم المؤمنين سودة رضي الله عنها لبعض طجتها بالليل ، فرآها
عمر بن الخطاب وقال : يا سودة ! أما والله ما تخفين علينا ، فاضري كيف
تخرجين . وكان مراده بذلك أن تمنع النساء من الخروج . ولما نزلت
بعد ذلك آية الحجاب ، نسط عمر ، وورداد شدة في نهى النساء عن
الخروج . وحدث لسودة رضي الله عنها مرة أخرى أن خرجت من بيتها
فصاح بها عمر ، فرجعت إلى النبي ﷺ ، وذكرت ذلك له . فقال : قد
أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن . (١)

فيعلم من هذا أنه ليس المراد بحكم (وَفَرَّغْنَ فِي يَبُوتِكُنَّ) أن
لا تخطي النساء عتبة بيتن أبدًا ، بل الأمر أن قد أذن لهن أن يخرجن
لحوائجن . ولكن هذا الإذن ليس بطلق غير محدود ، ولا هو غير
مقيّد بشروط . فليس جائزاً للنساء أن يظعن خارج بيوتن كما شئن ،

(١) هذه خلاصة أحاديث متعددة أخرجهما مسلم في باب (إباحة الخروج للنساء
لفضاء حاجة الإنسان) ، والبخاري في باب (خروج النساء لحوائجن) وباب
(آية الحجاب) .

ويخالطن الرجال بحرية في الجاس وتواذي. وإنما مراد التشريع بالخوائج هو الحاجات الحقيقية التي لا يدّ معها النساء من أن يخرجن من البيوت ويصلن خارجها. ومن الظاهر أنه لا يمكن استيعاب جميع الصور الممكنة لخروج النساء وعدم خروجهن في جميع الأزمان، ولا من الممكن وضع الضوابط والحدود لكل مناسبة من تلك المناسبات. غير أن المرء يستطيع أن يفتش روح القانون الإسلامي ورجحانه، إذا نظر فيما قرره النبي ﷺ من الضوابط لخروج المرأة من البيت في عامة الأحوال الحياتية، وما تناول به حدود الحجاب من الزيادة والنقص بين آونة وأخرى، وأن يستخرج بنفسه حدود الحجاب الأحوال المردية والشؤون الجزئية، وقواعد الزيادة فيه والنقص منها تبعاً للحالات واللازمات. وهذا نحن لسرد فيما يلي بعض المسائل (إيضاحاً للأمر):

المدون في حضور المساجد وحرورها

معلوم بالبداية أن أعظم الفرائض في الإسلام هو الصلاة. وقد جاء في الحديث على حضور المساجد والجمعة ما لا يخفى على أحد. ولكن النساء قد أمرن في باب الصلاة مع الجماعة بكس ما أمر به الرجال. فأفضل صلاة الرجل هو ما يصلّيه مع الجماعة في المسجد. وأفضل صلاة المرأة ما تصلّيه في أهل خلوة من بيتها. وقد أخرج الإمام أحمد والطبراني عن أم حبيدة الساعية، قالت: «يأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحب الصلاة منك، قال: وقد علمت. صلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في مجرتك»

وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجد الجماعة . (١) . وحديث آخر في مثل هذا الموضوع قد أخرجه أبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ « صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مسجد أفضل من صلاتها في بيتها » . (٢)

فاظنر كيف اتعب الترتيب في صلاة المرأة . فبينما أحطت صلاة الرجل هو ما يصلّيه في بيته ، وأفضلها ما يصلّيه مع أكبر جماعة في المسجد . إذ أفضل صلاة المرأة صلاتها في أقصى خلوة بيتها . ومثل هذه الصلاة في الخلوة لم تُفضل على صلاة الجماعة لحسب ، بل فُضِّلَتْ على

(١) إن الصلوة من وراء إيصاء المرأة بأن تصلي في أحد خلواتها ، قد تمهيدا للنساء أكثر من غيرهن . وذلك أن المرأة تتأخر في كل شهر أيام ، تنظر فيها إلى ترك الصلاة . وبذلك يظهر منها ما لا يحب ذات حياء أن يظهر حتى على أخواتها وأخواتها في البيت ، وهذا الحياء ربما جعلهن على ترك الصلاة . فأحسن الشارع من هذا ، فأوصاهن أن يصلين في ناحية من الخلوة ، حتى لا يطلع أحد من صلاتهن . ولكن هذا على كل ، وصيغة لاحق أو أمر مؤكد . ويجوز للنساء ، ولأرب ، أن يصلين في جماعة في بيوتهن ، وتعني بين امرأة منهن . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أذن لأم ورقة بنت عبد الله بن أسامة أن تصلي بالنساء (أبو داود) . وفي سنن الفارغاني والبيهقي ابن عائشة رضي الله عنها صلت بالنساء وقامت في وسط الصف .

(٢) بأن ما جاء في خروج النساء إلى المساجد .

ما ليس وراءه مطمع لمسلم ، وهو صلاة الجماعة في المسجد النبوي خلف النبي ﷺ نفسه . وأثبت ما العلة لهذا التمييز بين المرأة والرجل في هذه العبادة ؛ أليست علته أن النبي ﷺ لم يحب خروج المرأة من بيتها وأراد أن يمنع اختلاط الذكور والإناث في جماعة المسجد .

على أن الصلاة فريضة مقدسة . والمسجد مقام طهارة وصفاء . لذلك فيما أفصح الشارع عما يريد من منع اختلاط الجنسين ، عاين لأنواع صلاتها من الخصوصية وعدم التفضيلة ، لم يمنع النساء على الإطلاق من حضور مقام مطهر كالسجدة ، لعمد مصالح كالصلاة . ولأن الكلمات التي قد ورد فيها الإذن لمن في حضور المساجد ، لدائنة على سمو حكمة الشارع . قال ﷺ : « لا تغموا إمامة الله مساجد الله . وإذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها » . (١) وقال : « لا تغموا نساءكم مساجدكم ويوتن خير لمن » . (٢) .

هذه الكلمات صريحة بأنه لا يجب أن الشارع لا يمنع النساء من المساجد ، لأن حضور المساجد للصلاة ليس بأمر مريب ، حتى يحظر ويُنهى عنه . ولكن المصالح الاجتماعية لا تقتضي أيضاً أن يختلط الرجال والنساء في جماعات المساجد . لذلك رخص الشارع للنساء في إتيان المساجد ولكنه لم يأمر الرجال أن يمشوا نساءهم إلى المساجد أو يحضرونها

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه أبو داود

معهم إليها . وفيما اكتفى بدين أمين إن آثر أن لا يفسد أدنى الدرجة من الصلاة ، وهي التي يصلّيها في المسجد ، على أفضل سلاتين في ناحية البيت ، فاستأذنتكم في الأمر ، فلا تفتنوهن . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعرف جيداً روح الشرع . ففهم حكمة الشارع في أقواله هذه جيداً . فقد جاء في موطن لا امام مالك أن كانت عاتكة بنت زيد زوج عمر بن الخطاب تنازعه دائماً في هذا الأمر ، كان عمر لا يحب لها أن تحضر المسجد ولكنها تنصر عليه . فكان إذا استأذنته ، يسأل بالأمر النبوي بدقة ، فيسكت ولا يجيب . ففت شقة . كافي ، يريد بهذا السكوت أن لي آذن لك إلى المسجد . فتقول عاتكة : والله لأخرجن ، إلا أن تمنيني ، أي تصرّح بالتحريم . ولكنه لا يمتثل (١) .

مروط حضور المساجد

وقد اشترط على النساء في حضورهن إلى المساجد أمور :
أولها أن لا يحضرنها في انتهاء كل يشتركن في الصوت التي تسلي في سواد الليل . أي المساء والفجر . عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد » . (٢) قال طه بن

(١) وقد كان هذا يخص زوج عمر بن الخطاب وحدها . بل كان كثير من النساء يحضرن المسجد للصلاة مع الجماعة ، وأخرج أبو داود أنه ربما كان للنساء مكان في المسجد . (باب ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من أمثاله أهله) .
(٢) أخرجه الترمذي في باب (خروج النساء إلى المساجد) ، وفي هذا معنى حديث أخرجه البخاري في باب (خروج النساء إلى المساجد بالليل والنهار) .

عمر : وكانت شخصاً من الليل بذلك لكونه أستر وأخفى . وعن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ ليصلي الصبح فيصرف النساء من خلفات يروطن ما يمر من من الغلس (١)

والثاني أن لا يحضرن المساجد متزينات ولا مطبّيات عن عائشة رضي الله عنها قالت : بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد ، إذ دخلت امرأة من مؤمنة ترفل في زينتها ، في المسجد ، فقال النبي ﷺ : يا أيها الناس ! اتوا نساءكم عن لبس الزينة ، واتخذن في المسجد (٢) ونهى كذلك عن التطيب . فقال : إذا شهدت إحداكن أمشاء ، ولا تطيب تلك الليلة ، وقال : أيها امرأة أبيت بخوراً ، فلا تشهد منا أمشاء (٣) .

والشرط الثالث : أن لا تختلط النساء بالرجال في الجماعة ، ولا يسبقن

(١) الترمذي - باب (التطيب في الصلوة) . وقد جاءت أحاديث في هذا الموضوع في البخاري - باب (وقت الصلوة) ومسلم - باب (استحباب التكبير بالصبح في أول وقت) وابن داود - باب (وقت الصبح) وصانيد أخرى . وأيضاً جاء في كتب الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم وسائر المرسلين كانوا يجلسون بعد الصلاة ربما تنصرف النساء . ثم يقوم ويلبسون .

(٢) ابن ماجه - باب فتنة النساء

(٣) أبو داود - باب خروج النساء إلى المساجد . ومسلم - باب خروج النساء إلى المساجد . وابن ماجه - باب فتنة النساء

إلى الصفوف الأمامية . بل يجب أن يقمن خلف صفوف الرجال . قال
 النبي ﷺ : خير صفوف الرجال أولهم ، وشرها آخرها ، وخير صفوف
 النساء آخرها وشرها أولها . (١) وكان عليه الصلاة والسلام قد أمر
 في صلاة الجماعة ألا يقوم الرجل والمرأة جنباً لجنب ، وإن كانا زوجين
 أو أماً وابناً . فمن أنس بن مالك أن جدته ملىكة دعت رسول الله
 ﷺ لطعام صنعه ، فأكل منه ، ثم قال : قوموا فليصل بكم . قال أنس :
 فمعت إلى حبيبنا قد أسود من طول ما لبس ، فنضحت بالماء . فقام
 رسول الله ﷺ وصفت عليه أنا واليتيم وراءه ، ولجوز من وراءه . (٢) وعن
 أنس رضي الله عنه في رواية أخرى : قال : سلّيت أنا واليتيم في بيتنا
 حلف النبي ﷺ ، وأمي وأم سليم حينما . (٣) وعن ابن عباس رضي
 الله عنه ، قال : سلّيت إلى جنب رسول الله وفائشة خلفت فصلتي منها ،
 وأنا إلى جنب النبي ﷺ أسلّيت معه . (٤)

والشرط الرابع : أن لا ترفع النساء أصواتهن في الصلاة . وأما إذا
 وجب تنبيه الإمام في أثناء الصلاة فالرجال التسبيح ولهن التصفيق . (٥)
 ومع كل هذه الحدود والقيود لما حثي هم ابن الخطاب رضي الله

(١) مسلم و أبو داود والترمذي والنسائي وحمد

(٢) الترمذي - باب ما جاء في الرجل يصلي وحده رجال وساء .

(٣) البخاري - باب المرأة وحدها تكون صلياً

(٤) البخاري - باب طواف الرجال مع النساء

(٥) البخاري - باب التصفيق للنساء

عنه اختلاط النساء والرجال في الجماعة ، خص النساء باباً من أبواب المسجد ، ونهى أن يدخل من بهن. (١)

النساء في الحج

والثاني من الفرائض الاجتماعية بعد الصلاة هو الحج وهو واجب على النساء كوجوبه على الرجال ، ولكن النساء أمرن أن يتعذبن مخالطة الرجال في المطاف ما استطعن . وقد أخرج البخاري عن عطاء أن النساء كن يطفن بالبيت مع الرجال على الهدنبيوي ولكنهن لا يحاطن الرجال . (٢) وعن إبراهيم النخعي في فتح الباري ، قال : نهى عمر رضي الله عنه أن يطوف الرجال مع النساء . قال فرأى رجلاً ممن ضرب به بالدرّة . (٣) وفي الموطأ أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان يقدم أهله وصبيانته من أزدلفة إلى منى ، حتى يصتوا الصبح بنى ، ويرموا قبل أن يأتي الناس . وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتي من يثرب ، فلما قيل لها في ذلك ، قالت قد كنّا نصنع ذلك مع النبي ﷺ . (٤)

خروج النساء للجمعة والعيرين

وينبغي عن البيان ما لحاظ الجماعة والميدين من عظمة شأن في الإسلام.

(١) أبو داود : باب ما جاء في اختلاط النساء في المساجد عن الرجال .

(٢) البخاري : باب طواف الرجال مع النساء .

(٣) فتح الباري : ج ٣ / ٣١٢ .

(٤) الموطأ : أبواب الحج ، باب تقدم النساء والصبيان .

ولعظمتها وخطورتها هذه ، قد وضع الشرع عن النساء في أمرها ما اشترط عليهن في سائر الصلوات من حضور جماعة في سواد الليل وحده . فأذن لمن " أت يحضرن الجمعة والسبدين ولا ريب أمين قد استثنين بصراحة من وجوب الجمعة عليهن " (١) ، إلا أنه يجوز لمن أن يحضرن هذه الجماعات إذا التزم سنن الشروط لاشتراكهن في صلاة الجمعة . وقد ثبت في السنة أن النبي ﷺ كان بنفسه يخرج نساءه إلى المسلى في السبدين ، فمن أم عطية قالت : إن رسول الله ﷺ كان يخرج الأباكار والمواتق ودوات الخدور والخيش في السبدين . فأما الخيش فيستلن المصطفى وبشدهن دعوة المسلمين (٢) . وعن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يخرج بدنه ونساءه في السبدين . (٣) وكان اجتماع النساء في السبدين مستقلا عن اجتماع الرجال ، فكان لبي ﷺ يخرج إليهن ويخطبن بعد أن يفرغ من خطبة الرجال . (٤)

زيارة القبور واتباع الجنائز

إن اتباع جنازة المسلم فرض كفاية في الاسلام ، ولا يخفى على أهل

(١) أبو داود .

(٢) الترمذي : باب خروج النساء في السبدين .

(٣) ابن ماجه : باب ما جاء في خروج نساء في السبدين .

(٤) البخاري ومسلم عن ابن عباس ، وأبو داود عن جابر بن عبد الله .

الخبرة ما ورد في الحث عليه من الاحكام . ولكن كلها للرجال . وأما النساء فقد تميزن عنه ، وإن لم يكن هذا النبي مشدداً فيه ، وكن قد رخص لهن في الأمر في بعض الاحايين . على أن أقوال الشرح عليه السلام تفيد بوضوح لا لبس فيه أن اتباع النساء للجناز لا يخلو من مكروه . وقد أخرج البخاري عن أم عطية ، قالت : «مينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا» (١) . وقد جاء في سنن ابن ماجه والنسائي أن النبي ﷺ كان في جنازة ، فرأى ممر امرأة ، فصاح بها . قال النبي ﷺ ودعها يا عمر ! فإن العين دامعة والنفس مصابة والمهد قريب . . . ولعل المرأة كانت من أغارب الميت ، فذهبت جنازته لفرط الحزن ، فأحس ذلك منها النبي ﷺ فنهى عمر عن زجرها .

وقل مثل ذلك في زيارة القبور . إن النساء رقيقات القلوب وكثرى أقاربهن الاموات أعلق بنفوسهن . فما أحب الشاوع عليه السلام أن يكت عواطفهن وأحاسيسهن كبتاً ، ولكنه صرح بذلك أن الإكثار من زيارة القبور محظور لهن في الاسلام . فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور» (٢) وأنت عائشة رضي الله عنها تدين أخيها عبدالرحمن بن أبي بكر ، فقالت :

(١) البخاري - باب اتباع النساء الجنازة

(٢) الترمذي - باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء . وقد أخرج ابن ماجه مثل هذا الحديث عن ابن عباس وحسان بن ثابت رضي الله عنهما

« لو شهدتك مازوتك » (١). وعن أس بن مالك رضي الله عنه قال : مررت
 النبي ﷺ بامرأة عند قبر وهي تبكي . فقال : « اتقي الله واصبري » (٢).
 تأمل كل هذه الأحكام التي مرت بك في هذا الباب . إن الصلاة
 عبادة مقدسة . والمسجد مقام ملؤه الطهارة والصفاء والحج موسم يحضر
 فيه الأساتذة يستمع الله بالقلب الخاضع والطرف المنضوض . والخائز
 والقبور كلها تذكر الزائر بالموت ، وتثبت في نفسه الشجى والحزن .
 وفي كل هذه المواقف ، تكون النزعة الجنسية إما ممدومة في الإنسان
 أصلاً ، أو تغلب عليها ما هو أزركى وأطهر من المتألمر والمؤطف .
 ولكن الشرع عليه اسلام لم يرش أن يجتنب الرجال والنساء حتى في
 مثل هذه الميادين والمنايا . ولئن أدن لمن في الخروج إليها ، أو أحرجهن
 بنفسه إليها في بعض الأحيان ، نظراً لراحة انقضاء وطهارة الموضع
 والمحل ، ورقة مشاعر الجنس اللطيف ، فإنه ألزم خروجهن بقيود من
 الحجاب . لا تترك لفتة أدنى محال . ثم صرح لجميع تلك العبادات - اللهم
 إلا الحج - أن عدم حضور النساء لها خيرٌ وأحسن من حضورها .
 فكيف يتوقع من القانون الذي يرفع هذه النزعة في أمر خروج المرأة
 تلك التماسر والعبادات أن يميز اختلاط الصنفين في المدارس والكتبات
 والمكاتب والمعامل والمتنزهات والمتفرجات ، والمقاهي والمراقص ،
 والمسرح والميادين ؟

(١) الترمذي - باب ما جاء في زيارة القبور للنساء

(٢) البخاري - باب زيارة القبور .

شروط النساء للحرب

أما وقد طلت مواضع الشدة في أحكام الحجاب ، فالتفت الآن إلى مواقع اللين والتسامح فيها ، وتبين الضرورات التي قد سامح الإسلام في تلك الأحكام لأجلها .

يتلى المسلمون بالحرب ، فتعظم الشدة ويعم البلاء . وتقتضي الأحوال أن توفر قوة الأمة كلها للدفاع . ففي هذه الحال يبيح الإسلام لنساء الأمة أن يشاركن الرجال في خدمات الحرب . ولكنه يلاحظ - مع ذلك - أن التي قد خلقها الله لأن تكون أمّاً رزوماً ، لم تخلق - ولا شك - لضرب الاعناق وإهراق الدماء . فتسليحها بالرمح والسيف مسخ لفطرتها وطبيعتها . لذلك ينأى يسمح لمن الإسلام أن يستعملن أسلحة دفاعاً عن أنفسهن وأعراضهن ، لا يرضى أبداً استخدامهن للقتال وطلوعهن في الجندية . وإما يريد أن يستخدمن في الحرب لخدمات الإسعاف . كسقي المجاهدين ، وطبخ الطعام ، ومداواة المرضى ، وحفظ الرجال . ولأجل هذه الخدمات قد خفف جداً من حدود الحجاب وأجاز للنساء أن يلبسن لأجل القيام بها لباساً ، نبسه اليوم الراهبات النصرانيات ، بقليل من التعديل .

وتتفق الأحاديث على أن أزواج النبي ولساء المسلمين كنن يسهبن النبي ﷺ إلى ميدان القتال ، فيسقين المجاهدين ويدوين الجرحى .

وَبَقِيَ السَّعْلُ عَلَيْهِ جَبْرًا بَعْدَ بُرُوكِ الْحِجَابِ أَيْضًا (١). وَقَدْ أَخْرَجَ
 التِّرْمِذِيُّ أَيْضًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْزُو بِأُمِّ سَلِيمَ وَلِسَوْءَ مَعَا مِنْ
 الْأَنْصَارِ، يَسْقِيْنِ الْمَاءَ وَيُدَاوِيْنَ الْجُرْحَى (٢). وَفِي الْبُخَارِيِّ أَنَّ امْرَأَةً
 قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي بِنْتًا يَكُونُ
 الْبَحْرُ الْأَخْضَرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مِنْهُمْ (٣). وَعَنْ أَنَسٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ انْتَهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ:
 وَلَقَدْ رَأَيْتُ ثَلَاثَةَ بَنَاتٍ أَبِي سَلِيمَ وَأُمِّ سَلِيمَ، وَهِيَ لِمَنْ مَرَّانَ أَرَى خَدَمَ
 سَوْقِي، تَقْلُتُ الْقُرْبَ عَلَى مَثَوْنِهَا، ثُمَّ تَقْرَعُهُ فِي أَهْوَاءِ الْقَوْمِ، ثُمَّ
 تَرْجَعَانِ...» (٤). وَامْرَأَةٌ أُخْرَى أُمِّ سَلِيمَ قَدْ رَوَى فِيهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
 عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَفْسَهُ، قَالَ: «مَا لُتْتُ مَيْتًا وَلَا فَتَلًا يَوْمَ أَحَدٍ إِلَّا
 رَأَيْتُ أُمَّ سَلِيمَ تَقَاتِلُ دَوْلَى». وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ كَانَتْ الرِّبْعُ بِنْتُ مَعْمُودٍ
 وَجَمَاعَةٌ مِنَ النِّسَاءِ تُسْقِي الْجُرْحَى وَتُرَدُّ الْقَتْلَى إِلَى الْمَدِينَةِ (٥). وَفِي غَزْوَةِ
 حَنْزَلَةَ رَأَيْتُ أُمَّ سَلِيمَ وَمَعَا خَنْجَرَ، فَسَأَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ: مَا هَذَا الْخَنْجَرُ؟
 قَالَتْ: اتَّخِذْتُهُ، إِنْ دَفَعَنِي أَحَدٌ امْتَرَكَيْتُ، بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ (٦). وَعَزَّتْ

(١) الْبُخَارِيُّ - بَابُ حُلِّ الرَّجُلِ امْرَأَةً فِي الْغَزْوِ

(٢) التِّرْمِذِيُّ - بَابُ مَا جَاءَ فِي خُرُوجِ النِّسَاءِ فِي الْغَزْوِ.

(٣) الْبُخَارِيُّ - بَابُ غَزْوِ الْمَرْأَةِ فِي الْبَحْرِ

(٤) الْبُخَارِيُّ - بَابُ غَزْوِ النِّسَاءِ وَكُلْفُهُنَّ مَعَ الرِّجَالِ - وَمُسْلِمٌ - بَابُ النِّسَاءِ

الْمُدَاوِيَاتِ يَرْضَعْنَ لَهُنَّ.

(٥) الْبُخَارِيُّ - بَابُ مَدَاوِيَةِ النِّسَاءِ الْجُرْحَى فِي الْغَزْوِ.

(٦) مُسْلِمٌ - بَابُ غَزْوَةِ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ.

أم عطية مع رسول الله ﷺ سبع غزوات . وكانت تخلفهم في رحالهم ،
وتصنع لهم الطعام وتداوي الجرحى وتقوم على المرضى (١) . وكتب ابن
عباس رضي الله عنه إلى نجدة : قد كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء
فيداوين الجرحى ، ويحذبن من الشبحة . وأما بسهم فلم يضرب لمن (٢) .

ولك أن تقدم من كل ما سبق ، أن الحجاب الاسلامي ليس شيء
من باب التقاليد الجاهلية ، التي لا يمكن قط أن يزداد بها أو ينقص منها
للمصالح والضرورات . بل الحجاب في الاسلام قد يخفف من حدوده
إذا اقتضت الضرورات الحقيقية . وعند ذلك لا يجوز كشف الوجه
واليدين بحسب بل يجوز كشف جانب من الاعضاء المودودة في العورة
أيضاً ، قدر الضرورة . ولكن كما زالت تلك الضرورات ، وجب أن
يرد الحجاب إلى الحدود التي قوت له لئلا تامة الاحوال . وكما أتت حد
الحجاب لا يتم بسمة الجاهلية ، كذلك ليس التخصيف منه أيضاً بمثابة
الحرية والاباحية الجاهلية . ولست المرأة المحللة كالمرأة الاوربية التي
خرجت من حدود وظفتها الطبيعية بضرورات الحرب ، ثم لما انتهت
الحرب وزالت الضرورات ، أتت الرجوع إلى حدودها تلك .

(١) ابن ماجه - باب السيد والنساء يشهدون مع المسلمين .

(٢) مسلم - باب النساء الثائرات يرضخ لمن .

خاتمة القول

هذه هي نقطة التمسك والموقف الوسط الذي شد ما تنفجر اليه الدنيا
لرقيها وهنائها وصلاحها الخلق . وهي - كما ذكرت في بدء هذا الكتاب -
لا تزال تحبب خط عشواء في تعيين منزلة المرأة - أي منزلة النصف
الكامل من كيان العالم الانساني - في التمدن ، منذ آلاف من لستين .
تتميل قارة إلى الإفراط وأخرى إلى التفريط . وقد أضرت بها هاتان
التزعتان المتطرفتان ضرراً قد شهدت به التجارب والمشاهدات ، أما
ما بين هذين الطرفين المتناقضين من الموقف الوسط المتعدل الذي يوافق
الفطرة والعدل ، ويلائم المصالح الانسانية كل الملازمة ، فهو الذي قد جاء
به الاسلام . ولكن المؤسف أنه قد قامت في هذا العصر الاحير حواجز
بعضها من وراء بعض ، تحوّل دون فهم هذا الطريق استقيم وتقديره
حق قدره .

أهم هذه الحواجز أن الإنسان في عصرنا هذا اقتديت في بصيرته بدماء
كاليرقان . وأصيب المستغربون من أهل الشرق بتوع أخوف من هذا
الدماء أسجيه اليرقان الأبيض . ومنفرة إلى الاخوان والاصدقاء لصراحي
هذه . ولكن الحقيقة لا تنكر ، والحقيقة يجب ألا يمنع من إعلانها مداراة .

إن من الحق الواقع أنه لم يأت الاسلام بحكم أو مسألة تخالف الحقائق
 العلمية الثابتة . بل الأصح أن كل ما هو حقيقة علمية في هذه الدنيا ، هو
 عين الاسلام . ولكن هذا الواقع لا تنصره إلا عين مجردة ترى الأشياء
 بلونها الحقيقي ، لا بلون المنظار ، ولا تدركه إلا نظرة واسعة ترى كل
 أمر من جميع نواحيه لا من ناحية واحدة ، ولا يقبله إلا قلب رحب
 وفطرة سليمة تسلط بالحقائق كما هي ، وبدل أن نجعلها تابعة لأهواء
 النفس ونوازعها ، تجعل أهواء النفس تابعة لها . وأما بدون هذه
 الصفات ، فلا يتعبد حتى اسم والسرفان فيها زخرف عبثية واستفاض ،
 ذلك بأن عين الملوثة لن تبصر شيئاً إلا " بلون المنظار الذي ينشأها ،
 وأن النظرة المحدودة لن تنفذ من المسائل والشؤون إلا " إلى النواحي التي
 تستقبل وحدها . ثم إن الحقائق إن طسبت إلى باطن الانسان في صورتها
 الحقيقية ، على الرغم من تلك الموانع كلها ، فهناك ضيق القدرم واعوجاج
 الطبع يعمل فيها عمله ، ويكرها على أن تخضع لدواعي النفس ، وتطاول
 ميولها ونزعتها . وإن هي لم تطاولها ولم تخضع لها ، فبها وراء ظهره ،
 مع علمه بأنها حقائق ، وراح يشج هواه ومن البديهي أنه إذا ابتلي
 الانسان بهذا الداء الميأ ، فلا يهديه شيء من العلم والتجربة والمشاهدة
 سواء المبيد ، ومن غير الممكن أبداً لئلا هذا المريض أن يفهم حكماً
 من أحكام الاسلام فهماً صحيحاً . لأن الاسلام دين المطرة . بل هو
 المطرة بينها . ولم يتطهر فهم الاسلام على دنيا القرب إلا بسبب إصابتها

هذا الداء . فكل ما عنده من (العلم)^(١) هو برئته إسلام . ولكن
بصرها يتوكل . وإن تولت بصرها هذا قد تدعى إلى الملائكة الجدد
من أهل الشرق ، فتشفي على أبصارهم ، وأسماها بالبرقان الأبيض . وعاد
هذا الداء يمنع هؤلاء أيضاً من استنباط نتائج الصحيحة من الحقائق
العلمية ، ومن النظر إلى مسائل الحياة بالنظر الطبيعي الجرد . فالذين هم
مسلمون منهم ، قد يكونون ، بلا ريب مؤمنين بالدين الإسلامي ، مستقدين
بصدقه غير مستكفين عن اتباعه . ولكن أتى هؤلاء الساكنين أن
يُجَنَّبُوا عيونهم أثر هذا البرقان الذي لا ينظرون به إلى شيء ، إلا وهو
يظهر لهم على غير حقيقته ، وفي صبغة غير صبغة الطبيعية .

والحاجز الثاني دون الفهم الصحيح ، هو أن الناس إذ تكبروا عظمة
في مسألة من مسائل الإسلام لا ينظرون إلى النظم الذي تملكت به
بمجموعاً ، بل هم يتلون ذلك الجزء بينه منفصلاً عن النظام . ويكون
من نتيجة ذلك أن ذلك الجزء يبدو لهم خالياً من كل حكمة ومصلحة ،
وتخامر أنفسهم في بابه أنواع الشكوك . هكذا كان صيغهم في مسألة
الربا ، إذ نظروا إليها منفصلة عن مبادئ الاقتصاد ونظام المعاش الذي
جاء به دين الفطرة الإسلام . فبدأ لهم فيها كثير من المطاعن والمنازع . وعاد
حتى آكار أهل العلم يستشعرون بضرورة ترميمها وتغييرها على رعم أنف
مقاصد الشريعة . ثم أعيد هذا الخطأ الأساسي في مسألة الرق وتعدد
(١) المراد بهذا العلم هو علم الحقيقة لا النتائج المستخرجة من النظريات والحقائق.

الزوجات وحقوق الزوجين ، وما شابهها من المسائل . وهذا الخطأ عينه قد تناول مسألة الحجاب أيضاً بفساده . وانت إن حبست نظرك على عمود واحد من بناء ما يدل أن تنظر إلى البناء بكامله ، كنت لاريب حرياً بأن تمسح من أمره وتتساءل عن السبب لإقامة ذلك العمود بعينه ، وترى وجوده هناك خالياً من كل مصالحة ، ولا تفطن للمناسبة والتقدير الذي قد صدره المهندسين في نسبه هناك لحل البناء ، ولا للضرر الذي يلحق ابنائه كله إذا هدم ذلك العمود الواحد . فمثل هذا العمود هو الحجاب فإنه إذا فصل عن النظام الاجتماعي الذي هو منصوب فيه نسب عمود في البناء ، مراعاة لضرورة بعينها ومناسبة معلومة ، هيمت على البيوت جميع مصالحه ، ولم يستطع أحد أن يفهم السبب في ضرب الحدود والفاصلة بين الجنتين من النوع الانساني الواحد . لذلك من المحذور لازم لنهم المرء منعمة العمود ومصالحته أن يصعد النظر إلى كامل البناء الذي هو منصوب فيه .

وهو قد مر بك في الصفحات الماضية حجاب الاسلام الحقيقي . ومر بك أيضاً ذلك النظام الاجتماعي الذي وضعت لأجله قواعد هذا الحجاب . ووقفت على جميع أركان هذا النظام ، التي قد ربط بها ركن الحجاب بإثر أن مررت به ، ثم طالمت تلك الحقائق العلمية الثابتة التي قد بني عليها هذا النظام الاجتماعي الكامل . فتأمل هذه كلها ، ثم قل لي : إن ترى فيها من تطور ؟ وإن تجد فيها أثراً لانحراف عن القصد أو عدول ؟ وإن

موضع فيها يمكن أن يقترح له اصلاح من حجة العلم والمقل المبرد دمع عند
ميول طائفة من الناس مخصوصة لفي أقول على وجه البصيرة إن العلم الذي
تقوم عليه السموات والارض ، والاستواء والاعتدال الذي ينساز به
نظام هذا الكون ، والتناسب والاتزان التام الذي تراه في تركيب النجوم
ووفاء النظام الشمسي ، هو هو الذي يقوم عليه هذا النظام الاجتماعي
وأما ما يشين الاعمال الإنسانية من الإفراط والتفريط والميلان إلى
جانب دون آخر ، فيخو منه هذا النظام ويثيراً منه . وليس في طاقة
الإنسان أن يتعاطى به إصلاح أو ترميم . ولو أنه عيّر فيه أدنى تغيير
يلتزم عقله التافس فيه ، لمن يصلحه ، بل هو أخرى بأن "يخل"
بقناسيه ويُفسده !

ويا خلف نفسي لا أمالك من الوسائل ما أبتغ به دعوتي لإخواني
الإنسائيين في أوربة وأميركا وشرق الأقصى ، فيهم لا يزالون
يُفسدون معيشتهم ، لا لسبب سوى كونهم لم يهتدوا بعد إلى نظام صحيح
مستدل للتقدم ، وقد جُبروا إلى الخراب أما أخرى أيضاً منهم . وليتني
أستطيع أن أدلهم على ماء الحياة الذي هم إليه ظاهراً ، وإن كانوا لا يشعرون
بظلمتهم . على أن مواطني من الهنادك والنصري والمجوس ، على كثر
منهم ، وسطهم يقيمون لتي . فما أنا فاعدهم إلى أن يظفروا قلوبهم بما
ران عليها من التمسب على الاسلام ، بسبب زواجهم التاريخي والسياسي
مع المسلمين ، ويطالعوا هذا النظام الاجتماعي الاسلامي الذي قد ذكرت

خصائصه كما هي ، في هذا الكتاب ، طالبين للحق متمسكين لماله ، ثم يوازنون بينه وبين النظام الاجتماعي الغربي الذي هم ساعون إليه مفتنون به . ويحكموا لأجل رخائي أو رخصي غيري ، بل لأجل مصلحتهم هم انفسهم ؛ أي "الطريقين يضمن لهم العلاج الحقيقي ؟

وبعد خطابي هذا لامة القراء ، أريد أن التفت إلى اخواني الضالين الذين يدعون (مسلمين) ، لأقول لهم بضع كلمات :

إن من إخواننا المسلمين الجدد من يسلمون بكل ما مضى يمانه في هذا الكتاب ولكنهم يقولون : إن قوانين الاسلام إذا كانت تنسج لكثير من الشدة والتخفيف وفقاً لأوضاع مصر ، مما لا تنكره أنت أيضاً ، فالذي نتوخاه - أبناء هذا مصر - هو أن تمتنع بالرخصة في تلك القوانين . وذلك أن حوال هذا مصر تقتضي أن يخفف من حدود الحجاب ، والحاجة ماسة إلى أن تخرج البنات المسلمات إلى المدارس والكلبات ، ليطلقن تلميحاتاً عالياً ويتعلمن بتربية نواهلن اقهر مسائل الوطن في نواحي التمدن والاجتماع والسياسة والاقتصاد ، وترشحن لنقض مشاكلها وحل مضلاتها . وبدون ذلك لا بد أن يتحلف مسلمون عن الامم المجاورة لهم ، في ركب الحياة . ويخشى أن يخسرون بذلك في آتي أيامهم أكثر مما قد خسروه إلى الآن . ثم إن الحقوق السياسية التي قد قضوا أخيراً بإعطائها للرأفة في بلادنا ، إن لم تتأهل نساؤنا مسلمات للتمتع بها ، أو لم يمكنهن التمتع بها بقيود الحجاب وأغلاله ، شالت كفة

المسلمين في ميزان السياسة الوطنية ، وكفى به من خسران ! وها بين
يديك مثل الأمم الراقية في العالم الاسلامي ، كتركيا وايران ، وكلتاهما قد
خفت (١) من حدود الحجاب الاسلامي مراعاة لأوضاع هذا العصر ،
فعاد ذلك عليها بفوائد لا تنكر ، في بضع منين وأي ضرر علبت لو تحمل
في ذلك أمثالهم ، فنجي من فوائدهم من مآلهم ؟

كل هذه المخاوف والاحطار التي يجذروا إياها إخواننا ،
نحن نعلمها جميعاً كما هي ، بل أضف اليها عشرة أضعاف أمثالها
إن شئت . ولكن أي غناء يقنيه ذلك ؟ وهل شيء من تلك
المخاوف مما يحور لأجبه أن يتناول القانون الاسلامي بترميم وتخفيف ؟
إنما مثلهم ازاء تلك الأخطار كمثل رجل يعيش في وسط نجس وحيث ،
إماراسياً ، لحدقه ، أو كارهها ، لضعفه . فيتعذر عليه العمل بقواعد حفظ
الصحة ، بل يتسر عليه التمسك بدون أن يتلوث بالقذر في تلك لكورة
من أمس النجس . فواضح أن الرجل في مثل تلك الحال لا يحق له أن
يطالب بإصلاح قواعد الصحة أو التخفيف منها . لأنه إن كان مؤمناً
بصحة تلك القواعد فليبه أن يحارب بيثته لأجلها ويطهرها من نجسها . وإن
كان لا يجد في نفسه لقوة والحكمة لمحاربة بيثته ، وكان لضعفه قد انهزم
في وجهها ، فليبق فيها مديناً ، مرتعلاً في حماها ، وما المبرر لأن تبدل

(١) نعم يقولون (قد خفت) على سبيل الجدول لا غير . وربما لحق أن كلا
منها قد سحت آية الحجاب نسماً .

لأجله قوانين الصحة ، ويحرم منها ، وأما إن كان يستحق أن قوانين
الصحة المروفة خاطئة وكان هذا المانع ماحولة من النجس والذئس ،
فهو حر في أن يخرج نفسه ما يشاء من قانون ، ويدع قوانين الصحة والصفاء
والطهارة جانباً ، لأنها ما كانت لتسمح لأهواء المثلين بطبيعتهم
إلى القاذورات .

ولاشك أن القانون الاسلامي - كمائر القوانين - يسمح لسكر من
الشدة والتخفيف باعتبار الأحوال والاضاع ولكنه كجميع تلك
القوانين ، يصر على أن ينظر إلى تلك الأحوال بوجهة نظره وروحه
الخاصة لأجل القضاء بشديد فيه أو تخفيف وأما النظر إلى الاوضاع
والأحوال بوجهة غير وجهه ، ثم السد إلى بنود القانون بالقطع والبر
بقصد التخفيف منها ، فما هو تخفيف ، بل هو تحريف واضح صريح ،
ذلك أن الاوضاع التي ينظر إليها القوم بغير وجهة نظر الاسلام ، ثم
يطالبون أن يحرم لأجلها من قانون الاسلامي ، إن تأملنا عاقل من
وجهة نظر الاسلام ، فلا يد أن يحكم بأنها لا تتطلب تخفيفاً في القانون ، بل
مزيداً من الشدة فيه ، فإن القوانين لا يخفف منها إلا إذا كانت مقاصدها
لا تزال تحقق بسهولة بالوسائل الخارجية الأخرى ، ولم تكن هناك حاجة
إلى زيادة الشدة في التحفظات . وأما إذا كانت مقصد القانون لا يتحقق
بالوسائل الخارجية ، بل كانت جميع القوى الخارجية قد تألّبت عليها
لتضييقها . وكان حصول تلك المقاصد قد عاد متوقفاً على التعهيلات

وحدّها، فلا يقول بالتخفيف من القانون في مثل هذه الظروف إلا من
جهل روحه كل الجهل .

وقد فعلنا القول فيما سبق من الأبواب أن مقصد القانون الاجتماعي
الاسلامي هو حفظ ضابط الزواج، ومنع الموضي الجنسية، وسدّ الخرجات
الشهوانية غير المتدلة، وتحقيق هذا المقصد قد اتخذ الشارع تدابير ثلاثة:
أولها إصلاح الاخلاق، والثاني الحدود والعقوبات، والثالث: التدابير الوقائية،
وكان هذه التدابير أركان ثلاثة قد رفع عليها هذا البناء، وهي إحصاء
وفوتّها يتوقف إحصاءه . وفي هدمها هدم البناء كله . فتمالوا الآن نظروا
في أحوال بلادنا الحاضرة ، انري ماذا عييه هذه الاركان الثلاثة من
القوة والإحكام .

خذوا قبل كل شيء ما حولكم من البيئة والوسط الحياتي . إنكم
تصرون في قطر لا يزال ثلاثة أرباع سكانه غير مسلمين ، تقصرونكم أنفسكم
في جنهم في النهر والحاضر ، تحكمه أمة غير مسلمة (١) ، ثم قد طبقت
حضارة أجنبية كالمرح الماسقة ، وانتشرت في أجوائه مبادئ الاخلاق
الجاهلية ، وتصورات الحضارة غير الاسلامية ، كاشتتار جرميم الأوبئة
حتى تسمم بها الفضاء ، فأحاطت بك سميتها من كل جانب . وقد آلت

(١) كتب هذا الكتاب في زمان كان شبه القدرة الهدية فيه قطراً واحداً تحت
حج الانكليز . ولآن وبين جلا الانكليز عن هذه البلاد ، وعاد عدد غير المسلمين
في باكستان لا يزيد على ١٠٪ من سكانها . إلا أن الحال قد اختلفت تحت حكم المسلمين
المستقرين من سبي إلى أسوأ .

الحال إلى أن مظاهر الخلاعة والفحش التي كانت تقشعر من صورها
حدودكم قبل مدة من السنين ، قد سح من إيلافكم لها أن صرتم تنظرون
إليها كالأعمال العادية . حتى إن صغاركم يرون كل يوم على الصور
الخليعة في الجرائد والمجلات والإعلانات ، فيتمودون التبذل والمجون .
وإن شيوخكم وشبيبتكم وسبيانكم يتفرحون كلهم على الاعلام السيئانية التي
أجذب ما فيها المري وأرواح ما فيها الخلاعة والخب " الشوان ، ولا يتأثمون !
وإن أفراد عائلاتكم بين آباء وأبناء وأمهات وبنات وإخوان وأخوات ،
يشاهدون كلهم في تلك الاعلام مناظر المخالطة والعناق والتقبيل ، جالسين
معهم إلى جنب بعض ، ولا يستحيون ! ثم لا تزال أحيث أنواع الاغاني
وأدعائها إلى الشهوات قلاً الحو " في البيت والشارع والمتنزهات ، ولا يكاد
أحد يسلم منها مسميه . هذا والآفات والسيدات من الطبقات المثقفة
الطليبا - الأهلبة والأحنية - يتخترن في المهاتي والطرفات بلباس عريان
شفاف . وقد بلغ من تمود الاضرار لتلك الأزياء الفاضحة أن لا يشعر
أحد ما بشي " من الوقاحة والخلاعة فيها . وإن التصويرات الخلقية التي
لا تزال تنتشر في البلاد بفعل نظام التعليم والترية الغربي ، قد جعلت
المكاح في أعين الناس عرفاً بالياً قد مضى زمانه ، والرفق لموا وشغلا ،
واختلاط الآثافي والمذكور شيئاً لا مطن فيه ، بل أمراً مستحسناً ، والطلاق
الموبة ، والواجبات الزوجية قيداً مستغلاً ، والتوالد والتناسل حقاً
وسفاهة ، وإطاعة امرأة زوجها ذلاً وعبودية . مما كره إلى المرأة أن
تكون حليمة زوج ، وحب إليها أن تظل " خبيلة عشاق !

ثم انظروا الى آثار هذه البيئة الموجودة في أممكم. فهل يرى في مجتمعكم من يرضى "بصره" مما لا يحل ؟ وهل في آلاف من أممكم رجل واحد يثأر من التلذذ برؤية جمال الأجنبية ؟ وهل ترى بالبن والسنة لا يرتكب عنفا ؟ وهل نساؤكم أيضا يتجبن تبرج الجاهلية وإظهار الزينة وإبداء مفاتيح الجمال ؟ وهل لا تلبس أرواحكم ومائتكم اليوم نفس اللبس الذي قال النبي ﷺ في لاساته : « نساء كلبيات تاربات بميلات مايلات » ؟ ثم أستمزون أخوانكم وشبانكم وأمهاتكم في لباس لا يجوز لمسلمة أن تلبس إلا لزوجها وحده ؟ وهل لا تحكي وتسمع في مجتمعكم قصص الحب والفراق وأحداث الخلاعة والمجون بدون تحرج ولا حذر ؟ وهل يردد الناس في وادبكم من ذكر أحوال فحورهم ؟ وإذا كان جواب كل ذلك كلمة « لا » مكبرة مفضحة وكانت الحال على ما هي عليه ، فقل لي بحقك أين تجد ذلك الركن الأساسي للامتن — تطهير الاخلاق — الذي بني عليه صرح الاجتماع الاسلامي ؟ إنما الفكرة الاسلامية قد أمحت من النفوس الى حد أنه أصبحت نساء المسلمات يهتفن بأعراسهن لا المسلمون وحدهم ، بل الاجانب من غير المسلمين ايضا . وليس ذلك واقعا في حكومة أجنبية ، بل هو واقع على رؤوس الاشهاد في الولايات المتحدة المسلمة . وكل ذلك يمر عليه المسلمون ولا يشعرون في قلوبهم ساكن . هل قد وجد فيهم من يذوق من التذلل أن أخواتهم أنفسهم تمتنع باجسامهن أحد على غير المسلمين . فبيحجوا بذلك وأعلنوا بكل فخر أنهم أصهار

كافر فلا نفى كبير (١) وهل بقي بعد ذلك عرجة من الوقاحة والصفافة
والابتذال الخلقى يهبط إليها المسلمون ؟

ولنتوجه بعد ذلك إلى الركن الثاني لهذا البناء ، ونعتقد حله . قد
بطل في هذا القطر قانون العقوبات الاسلامى بأكمله . فلا تجرى حدود
الزنى والقتل ، لافي الهند البريطانية ولا في الولايات المسلمة . وليس هذا
فقط . بل القانون النافذ في القطر الهندي في هذه الآونة لا يحد الزنى
بجريمة أصلاً (٢) فان أراد بعض الفساق أن يراود أمة كريمة عن نفسها ويحملها
على السطارة والفجور ، فليس بأيديكم من وسائل القانون ما تصونون به كرامتها .
وإن سافح رجل امرأة فالتأثير حق ، عن رضاها وموافقتها ، فلا يمكنكم
أن تماقبوه عليه في أي قانون من القوانين . ثم إن عزمت امرأة على البغاء
علناً ، فليس عندكم من القوة ما تأخذون به على يديها . أما القانون فلا
يحد إلا الزنى بالاكراه جريمة . ولكن سئل المتعاطفين لطرفة القانون :
أي صموية يواجهونها في إثبات الاكراه في الزنى من الجهة القانونية .
وكذلك إصواء المرأة المتزوجة أيضاً جريمة . ولكن سئل المالمين بالقانون
الانكليزي ماذا يكون بأيدي الحاكم العاملة بهذا القانون لو أن متزوجة
تتصل بنفسها ورضاها إلى بيت رجل أجنبي .

(١) هذا ما وقع في جنوب الهند . وقد ذكر لي بعض الأصدقاء ما هو آدمي
من ذلك وأمر . وهو أن امرأة مسلمة - بالاسم - في صري الهند خدعت ثرياً من
غير المسلمين علناً . فأصابته بغض علاقتها الآثم به ثروة طائلة . فقال الصديق ، إنه كثيراً ما
راي المسلمين - الجفرايين - في تلك النواحي يتبطون بانقلابات تلك القوة الضمنية
من يد غير مسلم إلى (المسلمين) ، وإنما لا يزالون إلى راجعون .
(٢) ولا تزال عليه الحال حتى بعد تأسيس دولة باكستان المسلمة .

هذه حالة نظامكم الاجتماعي ، قد انهدم من أركانه هذان الركنان
القويان ، هو قائم على الركن الثالث وحده . فهل تشاقرون أن تهدموا
هذا الركن الباقي أيضاً ؟ إن بجانب منكم تلك المضار التي قد عديمتوها
آخفاً للحجاب ، وبجانب ، آخر أن إلغاء الحجاب مناهجر الخراب الكامل
الشامل على الاخلاق وعلى النظام الاجتماعي . طمأننوا نوارفوا بين هذا
وذلك . إنها لاشك بليتان . ولا بد من اختيار إحداهما فاستفتوا قلوبكم
أي هاتين البليتين أهون شرأ وأخف ضرراً ؟

والئن كان الفصل في الامر موقوفاً على أوضاع هذا العصر ، فأقول
إن أوضاع بلادنا لا تطلب تخفيفاً في الحجاب ، بل هي تتطلب مزيداً من
العناية بأمره . ذلك بأنه قد انهدم ركنان اثنتان من الاوكان التي يقوم
عليها نظامكم الاجتماعي ، ولحق إلاركن الثالث ، عليه كل المولد والمتمد .
فان كنتم تريدون حل مسائل التمدن والاقتصاد والسياسة ، طمأنن ان
تندبروها وتباحثوا فيها مجتمعين . لطمأنن تهتدون إلى صور مشادة لحلولها
في حدود التساليم الاسلامية . ولكن لا تخففوا لأجل ذلك من قوة هذا
الركن الاساسي الوحيد الذي قد بقي على عيبر الحدتان وهله ضعف كثير .
وعليكم ، قبل أن تالمحوا بالتخفيف ، أن تهمموا من القوة والسطوة ما
يطلبهامة كل عمر لاجب . حتى إن كان في المجتمع عيئانه اثنتان تمسكتان
إلى لمرأة قد خرجت من بيتها سافرة ، كانت فيه في الوقت نفسه مبعوثون
بدأ ، تمتد اليها لتقتلها من محجرهما !!

الفهرس

٣	المقدمة
٨	ماهي المسألة
	أليوتان (١٢) الرومان (١٧) أوربة المسيحية (٢٠) أوربة الجديدة (٢٤) تقصير الفكر الانساني (٣٣)
٣٧	موقف المسلم في العصر الجديد
	السياق التاريخي (٣٨) البوذية الفكرية (٣٩) فتوى مسألة الحجاب (٤١) الحركات الحقيقية (٤٢) الخدام الأكبر (٤٤) غايقتافي هذا الكتاب (٤٧).
٤٩	التطريبات
	تصوير الحرية في القرن الثامن عشر (٥٠) تغيرات الأحوال في القرن التاسع عشر (٥٢) مظاهر الارتقاء في القرن العشرين (٥٩) أدب الحركة المائطوسية الجديدة (٦٢).
٦٧	التأنيج
	الثورة الصناعية وآثارها (٨١) أثره الرأسماليين (٦٩) النظام السياسي الديمقراطي (٧٢) الحقائق والشواهد (٧٤) خدر الشعور الخلق (٧٥) كثرة الفواحيش (٨٠) طوفان الوقاحة

وجمع الشبوات (٨٢) أعراض الهلاك القومي الشامل (٨٩)
اضمحلال القوى الجسدية (٩١) فساد النظام المائلي (٩٣) وأد
الفصل (٩٥) .

١٠٠ مزيد من الوثائق

تأثير البيئة المهيبة في الأطفال (١٠٠) مرحلة التلميم (١٠٢)
ثلاثة محركات شديدة (١٠٤) كثرة القواحيش (١٠٦)
الأمراض السرية الفتاكة (١٠٨) الطلاق والتفريق (١٠٩)
الانتحار القومي (١١٢) الحالة في إنكلترا (١١٤) .

١١٨ السؤال القيصلي

المستفربون من أهل الشرق (١١٩) الأدب الجديد (١٢١)
التمدن الجديد (١٢٨) فصل الخطاب مع المستشرقين (١٣٠)
الطائفة الثانية (١٣٢) السؤال القيصلي (١٣٤) .

١٣٧ قوانين الفطرة

تأثير الجاذبية الجنسية في إنشاء التمدن (١٣٩) المسألة
الأساسية لتمدن (١٤٣) .

١٤٤ لوازم المربي الصالح

١ - تعديل الميلان الجنسي ١٤٤
٢ - تشكيل الأسرة ١٤٩

- ١٥٧ - سد باب الاباحية الجنسية
١٧٤ - التدابير اللازمة لمنع الفواحش
١٨٠ - الوجه الصحيح للملاقة بين الزوجين

١٨٥ شهادة علم الربيعاء

١٩٩ مظاهر التقصير الانساني

السبب الحقيقي لهذا التقصير (٢٠٠) بضعة أمثلة (٢٠٠) ميزة
الاعتدال في قانون الاسلام (٢١١) .

٢١٣ نظام الاجتماع الاسلامي

- النظريات الاساسية
(٢١٥)
المفهوم الاساسي للزوجية (٢١٥) الفطرة الحيوانية في الانسان
ومقتضياتها (٢٢٠) الفطرة الانسانية ومقتضياتها (٢٢٢) .

- الاصول والاوركان
(٢٢٨)
الحرمان (٢٢٨) تحريم الزنا (٢٢٩) النكاح (٢٢٩) تنظيم
الاسرة (٢٣٢) قوامية الرجل (٢٣٢) دائرة عمل المرأة
(٢٣٤) القيود اللازمة (٢٣٧) حقوق المرأة (٢٣٩)
الحقوق الاقتصادية (٢٤١) الحقوق التمدنية (٢٤٢) تعليم
المرأة (٢٤٣) تحرير المرأة بالمعنى الصحيح (٢٤٤) .

- التحفظات
(٢٥٢)

٢٥٤

إصلاح الباطن

الحياة (٢٥٥) خاتمة القلوب (٢٥٧) فتنة النظر (٢٥٨)
فتنة اللسان (٢٥٩) فتنة الصوت (٢٦١) فتنة الطيب (٢٦١)
فتنة المري (٢٦٢) .

٢٦٣ قانون العقوبات
حد الزنى (٢٦٤) حد القذف (٢٦٨) .

٢٦٨ التدابير الوقائية
احكام لباس وستر السورات (٢٦٩) حدود المودة للرجال
(٢٧١) حدود المودة للنساء (٢٧٢) الاستئذان (٢٧٤)
منع الخلوة واللمس (٢٧٦) الفرق بين محارم المرأة وغيرهم (٢٧٨)

٢٨٠ أمظام الحجاب
غض البصر (٢٨٢) منع ابداء الزينة وحدودها (٢٨٩)
حكم الوجه (٣٠٠) النقاب (٣٠٣) .

٣١٢ أمظام خروج المرأة من البيت
الرخصة في خروج النساء لحوالهن (٣١٤) الإذن في حضور
المسجد وحدوده (٣١٥) شروط حضور المسجد (٣١٨)
النساء في الحج (٣٢١) خروج النساء الجمعة واليدين (٣٢١)
زيارة القبور واتباع الجنائز (٣٢٢) شهود النساء للحرب (٣٢٥)

٣٢٨ خاتمة القول